

## الكلام المبين الواضح سرّ سعادتنا

أ.م.د. منال طه عبدالرزاق الرفاعي

جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

بسم الله الرحمن الرحيم

مُتَلَمِّمًا

الحمد لله والصلاة والسلام على أوضح خلق الله كلاماً محمد وعلى آله

وصحبه وسلم

وبعد :

فأن الغاية الاولى التي يهدف اليها المتكلم هو الفهم والافهام ، وهذا يتطلب كلاماً واضحاً مقنعاً ، وممتعاً معاً ؛

لقد أصبح الكلام غير المتدبر في زماننا أمراً خطيراً وجليلاً ؛ لما تحدثه الكلمات غير الموزونة وغير المتدبره من مأس وويلات ، اكتوى بنارها الكثير ، وقد يكون المتكلم يتكلم بكلام صادق رآه بعينه ولكن بمجرد نقل هذا الكلام الى آخر سيختلف فهمه ؛ لاختلاف الاحوال والمقامات ، وما تدّخره النفوس من تراكمات وخبرات ايجابية وسلبية ؛ لذا ارتأيت ان ابحث في هذا الموضوع ؛ ليتعرف القارئ من خلاله كيف يتكلم ؟ وماهي الشروط والادوات التي تثري كلامه وتجعله مفهوماً وواضحاً ومؤنساً ، فكان هذا البحث الذي يدور في :

• مفهوم الكلام لغة واصطلاحاً

• مفهوم البيان لغة واصطلاحاً

• فضل البيان

- قيمة الكلمة الطيبة ، وأثرها في النفس
- الكلمة الطيبة وسيله الى الشفاء
- كيف نستطيع أن نجعل كلامنا مبيناً واضحاً ؟
- ١- مراعاة المقامات والاحوال
- ٢- معرفة النفس ومحاسبتها وترويضها
- ٣- التواصل ومرافقة الصالحين
- ٤- البعد عن الغموض واستعمال الغريب
- ثم الخاتمة والنتائج التي خرج بها البحث والتي ارجو أن تضيف جديداً الى مكتبته اللغه العربيه ، والله من وراء القصد .

الباحثة.

### الكلام لغة

من كلمه تكليماً : وجه الحديث اليه وتكالم المتقاطعان : تحدثا بعد تهاجر وتكلم : نطق بكلام<sup>(١)</sup>  
والكلام في اصل اللغة : الاصوات المفيدة  
والحروف ك ، ل ، م ، المكونه للفظ الكلام (( حيث تقلبت فمعناها الدلالة  
على القوة والشدة ))<sup>(٢)</sup> ، وهذا يؤكد خطورة الكلام وما يحدثه في النفوس من  
خير أو شر .

### أما الكلام اصطلاحاً :

(( فهو كل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون  
الجملة ، نحو : زيد أخوك .... وصه ومه .... فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه  
ثمر معناه فهو كلام ))<sup>(٣)</sup>  
وحدّ أرسطو الكلام بقوله : (( هو صوت مركب دال ))<sup>(٤)</sup>

### البيان لغة

من بان الشيء وأبان : إذا اتضح وانكشف ، وفلان أبين من فلان أي :  
أوضح كلاماً منه ، وأفصح فهو بائن وبيّن<sup>(٥)</sup>

### أما البيان اصطلاحاً

فقد عرّفه الجاحظ بقوله : (( اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ،  
وهتك الحجاب دون الضمير ؛ حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على  
محصوله كائناً ماكان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر  
والغايه التي اليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت  
الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ))<sup>(٦)</sup>

وهذا معنى البيان الواسع مهما كانت دلالاته ، اذ لم يقتصر البيان عند  
الجاحظ على الكلام واللفظ فقط وانما هو عام في جميع الدلالات ،  
(( وجميع اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء ،  
لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي  
تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الداله التي تقوم مقام تلك الاصناف .... ولكل من  
هذه الخمسه صورة بائنة من صورة صاحبها ، وحليه مخالفه لحلية أختها ، وهي التي  
تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن  
اجناسها وأقدارها ، وعن خاصّتها وعامها ، وعن طبقاتها في السارّ والصارّ ، وعما  
يكون منها لغواً بهرجاً ، وساقطاً مطّرحاً ))<sup>(7)</sup>

### فضل البيان

قالوا: البيان بصر، والعَيّ عَمى كما ان العلم بصر، والجهل عَمى، والبيان  
من نتائج العلم والعَي من نتائج الجهل، ويعلل الجاحظ عظم قدر البيان؛ لانه سمع  
الله يمدحه، ويحث عليه، ولا أدلّ على قيمة البيان من قوله تعالى: {الرحمن علم  
القرآن خلق الانسان علمه البيان} (( الرحمن 1-4 ، ونعت القرآن بالبيان فقال: {هذا  
بيان للناس} )) آل عمران 138، ولقد بلغت قيمة البيان بمنزلة أصول الفقه للأحكام،  
وأدلة الاحكام<sup>(8)</sup> ،

فالبيان يوضح الأسرار الخفيه ، ويصورها يقول عبد القاهر الجرجاني :  
(( انك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأسبق فرعا وأحلى جنىً ، وأعذب  
ورداً ، وأكرم نتاجاً ، وأنور سراجاً من علم البيان .... والذي لولا تحقيقه بالعلوم ،  
وعنايته بها ، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها أبد الدهر صورة  
، ولاستمر السرار<sup>(9)</sup> بأهلتها ، واستولى الخفاء على جملتها الى فوائد لا يدركها  
الإحصاء ، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء ))<sup>(10)</sup>

تتصل بالنطق ، بل ثمرة لطائف تُدرّك بالفهم <sup>(17)</sup> ؛ لأنّ (( كل من طلب المعاني من الالفاظ ضاع وهلك ، وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه ، ومن قرّر المعاني أولاً في عقله ، ثم اتبع المعاني الالفاظ فقد اهتدى )) <sup>(18)</sup> ؛ لأنك لا تتوخّى الالفاظ من حيث هي ألفاظ مرتبة ترتيباً ونظماً بل (( تتوخّى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فإذا تم لك ذلك أتبعته الالفاظ ، وقفوت بها آثارها وإذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتاج الى ان تستأنف فكراً في ترتيب الالفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني ، وتابعه لها )) <sup>(19)</sup>

اذن التفكير والتدبر أولاً ثم اتخاذ الالفاظ والمعاني وسيلة للتعبير عن الفكره التي نضجت في الذهن وما ميز الله تبارك وتعالى أهل التقى السابقين ، وعلى رأسهم الصحابه ( رضوان الله تعالى عليهم ) بكثرة الروايه ، ولا بكثرة المسائل في العلم ولكن بهذا العمق في الفهم واليقين والتدبر .

إنّ عامة الصحابه ( رضي الله عنهم ) لم يكونوا يحفظون كتاب الله وإنّما حفظه نفر منهم والحديث كذلك ، ولكن كان اليقين يقر ويثبت في قلوبهم بآية واحدة ، أو بحديث واحد ، فالكلمه الواحده في القرآن تزن مجلدات من الكتب التي نكتبها اليوم ، وما أكثر المحاضرات في المكتبات ، ولكن أين القلوب المتدبّرة المتفكّرة ؟ التي إذا قال صاحبها كلمه هزّت المخاطبين ، وأثرت فيهم وجعلتهم يمثلون للعمل بها على الفور .

(( والقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن واسبابه وطرقه وأبوابه ، من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول )) <sup>(11)</sup> ، وكان نبينا محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قدوتنا في تبين ، الكلام ، وتوضيحه ، حتى سُمي المبين <sup>(12)</sup> أي الموضح ؛ لأن كان هدفه الافهام وايصال الفكرة ، ف(( كان يعيد الكلمه ثلاثاً لثقل عنه )) <sup>(13)</sup>

(( وكان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه )) <sup>(14)</sup> ، سأل مرة الحسن بن علي ( رضي الله عنه ) خاله هند بن أبي هالة ، وكان وصافاً ، قال له : صف لي منطق رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) قال : (( كان رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) متواصل الأحزان ، دائم ألفكره ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم في غير حاجه ، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ، ويتكلّم بجوامع الكلم ، كلامه فصل ، لا فضول ولا تقصير )) <sup>(15)</sup>

كان ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يصغي كل الاصغاء الى من يحدثه ، أو يسأله ، ويقبل عليه ويلطفه ، وإذا همس أحد بأذنه فينحي له حتى يكون الرجل هو الذي ينحي أولاً ، وكان يزور ضعفاء المسلمين ، ويعود مرضاهم ، ويبشرهم ، ويجبر خاطرهم وينسيهم ما هم فيه من فقر وضيق ، ويقول أبشروا بالنور التام يوم القيامة ، تلك هي محاوراته معهم يشعروهم بالثقة بأنفسهم ويشاورهم ، ويأخذ بأرائهم <sup>(16)</sup>

فالالفاظ والمعاني عنده ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وسيله لا يصال فكرته الى المستمع ؛ ولا قناعه ، والتأثير فيه ؛ ؛ ليعمل بها ، وليست لأجل استعراض الالفاظ الرصينه والكلمات القويه (حاشاه) ، وقد عاب البلاغيون بأن تجعل السلامه من اللحن هي الفصاحه ، وان تكون المفاضله بين كلام وكلام على اساس اللحن والاعراب ، وعدّوا هذا الرأي فاسداً ، انما المفاضله أن لا تكون الفصاحه ثمرة سمات

### قيمة الكلمة الطيبة وأثرها في النفس

لقد وصف ربّ العزة الكلمة الطيبة في غاية الحسن فقال : { ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (24) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها (25) } إبراهيم 24

شبه الله سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح ؛ والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ، وجمهور المفسرين يقولون : الكلمة الطيبة هي : شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة ، الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضي لله ، فهو ثمرة هذه الكلمة ، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت ، بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه ، واتّصف بها ، وانصبغ بصبغة الله فعرف حقيقة إلهيته يثبتها قلبه لله ، ويشهد بها لسانه ، وتصدّقها جوارحه ، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيراً طيباً ، يقارنه عمل صالح ؛ فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب (20) كما قال تعالى : {إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعه} فاطر 10 فالمؤمن يسقي هذه الشجرة ، وينقيها ، فبسقيها تبقى وتدوم وبتنقية ماحولها تكمل وتتم ، ويكون القول ثابتاً ، فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً . وأثبت القول : كلمه التوحيد ، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة ؛ وبهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً ، والكاذب من أبغض الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوثاً ، وأقلهم ثباتاً ، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاخبار وشجاعته ومهابته ويعرفون كذب الكاذب ، ولا يخفى ذلك الا على ضعيف البصيرة، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم (21)

والكلمه الطيبه تنفع ذوي الفطره السليمه والعقل النير ((واما من فسدت فطرته وانعكس قلبه ، وضعفت بصيرة عقله ، فلو ضرب له من الامثال ماضرب ، فإنه لايزيده الا عى وتحيراً . )) (22)

### - الكلمه الطيبه وسيله الى الشفاء

هناك امثله توضح أن الكلمه الطيبه قد تكون وسيله الى الشفاء ، فهاهم حكماء الطب النفسي أساس علاجهم الكلمه الطيبه ، ويستطيع الطبيب ان يعرف أحوال النفس بكلمة يقولها صاحبها، ودائماً يصدر منهم قول ( ان افضل علاج نفسي للزوج عند الزوجه وللزوجه عند الزوج هو كلمه طيبه فيها شفافيه الحب والرفق).

وقد ترد في القرآن الكريم كلمه تشير الى دراسات طبيه كبيره مثل كلمه

{ناصية كاذبه }

قال تعالى: {كلا لمن لم ينته لنسفعا بالناصيه ناصية كاذبه خاطئه}

العلق 15-16

الناصيه : مقدم الرأس وهو لفظ يدل بأصله على علو في الشيء ، كما يفهم

من شواهد العربيه (23)

هكذا فسرها اللغويون والنحاة قديماً ، لكن الاطباء يقولون اليوم بعد يحوث تجريبيه ودراسات عن وظائف الدماغ ، إن الناصيه التي تحدث عنها القرآن يضم الجزء الامامي من الدماغ ، وهو الجزء التي تصنع فيه الافكار من صدق وكذب ، وخطيئه ، وغير ذلك ، أما اللسان واليد والرجل فمجرد آلات تتحرك بما تم صنعه في ذلك الجزء من الدماغ ، فلا شك ان الناصيه أولى من اللسان بأن توصف أنها كاذبه وخاطئه . (24)

ومن الجدير بالذكر ان كلمة ( الله أكبر ) اذا قالها الذابح للأضحية ستحدث

في الخلايا والاورده نفيراً عاماً ؛ فيخرج الدم ، والأذى كلّهُ ؛ مما يجعل اللحم صحياً ،



تكلم وسدد ما استطعت فإنما

كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله

فصمتك عن غير السداد سداد (33)

لأن الكلمة ترفع وتخفض صاحبها ، ورد في الحديث الشريف :

(( إنَّ العبد لينكلم بالكلمه من رضوان الله لا يلقى لها بالاً ، يرفع الله بها درجات ، وإنَّ العبد لينكلم بالكلمه من سخط الله ، لا يلقى لها بالاً ، يهوي بها في نار جهنم )) (34)

وكان نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) (( ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال )) (35)، وكان يقول : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ، أو ليصمت )) (36)،

((فالكلام في وثاقك مالم تتكلم به ، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فزُب كلمة سلبت نعمة ، وجلبت نقمة)) (37).

**- كيف نستطيع أن نجعل كلامنا مبيناً واضحاً ؟**

**1- مراعاة المقامات والأحوال عند الكلام**

إنَّ الالفاظ والكلمات لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ، وإنما الفضيله في ملائمة معنى اللفظه لمعنى اللفظه التي تليها ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمه تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تنقل عليك ، وتوحشك في موضع آخر (( (38)

فالكلمه التي نتكلم بها يتغير معناها بتغير السياق والمقام والحال ، وفي الدراسات اللغويه الحديثه للسياق أهميه كبيره أيضاً، فالعالم اللغوي الانكليزي فيرث

فأَي قَدسيه للكلمة وأي عظمه ؟ والامثله على ذلك كثيره فقد اخبرنا الباري -عز وجل -انه بقوله للشيء كن ؛ فيكون فبالكلمه يحيي ربي ويميت ، وبالكلمه نبيع ونشتري وننتزوج ونطلق ...الخ

ولأهميه الكلمه وما تثمره في القلوب اهتم نبينا ( صلى الله عليه وآله وسلم) باختيار الكلمه فكان يغيّر الاسماء غير المريحه عند سماعها (25) ، مثل اسم (حزن) حوّله الى (سهل ) ، و ( حرب ) الى ( سلم ) ، وغيرها كثير .

وكان يكره أن ينسب للنفس كلمه خبث (26) ويوضح لنا أن أبغض كلمه عند الله هي ( ملك الملوك ) (27) ، وقد تكون الكلمه غير الطيبه وزراً على قائلها ، فإذا قذف بكلمه واحده أقيّم عليه حدّ واحد ، وإذا قذف بكلمات فكلّ كلمه حد (28) ، وإذا نطق انسان بالنذر وقال نذرت كذا ، وكان نذره في طاعة فعليه وزر إن لم يف (29) والكلمه المنانّه تبطل العمل الخيري ، ولو كان كثيراً قال تعالى: **{لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى }** البقره 264

ولما كانت الكلمه نتاج اللسان ، فأَنَّ للسان آفات كثيره ، فمن أهمل لسانه وتركه مرخيّ العنان سلك به الشيطان في كل ميدان ، الى ان يضطره الى الهلاك ، (( ولا ينجو من شرّ اللسان إلاّ من قيده بلجام الشرع ، فلا يطلق الاّ فيما ينفعه في الدنيا والاخره )) (30)

ولهذا مدح الصمت ؛ لأن من صمت نجا .

قيل لعيسى ( عليه السلام ) : دلّنا على عمل ندخل به الجنة ؟

قال: لاتنطقوا أبداً، قالوا: لانستطيع ذلك فقال: فلا تنطقوا إلاّ بالخير (31)،

(( فالعاقل من خزن لسانه ، ووزن كلامه وخاف الندامه )) (32)

فالحذر الحذر من كلام يغضب خالقنا ويؤذي اخواننا

فتكون أخلاقه وتعامله مع الناس بإخلاص ؛ لأنه من ثمرة هذا الحب الإلهي الذي يجعله يحب الآخرين ولسان حاله يمثل قول الامام علي (رضي الله عنه ) :  
ما ودني أحدٌ إلا بذلتُ

صفو المودة مني آخر الأبد

ولا قلاني وإن كان المسيء بنا

الا دعوت له الرحمن بالرشد

ولا انتمت على سرّ يوماً فبحث به

ولا مددت الى غير الجميل يدي

ولا أقول نعم يوماً فأتبعه

بلا ولو ذهبت بالمال والولد (43)

فإذا تكلم مع الناس فاض عليهم من محبته وبشره ما يؤنسهم ، عن ابن عباس ( رضي الله عنه ) قال : أكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس اليّ لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت ) . (44)  
هذا الكمال الانساني لم يأت على طبيعته ، إنما هي قابليه مضافا اليها مجاهدة واكتساب ثقافات واسعه ، وعلوم ومعارف لا حصر لها ، ومخالطة الناس ، فالبيان هو ثمرة جهود كثيرة ، ومعارف عديدة قيل : شيئا لا نهاية لهما البيان والجمال .

فاذا كان الانسان ذا موهبة وقابليه فهو يفتقر الى آلات كثيره عددها

البلاغيون القدماء منها:

- معرفة علم العربي من النحو والصرف
- معرفة اللغة المتداوله المأنوسه غير الوحشيه
- معرفة أمثال العرب وأيامهم
- الاطلاع على المصادر وانتقاء المعلومات منها
- معرفة الاحكام السلطانيه الامامه والاماره والقضاء والحساب

يرى ان معنى الكلمه يكمن في دورها الذي تؤديه في الكلام ، أو الطريفة التي تستعمل بها (39) ،

ويقول جون لاينز:

(( لايمكن فهم أية كلمه على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصله بها )) (40) فللكلمه مدلول قبل التركيب ، فإذا دخلت في سياق التركيب أعطت مدلولاً جديداً ، كأن الكلمه تولد في كل تركيب ولادة جديدة لمعنى جديد .

وكأن الكلام الذي يصدر من صاحبه بألفاظه ومعانيه ترافقه روح المتكلم ، ومايختلج في نفسه من معان ، فالمتكلم الفطن الواعي من يستطيع ان يعرف الناس وأذواقهم ومايحبون ، إذ من العسير في زماننا أن يعرف الانسان العادي الآخرين وأمزجتهم وأحوالهم (( فقد تجد الرجل أصم أبكم في الطريق ؛ فيهتز فؤادك إشفافاً على حاله ، وتجزم ان نفسه تنقطع بين جنبيه المأ ، وأن قلبه يذوب حشرات ، وتبصر آخر الى جانبه ينهب الارض بسيارته الفخمه وقد لاحت هالة السعاده والعز حول وجهه ، فتجزم بأن نفسه ترقص بين جنبيه فرحاً ، وأن له قلباً لايسْتَفِيْق من سكر السعادة والانشراح ، لا تستطيع أن تجزم بهذا وذاك وأنت لم تطلع على قلب أحد منهما ، ولو اطلعت لعلمت أن المقياس الذي اعتمدت عليه غير مطرد الدلاله على ماظننت ، وان اسباب السعادة والشقاء لا تنحصر في تلك المظاهر التي تتلبس الجسم ، ومن أكبر الخطأ أن تربط بين حالة القلب ، وهذه المظاهر )) (41)

فالمتكلم يحتاج الى امور كثيره تجعله متكلماً محبوباً مؤثراً ، ومقنعاً فإذا أكرمك الله بذرة من عنايته وأولاك شيئاً من نعيم حبه انمحقت من نفسك مشاعر الهموم ، ونوازع الشهوات ، وغدا القلب مستغرقاً بلذه عارمة ، لايقوى على وصفها إلا من اكرمه الله بمذاقها )) (42)

- حفظ القرآن والتدريب على استعماله في مطاوي كلامه  
- حفظ الاخبار الواردة عن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) (45)  
هذه الآلات البيانية ، ويضاف اليها الدربة والنفس التي تفيض حباً واحتراماً  
للسامع ، ومعرفته بأحواله وما يحبه وما لا يحبه من الفاظ ومعان ، فإذا كانت الكلمة  
لا تفهم الا بما يجاورها كما قرر علماء اللغة والبلاغة فكيف تفهم الكلمة اذا نقلت  
على ألسنة الجهلاء ، وعندني ان الكلمة حتى لو نقلت على لسان من عرف بالصدق  
والتقوى فهذه الكلمة تخضع لاحتمالات كثيرة ، لأن المكان والزمان وحال المتكلم اذا  
كان حزينا او فرحاً ، غاضباً أو راضياً ، وماتحملة نفسه من تراكمات إيجابية أو  
سلبية ، وكذا الصوت له أهميه في معنى الكلمة مما يجعلها تحتاج الى مختبرات حتى  
يعرف المراد .

تعالوا لنتكلم باللغة التي يفهمها المستمع ويأنس بها ، القريبه الى ذهنه ؛ لأن  
الانسان عدو ما يجهل ، وما يجمله الانسان من مفردات اللغة قد تولد حاجزاً كبيراً  
بينه وبين الفهم والتأثر ، فلنكسر تلك الحواجز ، ولنستخدم الاساليب المختلفه ؛  
ولنعبر عن المعنى الواحد بطرق مختلفه حسب فهم المخاطب ، فنستعمل التشبيه  
والتمثيل والاستعاره وقد يحتاج الكلام الى كناية وتوريه اذا كان يرضي المستمع ؛ لأن  
كشفه قد يؤذيه . وقد نستعمل اللهجه العاميه (أعني شفويا) إن كانت توصل المعاني  
اسرع الى السامع ، واذا كان يأنس بها ، وماسوء التقاهم والنزاعات القائمة اليوم الا  
بسبب المفردات الغريبه الغامضه التي لا توصل الى معنى واضح ،

أيها الآباء انزلوا من برجكم العاجي وخاطبوا أبناءكم بوضوح ، والله إنني  
أعرف بيوتاً بين أفرادها تتأخر ، وما هو إلا بسبب عدم المصارحه والمحاورة ،  
والتفاعل الاسري ، رأيت بأمر عيني رجلاً يسخر من آخر ؛ لأنه يحاور ابنه ويلطفه  
وبجيبه عن أسئلته ، وكأنه يحتقره ويتصور أن منزلة الاب ستتأثر ، وان عدم اجابته  
له سبقي مقامه محفوظاً وسيطعيه ، هذا في الظاهر صحيح ، ولكن في واقع الامر

الابن سيحتال على أبيه من أجل أن يخرج عن طوعه ، وستكون العلاقه باردة ، وما  
درى هذا الأب انه لو أرخى زمامه على ابنه ، وحاوره وأجاب عن أسئلته لفاض قلب  
ابنه حباً له ، وسيقوده حبه الى طاعته والفناء من أجله ، ولكن بالطريقه الاخرى  
البارده سينتج قلباً فارغاً من الحب ، مفتقراً الى الحنان قاسياً ، مراوغاً ، وسيصبح  
معول هدم لاسره والمجتمع يعمل الموبقات دون وعي منه ، فهو لا يعرف حدود حقه  
، ولا مقدار حق الآخرين عليه ، وقد يوغل في أخذ حقوقهم ولا يدري ، وإنما يحس أنه  
مظلوم ، ولا يقبل من أحد نصيحه ، وأمثال هذا الابن كثيره واأسفاه، أخشى أن يكون قد  
اظلنا زمان الذي قال عنه الصحابي حذيفه بن اليمان (رضي الله عنه): (( يأتي على  
الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم )) (46)

## 2- معرفة النفس ومحاسبتها وترويضها ،

(( اعلم أن اعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خلقت أماره بالسوء  
ميلة الى الشر ، فزاره من الخير ، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر ،  
الى عبادة ربها وخالقها ومنعها من شهواتها وفطامها من لذاتها . فإن أهملت جمحت  
وشردت ، ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبه والعذل والملامة  
كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنه  
المدعوه الى ان تدخل في زمره عباد الله راضيه مرضيه )) (47)

وما مدح يوسف عليه السلام وعلا قدره الا بسبب مخالفته هواه .

والنفس بحر عميق لا يعرف كنهها الا الاتقياء العاملون ، فلا يكون العبد من  
المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه ، والشريكان يتحاسبان بعد العمل.  
قال الحسن البصري : (( لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي؟  
ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشريتي؟ والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه )) (48)

درجه درجه ؛ لنتخلص أولاً من معجم الكلمات القبيحة النابيه ، التي تعور القلوب عند سماعها ، ولنصبر النفس ان القرآن الكريم نزل منجماً وبالتدرج ، نزل أولاً بوصف الجنة والنار ، ثم جاء بالحلال والحرام والمعاملات (52)

(( يروى أن عمر بن عبد العزيز ( رضي الله عنه ) حين اراد أن يعيد الخلافة الى سابق عهدها كان لابد له أن يمك الخيوط في يديه ؛ وكان له ابن يقال له عبد الملك كان هذا الابن ينكر على أبيه ، التروي والبطة في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم ، قال له يوما : مالك يا أبت لا تنفذ الامور ؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ، فكان جواب الاب الفقيه : لا تعجل يا بني فأَنَّ الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن احمل الناس على الحق جملة ؛ فيدعوه جملة ؛ فيكون من ذا فتنه )) (53) وهذا حال العارفين الواعين ذوي التمكين ، والاستطاعة وذوي العقول والمعرفة الذين متى أحست ابدانهم بأصناف المكروه والمحبوب وازنوا وقابلوا وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ، وواصلوا كل مضرة ومنفعة في العاجل بكل مضرة ومنفعة في الآجل ، وتتبعوا مواقعها ، وتدبروا مساقطها ، كما يتعرفون مقاديرها وأوزانها واختاروا بعد ذلك أتم الخيرين ، وأنقص الشرين فأما الشر صرفاً والخير محضاً فأنهم لا يتوقفون عندهما ، ولا يتكلفون الموازنة بينهما ، وانما ينظرون في الممزوج ، وفي بعض ما يخشى من معارضته ، ولا يوثق بمعزاه ومكشّفه ، فيحملونه على خلاص الذهن كما يُحمل الذهب على الكير )) (54) ؛ ولهذا قيل (( الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام )) (55) ؛ لأن العدل سيجر صاحبه الى كل خير يصل الى الايمان والاسلام ، ولكن الظلم ظلمات سيجر صاحبه الى كل رذيلة حتى ينتهي به الى الكفر والضلال ، والعدل ثمرة المحاسبه التي بها يستطيع أن يميز فانه (( لا يحس بضربة مبدّح ، وانما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه )) (56) ، وبالمحاسبه تدوم النعم (( ومتى رأيت

ومهما حاسب الانسان نفسه فلم تسلم من مقارفة معصية فلا ينبغي إهمالها ؛ لأنها إذا أهملت سهل عليها العصيان ، وأنست به وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها ؛ فينبغي أن يحاسبها على كل كلمه قالتها مانيتها في ذلك ؟ أتريد اصلاً ، ام فتنة ؟ هل فكرت بالكلمه قبل قولها ؟ وما عاقبها ؟ ، فالانسان المؤمن يجب أن يزن كلمته في ميزان حكيم ؛ لأن للكلمه قدسية ووزناً عند الله تعالى ، قال سبحانه جل اسمه :

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد } الحشر 18

وهذه اشاره الى المحاسبه على ما مضى من الأعمال ؛ كان يقول ابو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) على لسانه :

( اوردني الموارد ) (49) ، وكان يقول : (( جرح اللسان كجرح اليد )) ، وكان عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) يقول : (( حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا )) (50)

وكان يضرب قدميه بالدرة إذا جنّه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم ؟ وهذا لكثرة علمه وخشيته انه لم يعمل به ، عن مالك بن دينار قال : (( اذا تعلّم العبد العلم ؛ ليعمل به كسره علمه ، واذا تعلم العلم لغير العمل به زاده فخراً )) (51) ؛ لأن العالم الذي نورّه الله بنور البصيره ينظر الى آيات الله الدالّه على عدله ودقة نظامه فيها هو تعالى

يقول : { والسماء رفعها ووضع الميزان } الرحمن 7

{ ووضع الميزان } كلمه تزلزل النفس اللّوامة ؛ فتسارع للعمل المتقن الجاد

الموزون استجاب له أمر الله القائل : { وأوفوا الكيل والميزان بالقسط } الانعام 152 والميزان لا يعني فقط وزن الأعيان ، وانما من ضمنها وزن المعاني ، ووزن الكلام فلنعالج انفسنا في الانتهاء من الفوضى في الكلمات ، ولنلتبع منهج التدرج

وهو حيوان إذا روّضته سمت نفسه وصار يختلف عن غيره ولو كان من جنسه ، يحدثنا ابن الجوزي أن كلاب البيت تحسد كلاب الصيد فتنبحها ، ولكن كلاب الصيد لا تلتفت إليها ، وهي لطيفة ومؤدبه ؛ لأن همها حفظ الصيد لصاحبها فشبهها بالمؤمن العاقل الذي لا يلتفت الى كلام الحساد ويمر عليه مر الكرام ؛ لأنه في واد وذلك في واد آخر (64)

### 1- التواصي ومرافقة الصالحين

(( تروي لنا كتب الأدب كيف ينظر بعضهم في كلام بعض ، وكيف كانت ملحوظاتهم مبنية على احساس عميق بجلال الكلمة ، وحاجتها في الاستعمال الى مهارة بالغة، حتى تقع موقعها الذي، لا ينبو بها ، ولا تقلق منه، وحتى تكون أيضاً معبرة تعبيراً صادقاً يصف احساس تلك النفس التي جاشت بها وصاغتها)) (65)، ومن حسن الحظ أن ينشأ الانسان في مجتمع راق في تعامله ، يسير على منهج التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، كان عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) يقول: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملئت عدلوني كما يعدل السهم)) (66)

وهذا عمرو بن المهاجر قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : (( اذا رأيتني قد جربت عن الحق فخذ بثيابي وقل : مالك يا عمر )) (67)

بهذه القلوب الطاهرة المتواضعة كان التعامل ، وكان للواحد منهم نظير يتواصى معه ، ويسائله ، ولكن قلّ أمثالهم في زمان ابن الجوزي ، الذي لا يجد له صاحب حتى مع العلماء (( لأن أكثرهم على غير الجادة مقصودهم صورة العلم لا العمل به )) (68) وهذا الشيخ ابراهيم الدسوقي ( رحمه الله ) يوصي تلميذه فيقول : (( وأما صديقك فان صدقك فاحفظه ، وما للمرء يا ولدي إلا أن يكون على حذر من جميع البشر ، فأنا في آخر زمان ، وقد قلّ النصيح حتى لا تكاد تنظر ناصحاً ، وعاد من توليه سرورا يوليئك نكداً وشروراً ، ومن ترفعه يسعى أن يضعك ، ومن لم تحسن

تكديراً في حال من نكر نعمة ما شكرت ، أو زلة قد فعلت ، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم ، ولا تتغتر بسعة بساط الحلم فربما عجل انقباضه )) (57)

ومن منطلق وزن أقوالنا واعمالنا، فعلى المرأة الام أن تحاسب نفسها ، وتزن كلماتها وتتعهد بتربية طفلها وتراقب مشاعره ، وهو في بطنها فقد اكتشف الطب الحديث ان الجنين في شهره السادس يضطرب قلبه وأعضاؤه اذا احس ان أمه غاضبه ، ويهدأ إذا كانت مسرورة ، وكذا المولود الجديد اذا أحس أمه غير راغبة فيه ، وفي مجيئه الى الدنيا فهو يضربها بركلات يرسلها بقدمه ، ولم يرضع من ثديها ، اما اذا احس انها سعيدة ومسرورة فأنه يهدأ وتتنظم أعضاؤه (58) وقد احست المرأة القديمة بتأثر الجنين والمولود بحالة أمه ؛ فكانت تقتخر انها ربّت ابنها تربية جعلته حليماً واسع الصدر ، روي أن أم الشاعر تأبط شراً قالت : والله ما ولدته تيناً (59) ولا سقيته غيلاً (60) ولا أبته على مقة (61) ؛ لأن الأم اذا نومت ابنها على سرور يسري فيه ويعمل في طباعه ، واذا نومتة على فزع وغيظ كان ذلك يعمل في فساد نفسه فيصبح منقاً . (62)

والمثق لا يستمتع بشئ مهما نجح ، ووصل الى ما وصل ، فهو متشائم نكدي ، ضجر كثير اللوم على الناس والزوجه والأولاد ، لايعجبه العجب مثل هذا الانسان المثق يؤخر المجتمع لا يستفيد ولايفيد وقد يكثر عنده اللعن ، ووزن اللعن كالقتل عند الله (( من لعن مؤمناً لعنه فهو كقتله )) (63)

واللعنة اذا لم يكن صاحبها له أهل رجعت الى القائل ، إذن لننتعهد الأولاد بالتربية وترويض أنفسهم على الخير ونسقيهم بماء المكرمات ، ولا أستطيع ان أقبل عذر احدهم انه لم يقصر في التربية ولكن بلا جدوى ؛ هذا كلام مردود ؛ لعلّه قالها كلمات ولم يعدها ، ولم يصبر كثيراً فالطفل يحتاج الى تكرار واعادة ، وصبر ومصابرة حتى يتروّض وينشأ صالحاً وهناك أدله صارخة ترد هذا الزعم ، فالحيوان

النقد سيقل من منزلته ، وما عرف ان البحث الحيوي هو الذي يكثر ناقده ، فما عليه الا ان يستفيد من ملاحظاتهم ، ويرى انتقاداتهم هدايا تقدم اليه ، ولتكن حكمه ضالته ، ورضا الله هدفه ، مكتوب في الزبور (( طوبى لمن يسلك طريق الاثمه ولم يجالس البطالين ولم يقم في هوى المستهزئين ، إنما همّة حكمة الله ، لها يطلب ، وبها يتكلم فمثله كمثّل شجرة في وسط ماء ، لا يتساقط من ورقها شيء ، وكل عمل مثل هذا تام لا يذهب منه شيء )) (72) ؛ لان الصالحين سوف يكتسب منهم الاتقان في العمل والقول ، لأجل الغاية التي خلقنا من أجلها وهي العبادة فالصالحون واعون عارفون ، اذا فرغوا من العمل لجأوا الى الحي الذي لا يموت ، وسبحّوه واستغفروا ، وطلبوا منه حاجاتهم وزادوا خشوعاً وسجوداً وذكرنا اذا أفاض الله عليهم من نعمه ؛ ليستمدوا منه طاقتهم وطاقه الله لا تنتفد ، عن احد أصحاب الامام علي ( رضي الله عنه ) قال : (( صليت خلف علي ( رضي الله عنه ) الفجر ، فلما سلّم انفتل عن يمينه ، وعليه كآبه فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال : والله لقد رأيت اصحاب محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ، وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شعناً غبراً صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوون بين اقدامهم ، وجباهم ، وكانوا اذا ذكروا الله ، مادوا كما يمد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، وكأنّ القوم باتوا غافلين (يعني من كان حوله)) (73)

اليه يسيء اليك ، بل ثمّ من تحسن اليه يسيء اليك ، ومن تشفق عليه لو على الرماح رماك ، أو على الشوك داسك ، ومن تنفعه يضرّك ، ومن توليه معروفاً يولييك جفاء ، ومن تصله يقطعك ، ومن تطعمه يحرمك ، ومن تقدمه إن استطاع أخزك ، ومن تربيه يقول أنا الذي رببتك ، ومن تخلص له يغشك ، ومن تهش له يكش فوا عجباً للعالم وللأهلها )) (69)

تمسك إن ظفرت بذيل حر

فان الحر في الدنيا قليل

ولا تعتب أخاك على مقالٍ

فان العتب منك له ممل (70)

سبحان الله تعالى فماذا نقول نحن ؟ فأحدنا لو أراد أن يسأل أو يطلب من الآخرين تعديله يزدرونه ، ويتصورونه ساذجا ؛ لأن النفوس أصبحت لا تثق بما يقال لها من نقد فقد يكون النقد ينطلق من نفس حاسدة بعيدة عن الموضوعية ، فالعاقل ما عليه الا يوازن ويأخذ ما ينفعه ويوصله الى الحقيقة ، وان يدع ما لا ينفعه ولا يوصله الى هدفه .

اللهم أرنا الاشياء كما هي حتى لا نتجاوز الحد في حسن الظن أو بالعكس ، ولكن لا يخلو زماننا من علماء مخلصين ماهرين في ايصال المعنى الى قلوب تلاميذهم باعثن فيها الثقة .

يقول الدكتور ابراهيم الفقي : (( اعلم أنّ رأي الآخرين فيك لا ولم ولن يدل عليك وذلك ؛ لأن هذا الرأي يكون مبنياً على قيم ونظام وتفكير هؤلاء الآخرين ، لا قيمك انت ، ولا تفكيرك أنت ، ولا مفهومك أنت ، فأنا وانت والجميع معجزة من الله سبحانه وتعالى \_ فكيف لشخص أن يحكم على شخص آخر )) (71) هذا دواء لكل نفس لؤامه بالغت في المحاسبه ، وكذا هو دواء لكل من لا يقبل النقد ، ويتصور ان

#### قال بعض الأدباء :

(( عدم اخلاص بعضهم في توضيح دلالة الالفاظ دعاه الى ستر ما يخفيه  
باللغة ))<sup>(75)</sup>

وقيل : (( ان اللغة قد تستعمل في كثير من المناسبات ليستر المتكلم بها  
خلوه من الافكار والمعلومات ))<sup>(76)</sup>

ان استعمال الغريب الغامض يجعلنا ندور في دائرة مغلقة لا نصل معه الى  
شيء مفيد ، وهذه تسمى الاغلوطات وقد نهى نبينا الكريم ( صلى الله عليه وسلم )  
عن الأغلوطات<sup>(77)</sup>

يقول الحسن البصري ( رحمه الله ) :

(( إن شرار عباد الله قوم يحبون شرار المسائل يُعمون بها عباد الله ))<sup>(78)</sup>  
خلاصة القول الكلام الغريب وغير المفهوم ليس كلاماً شريفاً ، ولا يستحق  
صاحبه الاهتمام ، ولا يُعطى له مكانه ولا يُعد قدوة ، فالقدوة هو صاحب الكلام  
الواضح المتحرر من أغلال النفس الاماره بالسوء وعبودية المال والاشخاص  
والمناصب

يسرني أن أقرأ ان الصينيين القدماء كان اول مميزات القدوة عندهم أن  
يستخدم لغة دقيقة واضحة في التعبير ، وأن يبتعد عن استخدام الاسلوب الغامض أو  
المنمق المزوّق<sup>(79)</sup>

هلموا لنجمع شتاتنا ، ونصلح مع انفسنا ونتألف بيننا ، لتكن لنا شخصية  
قوية واثقة واضحة ليكون المستمع عندنا مهماً ، لنكن له كل الاحترام ، ولنحقق له  
حسن ظنه بنا ، ولنقل له قولاً مفيداً وممتعاً يبعث فيه الحيوية والنشاط ؛ فيهرع لبناء  
مجتمعه بكل ما أوتي من قوة .

تعالوا نتعود على قول (لا ادري) اذا كنا لا نعرف مسألة ما، ففرتاح ونريح

#### 1- البعد عن الغموض واستعمال الغريب

وليكن قدوتنا في الوضوح والبيان القرآن الكريم فهو أعلى مراتب البلاغة  
والفصاحة ، مشرق في الفاظه ومعانيه ، يبتعد كثيراً عن الغموض ، وما استطاع ان  
يجمع العلماء من غريب الفاظه الا القليل ، وكان الغريب عندهم هو الذي يعبر عن  
معنى بعيد ، ويحتاج الى تأويل ، ولا فضل ولا فضيلة في الكلام الغريب الوحشي وقد  
ثبت عن علمائنا انهم كانوا يرون الفضيلة في ترك استعماله وتجنبه ، أفلا ترى الى  
قول عمر ابن الخطاب ( رضي الله عنه ) في زهير : (( أنه لا يتتبع وحشي الكلام  
في شعره ولا يعاضل بين القول ))<sup>(74)</sup> ذلك لأنّ الكلام الغامض يستغرق وقتاً حتى  
يصل الى قلب السامع ، وانما الفضل للكلام الواضح البين الذي يشرق بمعناه على  
القلوب فتتذوقه وتتمثله عملاً .

أيها النقاد والادباء أحبابي ليكن البيان هو وسيلتكم ، اذا كان هدفكم كشف  
قناع المعنى ، والوصول الى المقصود ؛ لأفادة السامع أختاروا الالفاظ والمصطلحات  
المنوسة .

يؤسفنا أن معظم الادباء تدور في نتاجاتهم وبحوثهم ألفاظ ومصطلحات لا  
يفهمها الا أمثالهم ، فهم يغفغفون وحدهم ، وما علموا أن الأدب الراقي هو الواضح  
الذي يحترم المخاطب والذي يدخل الى القلوب فيقنعها ويمتعتها ، ويؤثر فيها ، وروائع  
الادب تشهد بذلك فما الفائدة من كلام طويل عريض وتحليلات لألفاظ لا تقرب  
المعنى ولا تنير الفكره ، ولا تزيد القارئ او المستمع الا عمية ووحشه؟؟

وحتى لو جعلوا الفن للفن أي للأمتاع فقط وليس للأفئاع أين هو ؟؟ حتى هذا  
الفن لم نحصل عليه ، أعجب لهذا الغموض الذي يغلفون به أساليبهم ، وما أراه الا  
عدم اهتمام بالمقابل وعدم اخلاص أو هو لا يدري ما يقول وانما مجرد قول وهذه  
طامة كبرى ،

## الخاتمة والنتائج

إن أهم الأمور التي خرج بها البحث هي :

- 1- أن أعلى درجات البيان والوضوح هو القرآن الكريم الذي يجب أن يكون قدوة للمتكلمين وللكتاب، وحسب البيان فضلاً أن أطلق على القرآن فقال تعالى: {عَلِّمَهُ الْبَيَانَ} أن للكلمة الطيبة أثراً في تثبيت المؤمن في الدنيا والآخرة ، فأثبتت الناس قلباً أثبتهم قولاً ، وأثبتت القول كلمة التوحيد ؛ ولهذا نرى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً ، والكاذب أبغض الناس ، وأكثرهم تلوناً وأقلهم ثباتاً .
  - 2- فبالكلمة يحصل المؤمن على أعلى الدرجات ، وبالكلمة ينزل الى أسفل الدرجات
  - 3- من شروط الكلام المبين مراعاة الأحوال والمقامات ، فالكلمة يتغير معناها بتغير السياق والمقام ، وهي تلد في كل تركيب جديد بمعنى جديد .
  - 4- أن البيان ثمرة جهود كثيرة ومعارف عديدة ، فهو يحتاج الى موهبه تساندها الدربة ومعرفة واسعة لعلم اللغة العربية من نحو وصرف ، ومعرفة لأمثال العرب وأيامهم . وغيرها ، وحفظ للقرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة حتى يجعلها وسيلة لتوضيح كثير من المعاني .
  - 5- أن الاستعانة بالصالحين في محاسبة أنفسنا على كل صغيره وكبيره تجعلنا نحس بالآخرين ، ونعرف مقدار حقوقهم ، ويؤثر ذلك كله في كيفية نظم كلامنا بما يلائم المقامات والأحوال .
  - 6- أن التواصل وتقبل النقد من الآخرين من أهم العوامل التي تثري نفوسنا ، وتقوي شخصياتنا ، وتجعل كلامنا موزوناً وسديداً ومثمراً .
  - 7- الذي يريد أن يكون كلامه واضحاً ومقبولاً وشريفاً ومؤثراً عليه الابتعاد عن الغموض ووحشي الكلام ، فالغموض دليل على خلوه من الفضيلة والمعاني الرصينه ، ودليل على عدم الاخلاص ، وسوف لن يكون قدوة للآخرين .
  - 8- من الأمور الأخرى التي خرج بها البحث هو أن نعود الى أخلاق اسلافنا ونتعود كلمة ( لا أدري ) فنريح ونستريح ، وهي علامه على غزارة العلم وقوة الشخصية.
- هذا والحمد لله رب العالمين

خرج الامام علي بن ابي طالب ( رضي الله عنه ) يوماً ، وهو يمسخ بطنه ويقول: (( يابرداها على الكبد، سئلتُ عما لا أعلم، فقلتُ: لا أعلم والله أعلم ))<sup>(80)</sup>

يقول لا اعلم وهو من هو في تحره في العلوم، وقد وردت الاخبار انه باب العلم، اتسع في العلوم فتراكمت على قلبه الهموم فأستحيا من الحي القيوم، ليس لأحد ان يعرف كل شيء الله وحده هو الذي يعرف كل شيء، فان وجدتم في انفسكم حاجتكم الى العلم فالبدار ((البدار يا أرباب الفهم فان الدنيا معبر الى دار إقامه وسفر الى المستقر والقرب من السلطان، ومجاورته فتهيئوا للمجالسة، واستعدوا للمخاطبة، وبالغوا في استعمال الأدب؛ لتصلحوا القرب من الحضرة))<sup>(81)</sup>،

لنتعلم الأدب في كل شيء ، ولنعرف ان الله ناظر الينا ، وشاهد علينا وهو معنا أتى كنا ، فالادب الادب يا أحبائي ، الادب الادب والآ فان الله يهلكنا في أي واد شاء ولا يبالي ، ليكن همنا من الكلام الإفاده وإدخال السرور الى الآخرين ، ليكن همنا إصلاح ما بيننا وبين الله فهو يكفيننا كل هم ، ويدفع عنا كل شيء ، ويكرمنا بسداد الكلمة وصحة الطبع ، وجمال العبارة ووضوحها ، والسعادة في الدارين .

اللهم نور بالعلم قلبي ، واستعمل بطاعتك لساني وخلّص من الفتن سري ، واشغل بالاعتبار فكري وقتني شر وساوس الشيطان ، وأجرني منه يارحمن حتى لا يكون له علي سلطان .

أمين

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



### المواضع

- (1) ينظر المعجم الوسيط / ص 796
- (2) الخصائص 1 / 14 بن جني / تحقيق محمد علي النجار
- (3) المصدر نفسه 18/1
- (4) الشعر / ترجمة د.شكري عياد ص 114
- (5) ينظر المعجم الوسيط ص 79-80
- (6) البيان والتبيين 1/76
- (7) البيان والتبيين 1/76
- (8) ينظر المثل السائر ص 1/4
- (9) السرار : أختفاء القمر آخر ليله في الشهر ، يشير هنا الى اختفاء الفكر النير لولا ظهوره بواسطة البيان
- (10) شرح دلائل الاعجاز ص 62
- (11) اعجاز القرآن / الباقلائي ص 173
- (12) ورد ذكر اسم المبين في الدع والصلاة على النبي ينظر دلائل الخيرات للجزولي ص 146
- (13) الشمائيل للمحمديه للترمذي ص 72 رقم الحديث (218)
- (14) المصدر نفسه ص 72 رقم الحديث (217)
- (15) المصدر نفسه ص 72 رقم الحديث (219)
- (16) محمد (صلى الله عليه وسلم) الانسان الكامل / محمد بن علوي المالكي الحسني ص 252-257
- (17) ينظر شرح دلائل الاعجاز ص 482
- (18) المستصفي 1/62

- (19) شرح دلائل الاعجاز ص 110
- (20) ينظر التفسير القيم ص 327-328
- (21) ينظر التفسير القيم ص 334
- (22) اسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، ص 165
- (23) ينظر معاني القرآن للقراء 3/279
- (24) ينظر الموضوعات الطبيه في القرآن الكريم ص 14 تأليف الطبيب محمد جميل بن عبدالستار الحبال
- (25) ينظر صحيح البخاري كتاب الادب 4/132 رقم الحديث 6190
- (26) ينظر المصدر نفسه 4/130 رقم الحديث 6180
- (27) ينظر المصدر نفسه 4/135 رقم الحديث 6205
- (28) ينظر رحمة الامه في اختلاف الائمة 2/140
- (29) ينظر المصدر نفسه 1/147
- (30) احياء علوم الدين 3/146
- (31) المصدر نفسه 3/149 - 150
- (32) رسائل الجاحظ 4/113 /
- (33) ديوان ابي الفتح البستي ص / تحقيق شاكرا العاشور / ط 2 / دار الينابيع / 2008
- (34) صحيح البخاري / كتاب الرقاق 4/204 رقم الحديث 6478
- (35) المصدر نفسه 4/204 رقم الحديث 6473
- (36) المصدر نفسه
- (37) نهج البلاغه / الامام علي / ص 543
- (38) شرح دلائل الاعجاز ص 28
- (39) ينظر علم الدلالة احمد مختار عمر ص 68

(62) ينظر كتاب الحيوان 287/1

(63) صحيح البخاري كتاب الادب

(64) ينظر صيد الخاطر ص532

(65) خصائص التراكيب/ دراسه تحليلية لمسائل علم المعاني د.محمد ابو موسى/  
ص14

(66) المخصص ، ابن سيده

(67) صيد الخاطر ص407

(68) المصدر نفسه ص67

(69) الطبقات الكبرى 180/1

(70) ديوان الشافعي ص86

(71) فن واسرار اتخاذ القرار / ص95 المركز الكندي للتنمية البشرية

(72) حلية الاولياء 381/1

(73) احياء علوم الدين 547/4

(74) دلائل الاعجاز ص594

(75) دلالة الالفاظ ابراهيم انيس ص9

(76) المصدر نفسه ص11

(77) ينظر اخلاق العلماء الامام ابو محمد بن الحسين الاجري ص95

(78) المصدر نفسه ص95

(79) ينظر القدوة دراسة تحليلية تاريخيه في مواصفات الشخصية المثاليه ص61

(80) أخلاق العلماء ص99

(81) صيد الخاطر ص376

(40) اللغة والمعنى والسياق / جون لاينز ص83

(41) الانسان وعدالة الله في الارض د.محمد سعيد رمضان البوطي ص21

(42) المصدر نفسه ص96

(43) ديوان الامام علي ص94

(44) التبيان في آداب حملة القرآن الامام النووي ( 67هـ - 1427هـ - 2006م بغداد

(45) ينظر المثل السائر ص4

(46) احياء علوم الدين 417/2

(47) احياء علوم الدين 554/4

(48) المصدر نفسه 4 / 539

(49) الخصائص / ابن جني 15/1

(50) احياء علوم الدين 537/4

(51) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء 372/1

(52) صحيح البخاري / كتاب فضائل القرآن 228/6

(53) ينظر الموافقات للشاطي 94/2

(54) الحيوان 2 / 145-146

(55) مجموعة فتاوي ابن تيميه / 84/28

(56) صيد الخاطر ص22

(57) المصدر نفسه ص22

(58) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة للنابلسي ص175-176

(59) تيناً : خروج رجل المولود قبل رأسه

(60) غيلاً : لبن الحبل

(61) مقه : ضجر

### قائمة المصادر والمراجع

- 1- إحياء علوم الدين / الامام ابو حامد محمد الغزالي (-505) / ط4 / دار الكتب العلمية / بيروت / 2005م
- 2- أخلاق العلماء / الامام ابو محمد بن الحسين الآجري (-360هـ) اعتنى به واختصر اسانيده خالد محمود خادم السروجي / ط1 / الدار الدمشقية مكتبة ابن القيم 2006هـ
- 3- الانسان وعدالة الله في الارض / د. محمد سعيد رمضان البوطي / ط3 / 1396هـ - 1976م
- 4- أسماء الله الحسنى / الامام شمس الدين عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ( -751هـ ) مرتح : عماد زكي البارودي / المكتبة التوفيقية .
- 5- إعجاز القرآن / القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني / تعليق : ابي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة / ط1 / دار الكتب العلمية / بيروت - 2001م .
- 6- البيان والتبيين / ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تح : عبدالسلام محمد هارون / ط5 / مطبعة المدني 1405 هـ - 1985م .
- 7- التبيان في آداب حملة القرآن / الامام أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (-) 1427/676-2006م
- 8- التفسير القيم / الامام ابن القيم ( -751هـ ) / جمعه : محمد أويس المدني / تح: محمد حامد الفقي / لجنة التراث العربي / بيروت .
- 9- حلية الاولياء وطبقات الأصفياء / الحافظ ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني / ط2 / 1387 هـ - 1967م .

- 10- الخصائص / ابو الفتح عثمان بن جني / تح : محمد علي النحار / ط1 / مطبعة دار الكتب المعديه / القاهرة / 1370 هـ - 1952م .
- 11- خصائص التراكيب / دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني / د.محمد أبو موسى / ط3 / بلا تأريخ .
- 12- دلائل الاعجاز / الشيخ الامام ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني النحوي (-471هـ) قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر / مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة مطبعة المدني / بلا تاريخ
- 13- دلالة الألفاظ / د.ابراهيم انيس / ط5 / 1948 / الناشر / مكتبة الانجلو مصريه.
- 14- ديوان ابي الفتح البستي/تح: شاكر العاشور/ط2/دار الينابيع/2008م .
- 15- ديوان الامام علي / جمع وتعليق د.احمد احمد شتيوي / دار الغد الجديد / المنصوره / ط1 1424هـ - 2003م
- 16- ديوان الشافعي رحمه الله ( -204هـ ) / جمع وتعليق مختار فوزي النعال / دار الرضوان / حلب / 2004م .
- 17- رحمة الأمه في اختلاف الأئمه / ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الدمشقي العثماني الشافعي / من علماء القرن الثامن البحري / ط1 / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بلا تاريخ .
- 18- رسائل الجاحظ / ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري ( -255هـ ) ، شرحه وعلق عليه : محمد باسل عيون السود / ط1 / دار الكتب العلمية / بيروت 2000م .
- 19- الشعر / ارسطو طاليس / تح : د.شكري عباد / دار الكتب العربي للطباعة والنشر - 1386هـ - 1976م.

- 30- مجموعه فتاوي ابن تيميه / تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن تيميه / (-) 728هـ / ط1 / دار الوفاء / المنصوره / 1997م .
- 31- محمد (صلى الله عليه وسلم ) الانسان الكامل / محمد بن علوي المالكي الحسني / دار الشروق للنشر والتوزيع / السعوديه ط3 1404هـ-1984م .
- 32- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ضياء الدين نصر الله بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الاثير الجزري (-637هـ) / تح : الشيخ كامل محمد محمد عويضة / دار الكتب العلميه / بيروت / ط1 / 1998م .
- 33- المخصص / ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بأبن سيدة / قدم له د. خليل ابراهيم جّال / ط1 / دار أحياء التراث العربي / بيروت / 1996م .
- 34- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / وضعه محمد فؤاد عبدالباقي / دار أحياء التراث / بيروت .
- 35- المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربيه / ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومود علي النجّار / المكتبه الاسلامي للطباعه والنشر والتوزيع.
- 36- الموافقات / الشاطي / دار المعرفه / بيروت .
- 37- موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، آيات الله في الانسان / د.محمد راتب النابلسي / الموضوعات الطبيه في القرآن الكريم / تأليف الطبيب محمد جميل عبدالستار الحبال / مراجعة وتقديم الشيخ ابراهيم النعمة / ط1 / مكتبة الارقم / الموصل 1415هـ - 1995م .
- 38- نهج البلاغه / الامام علي بن ابي طالب / مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي ( عليه السلام ) / ضبط نصه وابتكر فهارسه العلميه د.صبحي الصالح / دار الكتاب اللبناني / ط3 / 1983م

- 20- شرح دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني (-471هـ) ، د.محمد ابراهيم شادي / دار اليقين للنشر والتوزيع / مصر / ط1 / 1431هـ-2010م
- 21- الشمائل المحمديه / الامام الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (-) 279هـ ) ، اعتنى به : عبد اللطيف إدلبي / دار الاصلاح للطباعه والنشر / سوريه / 2009م .
- 22- صحيح البخاري / الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن المغيره البخاري (-256هـ) / دار الكتب العلميه / بيروت / ط5 / / 2007م .
- 23- صيد الخاطر / الامام جمال الدين ابو الفرجه بن الجوزي (-597هـ) / تحقيق : د.حامد احمد الطاهر / دار الفجر للتراث / القاهره / ط1 / 1424هـ-2003م
- 24- الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الاخيار / ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الانصاري الشافعي المعروف بالشعراني من اعيان القرن العاشر الميلادي / بلا تاريخ .
- 25- علم الدلاله / احمد مختار عمر / مكتبة العرويه / الكويت 1402هـ-1982م
- 26- فن وأسرار اتخاذ القرار / د.ابراهيم الفقي / المركز الكندي للتنميه البشريه .
- 27- القدوة دراسه تحليليه تاريخيه في مواصفات الشخصيه المثاليه / محمد جلوب فرحان استاذ الفلسفه المساعد/ دار الكتب للطباعه والنشر / الموصل / 1990م.
- 28- كتاب الحيوان / ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تح : عبدالسلام محمد هارون / ط3 / منشورات المجمع العلمي العربي الاسلامي / بيروت 1969م.
- 29- اللغة والمعنى والسياق / جون لاينز / ترجمه : دزعباس صادق / دار الشؤون الثقافيه العامه ط1/1987م

## THE ROLE OF COLLOCATION IN DETERMINING THE MEANING OF HOMONYMS IN THE GLORIOUS QUR'AN WITH REFERENCE TO ENGLISH

Muhammed Barjes Salman  
Assist. instructor  
College of Education  
Department of English

Abid Hmood Ali  
Instructor  
College of Education  
Department of English

### Abstract

The language of the Glorious Qur'an receives great deal of attention by linguists and interpreters alike because of its amazing dexterity employed to reveal the intended meaning. The present study is a semantic one. It attempts at shedding light upon certain characterizing features of the Qur'anic language. The study is devoted to show the role of collocation in determining the meaning of homonyms in the Glorious Qur'an. To carry out the present study, eight examples from the Glorious Qur'an are studied with the analysis of two different translations of these examples to check to what extent the translators give equivalent translations to the studied homonyms. It is found that grammatical and lexical collocation is of a vital role in determining the meaning of homonyms in the Qur'anic text. In addition, collocation is a good means to get rid of ambiguity of homonyms in the Glorious Qur'an for collocation participates identifying the meaning of homonym accurately. Sometimes, the translator fails to give the exact meaning of some homonyms because he depends on one of the meanings of the homonym that is not intended in the translated Ayah.

## 1. Introduction

The miraculous nature of the Glorious Qur'an is represented by its language. This language, unlike ordinary language, underlies a variety of meanings. Rhetoricians and linguists have shown an increasing interest in it. The multiple meanings of the lexical item may lead to semantic ambiguity which poses real problems in determining the intended meaning to be conveyed. A number of ways are adopted by linguists to study the lexical items that have more than one meaning. One of them is the study of 'homonyms', which are lexical items that each one has different meanings.

This study aims at showing how to determine the meaning of the homonym by using collocation. By collocation, the reader or interpreter of the Glorious Qur'an can look at the words (lexical or grammatical) that accompany the homonym to determine its meaning. This is because most homonyms in Arabic collocate with different words according to the intended meaning. A homonym may have a specific meaning when it is followed by a specific preposition and it has another meaning when it is followed by another word. For example, the verb (ضَرَبَ) collocates with the preposition (في) and the noun (الأرض) when it means 'travel' whereas it collocates with the noun (مَثَل) when it means 'clarified' or 'described' by giving examples.

The current study is confined to the study of homonyms rather than other lexical relations. It tries to show the role of collocation in determining the meaning of homonyms in the Glorious Qur'an.

It is hoped that the type of analysis conducted in this study will be useful for the purpose of understanding the Qur'anic language fully. It also, sheds valuable light upon the field of semantic study in the Glorious Qur'an. To the best of the researchers knowledge, a separate study entirely dedicated to the

semantic analysis of homonymy in the Glorious Qur'an has been lacking so far. This study is designed to fill such a gap.

To achieve the aims of this study, some relevant notions and definitions will be introduced in order to provide a background knowledge necessary to the data analysis. The data, that will be analyzed, consist of eight examples from the Glorious Qur'an with the analysis of two different translations of these examples to check to what extent the translators give equivalent translations to the studied homonyms.

## 2. Homonyms

Richards *et al* (1992:168) indicate that homonyms are "words which are written in the same way and sound alike but which have different meanings. For example, the English verb 'lie' in 'you have to lie down' and 'lie' in 'Don't lie tell the truth!'".

Crystal (2003:220) defines homonymy as "a term used in semantic analysis to refer to lexical items which have the same form but different in meaning. Homonyms are illustrated in the various meanings of bear (=animal, carry) or ear (of body, of corn)".

The use of one lexical item to refer to two or more different meanings is called (المشترك) 'Al-Mushtarak' (homonymy) by Arab linguists. These different meanings must appear in one language. This concept is not agreed upon. Some people reject it, but many others show that it is possible to happen. It usually appears when two speakers use one lexical item to refer to different things. Sometimes, one speaker uses a lexical item to refer to different meanings to obscure or hide his intention. Many linguists show that 'homonymy' is necessary to happen because the lexical items are limited but the meanings or ideas are not limited. So, the need to express different meanings requires the existence of this phenomenon in language use. For example, the lexical item (عين) can be used in many meanings

like 'eye', 'spring', 'spy', 'cash', 'the same' ..etc. (Al-Sayuti, 1998:292-295).

Ma'an (2001:42) shows that (الاشتراك) 'homonymy' is one of the sources of the semantic richness of language. Linguists define it as the one lexical item that indicates multiple meanings. This phenomenon is named differently before Arab linguists agreed to call it (الاشتراك) or (المشترك).

Yule (2006:106-107) mentions that homonym is one form (written or spoken) that has two or more unrelated meanings. Example of homonyms are the pairs: bank (of river) – bank (financial institution), mole (on skin) – mole (small animal), and pupil (at school) – pupil (in the eye).

Mohammad (2007:111-112) shows that two characteristics must be available to consider the lexical item homonym which are:

- 1- The similarity or unity of the form of the lexical item. This means that the lexical item must be the same without any change that gives different meanings.
  - 2- The difference of meaning that the same lexical item refers to.
- Butris (2003:7) adds another characteristic which is:
- 3- The multiple meanings of one lexical item must be real (not metaphorical) and used equally by language speakers. For example, the noun (الخال) which means 'the mother's brother', 'mole in the face', 'big camel'...etc.

It seems necessary to regard the notion of polysemy because of its similarity and relevance to the identification of homonymy. According to Crystal (2003:359), polysemy is "a term used in semantic analysis to refer to a lexical item which has a range of different meanings, e.g. plain = 'clear', 'unadorned', 'obvious'..."

The distinction between homonymy and polysemy is not always clear cut. However, one indication to distinguish can be

found in the typical dictionary entry for words. If a word has multiple meanings (polysemic), there will be a single entry with a numbered list of the different meanings of the word. If two words are treated as homonyms, they will have two separate entries. Moreover, relatedness of meaning has a crucial role in determining the meanings of polysemy, whereas homonyms have quite separate meanings and have accidentally the same form. Another distinction is that where the differences found in the meaning of various words are regular and predictable, we have polysemy rather than homonymy. A different of establishing polysemy rather than homonymy is to look for a central meaning or a core of meaning. Though ambiguity can result from grammatical and lexical differences, it can be used as a criterion for establishing homonymy rather than polysemy (Palmer, 1981: 101-106; Leech, 1981: 227-229; Yule, 2006:107).

### 3. Reasons Behind the Appearance of Homonyms in Arabic

There are several reasons behind the appearance of homonymy in Arabic:

- 1- The semantic development or change , which means that a lexical item is used originally to refer to one thing. Then, its use is changed in a dialect to refer to another thing and both meanings start to be conveyed in the language. For example, the noun (الهِجْرَس) means 'monkey' in Al-Hijaz dialect and it means 'fox' in Tameem dialect. This noun was originally used to refer to only one of these two animals, but its use is changed in one of these dialects to the other meaning.
- 2- Some morphological rules change the form of one word by the process of derivation and transformation to become like another word, which has a different meaning. For example, the verb (وَجَدَ), which means 'find' and 'to be angry'.

- 3- The existence of different dialects in old Arabic. The lexical item may be used in one meaning in a dialect and in another meaning in other dialects.
- 4- The phonological development which the lexical item may have. For example, the noun (نَقْمَة) 'indignation' is changed by this process through time into the noun (نَامَة). The last noun is still have the meaning of its original noun with its other meanings.
- 5- The lexical item is transferred from its original meaning into its metaphorical ones. For example the noun (عَيْن) means originally 'eye', then it is used metaphorically as 'spy'.
- 6- Sometimes, homonyms appear when a person wants to deceive others or to hide information by using one word in a way to seem as if it refers to a meaning other than its original meaning.

(Hilal, 2002:287-290; Butris, 2003:7)

### 4. Collocation

Halliday and Hassan (1976:284-288) indicate that collocation is one of the important lexical cohesive devices in text together with reiteration. Collocation achieves cohesion by the association of lexical items that regularly co-occur.

According to Crystal (2003:82), collocations is "a term used in lexicography by some linguists to refer to the habitual co-occurrence of individual lexical items. For examples, *auspicious* collocates with *occasion, event, sign, etc.* ... Collocation is, then, a type of syntagmatic lexical relation."

Richards, et al (1992:62-63) show that the concept of collocation is concerned with the way in which words are used together regularly. It refers to the restrictions on how words can be used together, such as which prepositions are used with particular verbs, or which verbs and nouns are used together. For

example, in English the verb 'perform' is used with 'operation', but not with 'discussion':

- 1- The doctor performed the operation.
- 2- \* The committee performed a discussion.

Instead, to make this last sentence correct, it can be said:

- 3- The committee held/had a discussion.

Some linguists differentiate between lexical collocation and grammatical collocation. Lexical collocation refers to the combination of two lexical items [nouns, verbs, adjectives and adverbs]. On the other hand, grammatical collocation refers to the combination of a lexical item with 'grammatical item or grammatical construction', like 'do in', 'put up with', 'on approval', 'under consideration', 'proud of'...etc. (Gramley and Pätzold, 1992:61).

A Distinction which is parallel to the open / restricted collocation is the grammatical / lexical collocations. Grammatical collocations are combinations which consist of a word and a preposition such as: depend on, afraid of, by heart or a grammatical structure an infinitive or a clause. On the other hand, lexical collocations consist of nouns, verbs, adjectives and adverbs (Abu-Ssaydeh, 1995:13).

Trask (1993:49) refers to collocational restrictions as one which is usually idiosyncratic or specific: 'grill' collocates with 'meat' but not with bread. This issue is explained by Hanna *et al* (1997:21) when they add that collocation is subject to some restrictions: (1) Agreement of collocation: this means the fitness of words with each other. It depends on our linguistic knowledge, e.g. the word 'pretty' does not go with 'man', so we say 'pretty girl' or handsome man; (2) collocation range: this means the range in which the words is used, e.g. the verb 'die' can be used with words such as: 'human being', 'animal' or 'plant'; (3) Collocation recurrence: this means that collocation has recurrence of some words which cannot be changed because of

the agreement of the speakers, e.g. we can say 'to make a journey' while we cannot 'to make a walk' but 'to take a walk'.

Johnson and Johnson (1999: 57) define collocation as "one of the binding forces in language, organizing lexis according to which words typically occur together and showing networks of word association".

The relations among vocabulary items in texts are of two principal kinds, which are collocation and reiteration. Collocation refers to the probability that lexical items will co-occur. On the other hand, reiteration means either restating an item in a later part of the discourse by direct repetition or reasserting its meaning by exploiting lexical relations. The role of played by collocation and reiteration distinguishes text from a random sequence unconnected sentences (Tehrani and Yeganeh, 1999:32-33).

McIntosh *et al* (2009:V) show that collocation runs through the whole of the English language and it can be seen that one can not find a piece of natural spoken or written English without collocation. Choosing the right collocation makes language much more natural and more native-speaker-like. For example, the one who says 'strong rain' will be understood by others, but it needs more effort by the listener [because originally 'rain' collocates the adjective 'heavy' not 'strong']. So, it can be said that one who chooses the best collocation will express himself or herself much more clearly and be able to convey not just a general meaning, but something more precise. This can be made clear in the following two sentences:

- 1- This is a good book and contains a lot of interesting details.
- 2- This is a fascinating book and contains a wealth of historical detail.

Both sentences are perfectly 'correct' in terms of grammar and vocabulary, but the second one is more clear because of the



use of correct collocations, which are 'fascinating' with 'book' and 'wealth' with 'detail'.

Concerning the current research, collocation will be studied according to its relationship with homonym (one lexical item has different meanings). This idea is adopted by Finch (2005:145) when he indicates that collocation refers to the tendency for certain words to occur together. Then, he mentions that one word may give different meanings according to the words that collocate it. For example, the word 'clear' can be found with a number of nouns with different meanings, for example: *clear sky* [without clouds] and *clear idea* [understandable]. Also, the word 'strong' has a completely different meanings, for example: *strong tea* [thick] and *strong idea* [good].

Collocations should not be confused with 'association of ideas'. The way lexemes work together may have nothing to do with 'ideas'. We say 'green' with 'jealousy' (not blue, red, .etc.), though there is nothing literally 'green' about 'jealousy' (Crystal, 1987:105).

Studying collocation is related to how words go together i.e. identifying which words may occur in constructions with other words. Some words often occur together, other words may occur together occasionally, and some combinations of words are not likely to occur. This means that collocation shows the occurrence of words together in the syntactic structure, so it is a matter of combination not of meaning. Idiom, on the other hand, are considered by some linguists as special collocation or fixed combinations of words. As opposed to collocation, idioms have a meaning as a whole, but the meaning of this combination is not the same as the meaning of the individual words that the idiom consist of. Idioms often have the same meaning as other lexical items in the language, but carry certain 'emotive connotations' not expressed in the original words that carry the same meaning. For

example, in English the idiom 'kick-the-bucket' has the same meaning as the verb 'die', but it shows a certain lack of respect. Also, the idiom 'hit the sack' means 'to go to bed', but is more informal (Larson, 1984:141-142).

Another important feature of collocations is that the constituents elements of collocations are, to varying degrees, mutually selective. The semantic integrity of a collocation is the more marked if the meaning of one of its constituents is contextually restricted. For example, the sense of 'heavy' requires narrowly defined contextual conditions: one may speak of 'a heavy smoker' or 'a heavy drug-user', a car may be 'heavy on patrol'. So, to select any one of these senses, one should depend on the immediate environment (Cruse, 1986:40).

Richards *et al* (1992:172) indicate that idiom is "an expression which functions as a single unit and whose meaning cannot be worked out from its separate parts. For example:

1- She washed her hands of the matter. Means: She refused to have anything more to do with the matter.

## 5. Data Analysis

Eight examples will be studied for showing The role of collocation in determining the meaning of homonyms in the Glorious Qur'an with reference to English with the analysis of two translations of these Ayas:

### SL Text: (1 A)

((فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠١﴾ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)) (الشعراء: 101-100)

### TL Texts:

((("Now, then, we have none to intercede (for us) "Nor a single friend to feel (for us),)) (Ali, 2001:920)

((Now we have no intercessors. Nor a close friend (to help us) ))

(Al-Hilali and Khan, 2007:497)

**SL Text: (1 B)**

(( وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ )) (يونس: 4)

**TL Texts:**

((But those who reject Him will have a drink of boiling fluids))

(Ali, 2001:480)

((But those who disbelieved will have a drink of boiling fluids))

(Al-Hilali and Khan, 2007:281)

**Discussion:**

The noun (حَمِيم) means 'close person who look after others' in the first Ayah whereas this noun means 'a very hot water' in the second Ayah (At-Tunji, 2003:143).

The meaning of the noun (حَمِيم) can be determined by collocation in these two Ayas. So, it means 'close' when it collocates lexically with the noun (صَدِيق) 'friend' and it means 'very hot' when it collocates lexically with the noun (شَرَاب) 'drink' because fluids can be very hot and the friends can be close and cannot be very hot.

Al-Hilali and Khan give an equivalent translation to the noun (حَمِيم) in the first Ayah because they use the adjective 'close' before the noun 'friend', whereas Ali does not use this adjective but he uses the phrase 'to feel for us' to convey its meaning. The noun (حَمِيم), in the second Ayah, is translated as 'boiling fluids' in both translations, which is equivalent.

**SL Text: (2 A)**

(( وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ )) (البقرة: 273)

**TL Texts:**

((And whatever of good ye give, be assured Allah knoweth it well))

(Ali, 2001:114)

((And whatever of you spend in good, surely, Allah knows it well))

(Al-Hilali and Khan, 2007:73)

**SL Text: (2 B)**

(( وَ لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ )) (آل عمران: 104)

**TL Texts:**

((Let there arise out of you a band of people inviting to all that is good))

(Ali, 2001:154)

((Let there arise out of you a group of people inviting to all that is good (Islam) )) (Al-Hilali and Khan, 2007:100)

**Discussion:**

The noun (خَيْر) in the first Ayah, means 'money' and it means 'goodness' as opposed to 'badness' in the second Ayah (Al-Esfahani, 2004:181).

The verb (تَنْفِقُ) 'spend' collocates with the noun (خَيْر) in the first Ayah, therefore the noun (خَيْر) means 'money' because money can be spent not goodness. On the other hand, the noun (خَيْر), in the second Ayah, means 'goodness' because it collocates with the verb (يَدْعُو), which means inviting people to do good deeds.

Both translations of the first Ayah adopted the noun 'good' to translate the noun (خَيْر) in the SL text. They do not even refer to 'money', which is the interpretation of the noun (خَيْر) as indicated by many interpreters of the SL text. So, these two translations do not convey exactly the meaning of this noun into the TL text. In the second Ayah, the noun (خَيْر) is translated into the phrase 'all that is good' in both translations and this phrase represent equivalent translation.

**SL Text: (3 A)**

(( رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ )) (نوح: 28)

### TL Texts:

(( "O my Lord! Forgive me, my parents, all who enter my house in faith and (all) believing men and believing women)) (Ali, 2001:1537)

(( "My Lord! Forgive me, and my parents, and him who enters my home as a believer, and all the believing men and women))

(Al-Hilali and Khan, 2007:780)

### SL Text: (3 B)

(( وَرَبَائِكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ )) (النساء: 23)

### TL Texts:

((your step-daughters under your guardianship, born of your wives to whom ye have gone in)) (Ali, 2001:191)

((your stepdaughters under your guardianship, born of your wives to whom you have gone in)) (Al-Hilali and Khan, 2007:122)

### Discussion:

The verb (دَخَلَ) means 'enter' in the first Ayah. It carries this meaning when it accompanies words that refer to a place or time and it can be seen that it accompanies the noun (بَيْت) 'home' in this Ayah. In the second Ayah, it means 'to have sexual intercourse' and when it is used to convey this meaning in Arabic, it accompanies the preposition (بِ) (grammatical collocation) followed by the noun (امْرَأَة) 'woman' or a pronoun that refer to a woman (Al-Esfahani, 2004:186-187).

The verb 'enter' is used in the TL text as a translation of the verb (دَخَلَ) by both translations in the first Ayah, which represents an equivalent translation. The verb (دَخَلَ), in the second Ayah, is translated as 'have gone in' in both translations. This translation does not convey a completely equivalent meaning because it may be understood as just going in with a woman in the same place whether other people are there with them or not

and without referring to what they do to make this rule be applied on them.

### SL Text: (4 A)

(( فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا )) (البقرة: 239)

### TL Texts:

((If ye fear (an enemy), pray on foot, or riding, (as may be most convenient) )) (Ali, 2001:98)

((And if you fear (an enemy), perform Salat (pray) on foot or riding))

(Al-Hilali and Khan, 2007:64)

### SL Text: (4 B)

(( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ )) (الأحزاب: 23)

### TL Texts:

((Among the believers are men who have been true to their Covenant with Allah)) (Ali, 2001:1062)

((Among the believers are men who have been true to their Covenant with Allah)) (Al-Hilali and Khan, 2007:562)

### Discussion:

The noun (رجال), in the first Ayah, means 'on foot' (Az-Zamakhshari, 2005:140). In the second Ayah, it means 'men' and it refers to a number of men who performed their covenant completely (ibid, 2005:852).

The noun (رجال) 'on foot', in the first Ayah, collocates with the noun (رُكْبَانًا) 'riding' and this makes its meaning clear because both of them are ways of moving or traveling from one place to another. In the second Ayah, it accompanies the noun (المؤمنين) 'believers', therefore it cannot refer to the meaning in the first Ayah, but it means 'men'. This is because men are those who can believe and the meaning of 'on foot' is not suitable here.

The prepositional phrase 'on foot' is used by both translations to convey the meaning of the word (رجال), in the first Ayah. Also, the noun 'men' is used by both translations to convey

the meaning of the noun (رجال) in the second Ayah. All of these translations are equivalent ones.

### **SL Text: (5 A)**

((وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ)) (النساء: 101)

### **TL Texts:**

((when ye travel through the earth)) (Ali, 2001:218)

((And when you (Muslims) travel in the land))

(Al-Hilali and Khan, 2007:138)

### **SL Text: (5 B)**

((فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ)) (الأنفال: 12)

### **TL Texts:**

((Smite ye above their necks)) (Ali, 2001:416)

((So strike them over the necks)) (Al-Hilali and Khan, 2007:244)

### **SL Text: (5 C)**

((وَ كَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ)) (الفرقان: 39)

### **TL Texts:**

((To each on We set forth parables and examples)) (Ali, 2001:898)

((And for each (of them) We put forward examples as proofs and lessons)) (Al-Hilali and Khan, 2007:486)

### **Discussion:**

The verb (ضَرَبَ) and its derived forms are used in different meanings in the Glorious Qur'an. In the first Ayah, it means 'walk' or 'travel'. In the second Ayah, it means 'strike' and it means 'to clarify' or 'to describe' by giving examples or parables in the third Ayah (Mahmood, 2008:133-134).

These meanings of the verb (ضَرَبَ) can be determined by collocation. It can be seen that whenever this verb means 'walk' or 'travel', it collocates grammatically with the preposition (في) followed by the noun (الأرض) 'earth'. When it means 'strike', it collocates nouns that refer to parts of the body or to the person

himself. Then the verb (ضَرَبَ) means 'to clarify' or 'to describe' by giving examples, it collocates with the noun (مَثَل) or its plural form (أَمْثَال) whenever it is used in the Glorious Qur'an.

Concerning translation, both translations use the verb 'travel' to convey the meaning of the verb (ضَرَبَ) in the SL text that is equivalent. The verb (اضرب), which is the imperative form of the past tense form of the verb (ضَرَبَ), is translated as 'smite' by Ali and as 'strike' by Al-Hilali and Khan. Both of them are equivalent translations because they carry the same meaning. In the third Ayah, the verb (ضَرَبَ) is translated by Ali as 'set forth', which means 'clarify', and as 'put forward', which means 'show' by Al-Hilali and Khan. Both of these translations are equivalent because clarifying or showing the matter by giving examples or parables convey the intended meaning of the verb (ضَرَبَ) in the SL text.

### **SL Text: (6 A)**

((وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذَنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا)) (المائدة: 45)

### **TL Texts:**

((We ordained therein for them: Life for life, eye for eye, nose for nose, ear for ear, tooth for tooth, and wounds equal for equal))

(Ali, 2001:262)

((And We ordained therein for them: life for life, eye for eye, nose for nose, ear for ear, tooth for tooth, and wounds for equal))

(Al-Hilali and Khan, 2007:163)

### **SL Text: (6 B)**

((فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ)) (الرحمن: 50)

### **TL Texts:**

((In them (both) will be two springs flowing (free) )) (Ali, 2001:1403)

((In them (both) will be two springs flowing (free) ))

(Al-Hilali and Khan, 2007:723)

### Discussion:

The noun (عَيْن) means 'eye' in the first Ayah and it means 'spring' in the second Ayah [but it is used in the dual form] (Al-Esfahani, 2004:396).

The noun (عَيْن), in the first Ayah, can be easily understood as 'eye' because it collocates with other parts of the body. In the second Ayah, it means 'spring' because the dual form of the noun (عَيْن) collocates lexically with the verb (تَجْرِيَانِ), which refers to the flowing of water from those springs.

The noun 'eye' represents an equivalent translation to the noun (عَيْن) in the first Ayah as it is used in both translations. Also, both translations use the noun 'spring' to refer to the dual form (عَيْنَانِ) in the second Ayah, which is equivalent translation.

### SL Text: (7 A)

((فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ)) (المائدة: 6)

### TL Texts:

((wash your faces, and your hands (and arms) to the elbows))

(Ali, 2001:247)

((wash your faces and your hands (forearms) up to the elbows))

(Al-Hilali and Khan, 2007:155)

### SL Text: (7 B)

((آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ)) (آل عمران: 72)

### TL Texts:

((Believe in the morning what is revealed to the Believers))

(Ali, 2001:145-146)

((Believe in the morning in that which is revealed to the believers (Muslims) ))

(Al-Hilali and Khan, 2007:93)

### Discussion:

The noun (وُجُوهُ) is the plural form of the noun (وَجْه), which means 'faces'. In the second Ayah, the word (وَجْه) means 'the beginning' of the day (At-Tunji, 2003:508 and Al-Esfahani, 2004:584-585).

The noun (وُجُوهُ) collocates with the noun (أَيْدِي) 'hand' in the first Ayah and both of them are parts of the body. So, the noun (وُجُوهُ) means 'faces'. In the second Ayah, the word (وَجْه) must mean 'the beginning' because it collocates lexically with a noun that refer to time.

The noun (وُجُوهُ) is translated as 'faces' in both translations and this represents an equivalent translation. The noun (وَجْه) with noun (نَهَار) 'day' are translated as 'the morning' and this conveys an equivalent meaning to the expression in the SL text because the morning is the first part of the day.

### SL Text: (8 A)

((الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۚ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)) (الرحمن: 5-6)

### TL Texts:

((The sun and the moon follow courses (exactly) computed; And the herbs and the trees – both (alike) bow in adoration)) (Ali, 2001:1397)

((The sun and the moon run on their fixed courses (exactly) calculated with measured out stages for each (for reckoning). And the herbs (or stars) and the trees both prostrate themselves (to Allah) ))

(Al-Hilali and Khan, 2007:720)

### SL Text: (8 B)

((وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ)) (النجم: 1-2)

### TL Texts:

((By the Star when it goes down – Your Companion is neither astray nor being misled))

(Ali, 2001:1377)

(( By the star when it goes down (or vanishes). Your companion (Muhammad) has neither astray nor has erred ))

(Al-Hilali and Khan, 2007:93)

### Discussion:

The noun (النَّجْم) in the first Ayah means 'herbs', which refers to the plants that grow without trunks as opposed to trees that have trunks. In the second Ayah, the noun (النَّجْم) means 'the star', which goes or fall from the sky (As-San'ani, 2000:305).

The meaning of this noun can be determined in these two Ayas by collocation. In the first Ayah, it can be seen that the noun (الشَّمْس) 'the sun' and (القَمَر) 'the moon' are collocated together because both of them are the most famous celestial or heavenly bodies for people . They are famous because the sun appears in the day and the moon appears at night. Then, (النَّجْم) means 'herbs' because it lexically collocates with the noun (الشَّجَر) 'trees'. It cannot mean 'stars' because there is no relationship between stars and trees, but the relationship between herbs and trees is clear for their representing the only two kinds of plants concerning the way of growing. In the second Ayah, the noun (النَّجْم) means 'star' for its lexical collocation with the verb (هَوَى) 'went down' or 'fell down' because only stars may fall as opposed to 'herbs'.

The noun (النَّجْم), in the first Ayah, is translated as 'herbs' by Ali, which is an equivalent translation. Al-Hilali and Khan also use the noun 'herbs', but they add 'or stars' between two brackets because some interpreters say that it means 'stars' and some of them say that it combines both meanings i.e. herbs and stars. Both Ali; and Al-Hilali and Khan use the noun phrase 'the star' to translate the noun (النَّجْم) in the second Ayah and this translation is an equivalent one.

## **6. Conclusion**

Base on what has been studied above, the following conclusions can be stated as follows:

- 1- One conclusion can be drawn from this research is that the study of meaning in the Glorious Qur'an cannot be dealt with in the scope of semantics as a single integrated discipline. Rather, it is a set of studies of the different uses of language in relation many different linguistic aspects of a text.
- 2- Collocation is of a vital role in determining the meaning of homonyms in the Qur'anic text whether a grammatical or lexical kind is employed.
- 3- It seems that a knowledge of the different meanings of homonyms with careful attention to the language used will be of benefit to identify more precisely the meaning of vocabulary items as they occur in the Glorious Qur'an.
- 4- Homonyms may be a source of ambiguity in the Glorious Qur'an. In this regard, collocation is a suitable way to get rid of it that collocation participates identifying the meaning of homonym accurately.
- 5- It seems that, sometimes, the translator fails to give the exact meaning of some homonyms because he depends on one of the meanings of the homonym that is not intended in the translated Ayah.
- 6- It is concluded that the semantic analysis of lexical relations can be a good means to understand the exact meaning of the lexical items in the Glorious Qur'an.

## BIBLIOGRAPHY

- Ali, A. Y. (trans.) (2001). *The Meaning of th Holy Qur'an*. 10<sup>th</sup> Edition. Beltsville: Amana Corporation.
- Butris, Antonios (2003). *Al-Mu'jam Al-Mufasal fil-Adhdad*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.
- Crystal, David (1987). *The Cambridge Encyclopedia of English Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- (2003). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. Oxford: Blackwell Publishing Ltd.
- Cruse, D. A. (1986). *Lexical Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Al-Esfahani, Al-Husein M. (2004). *Mu'jam Mufradat Alfaz al-Qur'an*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.
- Finch, Geoffrey (2005). *Key Concept in Language and Linguistics*. England: Palgrave Macmillan Press.
- Gramley, Stephan and Pätzold, Kurt-Michael (1992). *A Survey of Modern English*. London: Routledge.
- Halliday, M. A. K. and Hassan, R. (1976). *Cohesion in English*. London: Longman.
- Hanna, S. A. ; Husam Ad-Din, K. and Greis, N. (1997). *Dictionary of Modern Linguistics*. Beirut: Lebanon Library Publishers.
- Hilal, Abdul-Ghaffar (2002). *'Ilm ul-Lugha Bein al-Qadeem wal-Hadeeth*. Cairo: Al-Jiresi.
- Al-Hilali, M.T. and Khan, M.M. (trans.) (2007). *Interpretation of the Meanings of the Noble Qur'an in the English Language*. Riyadh: Darussalam.
- Larson, Mildred L. (1984). *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. New York: University Press of America.
- Leech, Geoffrey (1981). *Semantics*. 2<sup>nd</sup> Edition. England: Penguin Books.

- Ma'an, Abbas Mushtaq (2001). *Al-Mu'jam Al-Mufasal fi Fiqh ul-Lugha*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.
- Mahmood, A. Abdul-Fattah (2008). *Nadhariyat ul-Siyag al-Qur'ani*. Amman: Dar Wa'il for Printing-Publishing.
- McIntosh, C. ; Francis, B. and Poole, R. (2009). *Oxford Collocations Dictionary for Students of English*. Oxford: Oxford University Press.
- Mohammad, A. Sh. (2007). *Al-Mushtarak Al-Lafdhi fil-Lughat-il-Arabiyyah*. Baghdad: Markaz Al-Bohooth wad-Dirasat Al-Islamiyah.
- Palmer, F.R. (1981). *Semantics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Richards, Jack, Platt, John and Platt, Heidi (1992). *Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics*. 2<sup>nd</sup> Edition. England: Longman.
- As-San'ani, M. I. (2000). *Tafseer Ghareeb-ul-Qur'an*. Damascus: Dar Ibn Katheer.
- Al-Sayūti, Jalal-ud-Deen (1998). *Al-Muzhir fi 'Ulūm il-Lughati wa 'Anwa'uhā*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.
- Abu-Ssayadeh, A.F. (1995) "An Arabic English Collocational Dictionary: Issues in Theory and Methodology." *Babel*. Vol. 41, No.1, PP. 12-23.
- Tehrani, N.J. and Yaganeh, A.S. (1999). *A Dictionary of Discourse Analysis*. Tehran: Rahnama Publications.
- Trask R. L. (1993). *A dictionary of Grammatical Terms in Linguistics*. London: Routledge.
- At-Tunji, M. (2003). *Al-Mu'jam al-Mufaṣṣal fi Tafseer Ghareeb-il-Qur'an-il-Kareem*. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.
- Yule, George (2006). *The Study of Language*. 3<sup>rd</sup> Edition. Cambridge: Cambridge University Press.
- Az-Zamakhshari, M.O. (2005). *Tafseer ul-Kashshaf*. Beirut: Dar El-Ma'rifah.

## إشباع الحركة والاجتزاء بها عن حرف المد في اللهجات العربية القديمة

د. عماد حميد أحمد الخزرجي  
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله المنعوت بجميل الصفات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
أشرف الكائنات.  
وبعد، فإنَّ الدراسات اللهجية واحدة من الدراسات التي أغنت علوم اللغة  
بالكثير من الفوائد، فضلاً عن حفظ الكثير من آثار العلماء وآرائهم، فأعنتى قسم من  
العلماء بدراسة اللهجات عنابة كبيرة.  
وعند اشتغال العلماء بالتأليف لم تأخذ الدراسات اللهجية حظاً وافراً في هذا  
المجال إذا ما قيست بالدراسات الأخرى كالدراسات النحوية والصرفية.  
لقد أدرك علماء اللغة الأوائل الفرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة أو  
الحركات في المخارج والصفات، وعبروا عن هذا الفرق بعبارة دقيقة تدل على العمق  
والتنوع، وجعلوا ميدان دراستهم القراءات القرآنية والعربية الفصحى ولهجاتها.  
ولما اطلعت على جهود الباحثين المحدثين في هذا المجال وجدتهم يتناولون  
(إشباع الحركة) ويهملون (الاجتزاء بها عن حرف المد)؛ فضلاً عن أنَّ الإشباع  
عندهم يكون في وسط الكلمة لا في طرفها، وهذا مما دفعني إلى بحث إشباع الحركة

والاجتزاء بها عن حرف المد في طرف الكلمة لا في وسطها، وجعلت ميدان دراستي  
اللهجات العربية القديمة مع الاستشهاد بالآيات القرآنية وقراءاتها.  
واقترضت دراسة الموضوع أن ينقسم على مبحثين يسبقهما تمهيد وتليهما  
خاتمة.  
تناولت في التمهيد (العلاقة بين الصوائت القصيرة والطويلة) وبينت أيهما  
بعض من الآخر.  
أما المبحث الأول فقد أخلصته للحديث عن (إشباع الحركة) معتمداً في بيانه  
على ثلاثة محاور هي: (إشباع حركة ضمير الغيبة المتصل) و (إشباع ضمة ميم  
الجمع) و (بقاء حرف المد في طرف الأفعال والأسماء).  
وتحدثت في المبحث الثاني عن (الاجتزاء بالحركة عن حرف المد) مبتدئاً بـ  
(الاكتفاء بحركة ضمير الغيبة المتصل) ثم اتبعته بـ (حذف حرف المد في طرف  
الأفعال والأسماء).  
وختمت البحث بملخص للناتج التي توصلت إليها في دراستي.  
وإذ أقدم بهذا البحث أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الدارسين وينفعني  
بأجره (إنَّ الله سميع عليم).



## التمهيد

### العلاقة بين الصوائت القصيرة والطويلة

تحدث علماء الصوت على المصوتات القصيرة من خلال علاقتها واجتماعها مع المصوتات الطويلة؛ فقد وردت عندهم إشارات إلى العلاقة الصوتية بين المصوتات الطويلة (حروف المد واللين) والمصوتات القصيرة (الحركات)، وهذه العلاقات يمكن وصفها بعلاقة الجزء بالكل، قال سيبيويه (ت 180هـ): ((الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمّة من الواو))<sup>(1)</sup>.

وقد أفاض ابن جني (ت 392هـ) في الحديث عن هذه الفكرة، وله عبارة مشهورة في ذلك، قال: ((أعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو؛ فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو))<sup>(2)</sup>.

أمّا ما ذكره ابن الأنباري (ت 577هـ) في قوله: ((وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز في ضرورة الشعر إشباع الحركات التي هي الضمة والكسرة والفتحة فينشأ عنها: الواو، والياء، والألف))<sup>(3)</sup>.

فلا أجد فيه ما يدل على أنّ الكوفيين يجعلون الحركات أصولاً لحروف المد. ومسألة جعل الحركات أصولاً لأحرف المد ذهب إليها علماء التجويد كلهم لأنهم يقولون إنّ إشباع الحركة يحدث عنه حرف مدّ ومنهم ابن الطحان (ت 561هـ) في قوله: ((إشباع الفتحة يحدث الألف، وإشباع الضمة يحدث الواو، وإشباع الكسرة تحدث الياء))<sup>(4)</sup>.

في حين يرى ابن عصفور (ت 669هـ) أنّهما من جنس واحد، لكن الأصل هي المصوتات الطويلة بدليل قوله: ((... الضمة من جنس الواو...))<sup>(5)</sup>. وقوله: ((... الكسرة من جنس الياء...))<sup>(6)</sup>، وقوله: ((... الفتحة من جنس الألف...))<sup>(7)</sup>. يتبين من هذه النصوص أنّ هذه الحركات هي من جنس الحروف ولذلك جاء بينهما توافق وتماثل في الخواص النطقية، بدليل وصف ابن جني لهذه الحركات (بالبعض).

قال ابن عصفور: ((وأما الحركات فلمّا كانت بعض الحروف عُمِلَتْ على صورتها فالضمّة واو صغيرة على هذه الصورة (ـُ) والفتحة ألف صغيرة ممتدة على طول الحرف، ولو لم تكن كذلك لالتبس بالألف وصورتها (ـ) والكسرة ياء صغيرة وجعلت من أسفل الحرف، لأنها قد يخل بها سرعة الخط فتلتبس بالفتحة وصورتها (ـِ))<sup>(8)</sup>.

وفي الحق أنّ ما ذهب إليه ابن جني إنّما هو خلاصة فكرة الخليل لهذه الأصوات إذ روي أنّ شكل هذه الأصوات من صنع الخليل<sup>(9)</sup>. قال أبو عمرو الداني (ت 444هـ): ((أعلم أنّ الحركات ثلاث: فتحة وكسرة وضمّة فموضع الفتحة من الحرف أعلاه، لأنّ الفتح مُسْتَعْلٍ. وموضع الكسرة منه أسفله، لأنّ الكسر مُسْتَقِلٌّ. وموضع الضمة منه وسطه أو أمامه. لأنّ الفتحة لما حصلت في أعلاه، والكسرة في أسفله، لأجل استعلاء الفتح وتسفل الكسر، بقي وسطه، فصار موضعاً للضمّة... وَلِتَجْعَلَ علامة الحركة المُشَبَّعة، إن كانت فتحة، ألفاً مُضَجَّعة))<sup>(10)</sup>.

يتبين مما ذكر أنّ الحركة جزء من حرف المد، والمد حركة طويلة، فالضمّة صوت قصير، أمّا الواو فهي صوت طويل، وتُعَدُّ ضمةً طويلة المدى. ويلاحظ أنّ الصوائت تشترك كلها في قوة إسماع عالية. تتميز به عن غيرها من أصوات اللغة، وهذا متأثّر من طريقة خروجها الانطلاقية الحرة؛ لأنّ مجرى الهواء

معها يندفع حراً طلباً من الحلق حتى خروجه من الفم من دون أن يتعرض مرور الهواء لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً في مجراها قال الدكتور غانم قدوري: ((إذ لولا وجود تضيق، وإن كان محدوداً، لما اختلفت أجراس الذوائب في السمع ولكانت صوتاً واحداً ينتج عن النغمة الحنجرية، لكن التضيق الذي تنشأ عنه الذوائب تضيق تجويفي لا موضعي))<sup>(11)</sup>.

مما يدل على انعدام ظاهرة الاحتكاك في أثناء نطقها، وقد سمح لها عدم الاحتكاك، بأن تحمل طاقة أعلى بكثير مما تحمل الصوامت التي تفقد كثيراً من طاقتها في أثناء الاحتكاك بموضع من آلة الصوت، ومما يزيد في قوة إسماع المصوتات إنها أصوات مجهورة، يهتز الوتران الصوتيان في أثناء نطقها<sup>(12)</sup>؛ وعليه فإنها أصوات هوائية تنفجر إلى حيز تنسب إليه، فخصص الجوف مخرجاً لها<sup>(13)</sup>.

أما زمن النطق بهذه الأصوات، فلا شك أن زمن النطق بالمصوت القصير (الحركة) يكون أقل من زمن النطق بالمصوت الطويل (حرف المد) عند الإشباع فضلاً عما تبينه كتابة المقاطع الصوتية، فالمصوت القصير يرمز له بـ ( - ، - / ، - / ) في حين أن المصوت الطويل يرمز له بـ ( - / ، - / ، - / ) .

## المبحث الأول

### إشباع الحركة

المراد بالإشباع هو الزيادة وإشباع الحركات أو تطويلها أو مظهرها حتى ينشأ عنها حرف من جنسها، فمثلاً عند إشباع الكسرة تنشأ الياء المدية<sup>(14)</sup>.

الذي أريد قوله أنه قد تزايدت الحركة طولاً لتتحول إلى حرف مد عند إشباعها، بزيادة زمن نطقها، فقد أثبتت الدراسة الصوتية القديمة والحديثة أن الفرق بين المصوتات القصيرة والطويلة ليس في الكمية فقط بل يصاحب ذلك اختلاف في النوعية كذلك فالياء والواو لهما طبيعة مزدوجة ترد مرة مدية مصوتة ومرة أخرى شبيهان بالصوامت فالواو والياء في (يَقُولُ) و (يَبِيعُ) غير الواو والياء في (قَوْل) و (تَبِيع). قال ابن جني: ((الضمة قد تجري مجرى الواو، وهي واو صغيرة، كما أن الكسرة ياء صغيرة، والفتحة ألف صغيرة. وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كن مدات، نحو: رسالة وصحيفة وعجوز))<sup>(15)</sup>.

وقد سبقه إليه سيبويه وعقد له باباً في كتابه سماه (باب الإشباع في الجر والرفع، وغير الإشباع والحركة كما هي) قال فيه: ((فأما الذين يُشبعون فيمططون وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة، وذلك قولك يَضْرِبُها...))<sup>(16)</sup>.

لقد عزا ابن جني إشباع الحركة إلى الضرورة مرة<sup>(17)</sup>، وإلى كونها لغة مرة أخرى<sup>(18)</sup>.

وعلى ذلك فإن لغتنا العربية هي لغة مثالية تعطي كل حركة حقها الصوتي بما ينسجم وقوانين اللغة فضلاً عن القوانين اللغوية التي تبين متى تُشَبَّعُ الحركات، وَلَمْ تُشَبَّعْ بدليل ما قاله الدكتور حسام النعيمي: ((... الحذف للسرعة، كما في { ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ } وهذا النوع من الحذف وإن كان من مظاهر البداوة، إلا أنه ورد في لغة الكتاب الكريم ليعطي السامع صورة السرعة في النطق وفي الحركة. إذ الآية

ومما ورد في الكلام النثري الذي تمثل فيه إشباع الفتحة ما حكاه الفراء (ت207هـ) : أكلت لحماً شاة، أراد لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفاً<sup>(24)</sup>. وذكر ابن جني أن مطل الحركة هنا له وظيفة وهي التذكير.

ولا أريد هنا أن أحصر كل ما ورد من إشباع لأصوات المد في اللهجات العربية، ولكن أردت أن أعطي صورة تُعرّف من خلالها المسلك الصوتي العام لهذه اللهجات إزاء هذه الظاهرة.

إن إشباع الحركة ظاهرة صوتية تكون في وسط الكلمة وطرفها، وسأقتصر في هذا المبحث ببيان إشباع الحركة في (طرف الكلمة) عند اللهجات العربية القديمة، ويتضمن ثلاثة محاور هي:

### الأول- إشباع حركة ضمير الغيبة المتصل:

اختلفت اللهجات العربية في حركة الهاء في ضمير المفرد الغائب إذ ذكر سيبويه أن الأصل في حركة الهاء هنا هو الضم وبعدها الواو، ولكن العرب تميل إلى كسرها نتيجة سبقها بياء أو كسرة، مع محافظة الضمير على أصله في لهجة أهل الحجاز من دون تغيير ف ((أهل الحجاز يقولون: مررتُ بهُ قبل، وَلَدَيْهُ مالٌ، ويقولون: {فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِذَارِهِ الْأَرْضُ}<sup>(25)</sup>))<sup>(26)</sup>. وروى الكسائي عن هوازن مثل ذلك<sup>(27)</sup>، وهذا يدل على أن أهل الحجاز ومعهم هوازن يضمنون هذا الضمير في الأحوال كلها.

وقال الفراء في ما ذكره عنه أبوحيان (ت745هـ): قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم من فصحاء اليمن يرفعون الهاء من {نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ}<sup>(28)</sup> وعليهما وعليهم وعليهن و{لَا رَيْبَ فِيهِ}<sup>(29)</sup> و{نَزَلَ بِهِ}<sup>(30)</sup> وأهل نجد من بني تميم وقيس وأسد يكسرونها<sup>(31)</sup>.

تصور حرص موسى على مقابلة العبد الصالح الذي آتاه الله من لدنه علماً، وكان فتى موسى قد نسي أن يذكر له ذهاب سمكتها في البحر قرب الصخرة، فلما أحس بالجوع وأراد الغداء ذكر له ذلك، فكان الآية تسهم بهذا الحذف في تصوير شوق موسى لسرعة اللقاء بسرعة الارتداد نحو المكان، فكانت سرعة اللفظ في الكلمة: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدًّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}، واشبع النطق إن شئت بالألف من كنا والياء من نبغي لترى الفرق بين لهفة المشتاق في النطق، وتراخي المتناقل عن اللقاء<sup>(19)</sup>. وقال الداني: ((المُحَرِّك من الحروف بالحركات الثلاث كوامل من غير اختلاس ولا توهين، يؤولان إلى تضعيف الصوت بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ، يوجبان الإتيان بعدهن بألف وياء وواو))<sup>(20)</sup>.

ولا بد من التنبيه هنا أن إشباع الحركات ابتداء كعادة نطقية سرعان ما أصبحت سلوكاً صوتياً يحتذى من اعتاد عليه.

فقد تختلف اللهجات العربية في نطق الصوائت القصيرة اختلافاً بيناً في بعض ألفاظها، فقد يحرك الحرف في لفظة بالكسر في لهجة ويكون بالضم في لهجة ثانية، وقد تُشَبَّعُ الحركة حتى تكون حرف مد، أو يجتزأ حرف المد حتى يعود حركة من جنسه<sup>(21)</sup>.

وذهب الدكتور غالب المطلبي إلى أن التحول من درجة القصر إلى درجة الطول لم يحدث ليميز بين المعاني، وإنما كان لأسباب صوتية بحتة، أو لعادة نطقية معينة<sup>(22)</sup>. ويكثر إشباع الحركة في الشعر؛ لأنَّ الضرورة تتطلب شيئاً منه، ليستقيم الوزن، ومن ذلك ما أورده ابن جني في باب (مطل الحركات) من نحو ((الألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما أنشده أبوعلي لابن هُرْمَة يرثي ابنه من قوله:

وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنترج

يريد بمنترج مفتعل من النازح))<sup>(23)</sup>.

بحرف جلد متباعد منها وتبدل منها ياء لأنَّ قبلها ياء، أو يحذف لاجتماع الواو والياء عند سيبويه؛ ولاجتماع الساكنين<sup>(36)</sup>.

ونسب ابن الانباري هذا الرأي -أعني إشباع حركة الهاء فتصبح واواً نحو (فيهُو) - للكوفيين<sup>(37)</sup> ((إلا أنَّ البحث اللغوي المقارن اثبت صحة وجهة النظر التي قال بها الخليل والكوفيون، فالهاء هي القاعدة الضميرية للغائب في اللغة السامية، تقابلها الكاف في ضمائر المتكلم والخطاب في اللغة نفسها أي السامية))<sup>(38)</sup>.

ويقول الكثير من العرب في الكلام المتصل: ((يهُو، وبدارهُو ... وسكنت دارهُو...))<sup>(39)</sup>، وإنَّ رجلاً من بكر بن وائل كان يقول: ((... منهمى...))<sup>(40)</sup>.

ولا شك أنَّ الأمثلة التي ذكرت تدل على وجود اختلاف لهجي ملموس بين لهجتي الحجاز ونجد ومن جاورهما؛ ففي الوقت الذي يميل فيه أهل الحجاز إلى المحافظة على إبقاء حركة الضمير (الضمة) وإشباعها في حالة ضمير المفرد الغائب نجد أهل نجد قد أخذوا بالإلتباس فقالوا: به ولديه وبداره<sup>(41)</sup>.

وبين سيبويه أنَّ الغاية من هذا الإلتباس هو التخفيف واليسر بالنطق، وأشار إلى أنَّه يشبه إلى حد بعيد الإمالة فقال: ((فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها خفية كما أنَّ الياء خفية، وهي من حروف الزيادة كما أنَّ الياء من حروف الزيادة؛ وهي من موضع الألف، وهي أشبه الحروف بالياء. فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء))<sup>(42)</sup>.

لا شك أنَّ حالة الانسجام الصوتي بين الصوائت القصيرة والطويلة تعد مرحلة متطورة في التطور الصوتي للهجات العربية وهذا يدلُّ على أنَّ ما استقرت عليه لهجة نجد موافقاً لما هو متداول في العربية الفصحى اليوم، في حين أنَّ هذه الظاهرة عند أهل الحجاز لا تعدو أن تكون مرحلة من مراحل التطور؛ لأنَّ تنافر الحركات يكون اسبق من انسجامها<sup>(43)</sup>.

يفهم من هذا النص أنَّ الاختلاف لم يقتصر على ضمير الغائب المفرد بل تجاوزه ليشمل ضمير الغيبة في التثنية والجمع. ((فقريش وهوازن تذهبان إلى ضم الضمير الهاء تثنية وجمعاً إذا وقع بعد كسرة طويلة. وعلل أحد العلماء ذلك الميل بقوله: ((لأنَّ الهاء لما كانت ضعيفة، لخفائها، خُصَّت بأقوى الحركات))<sup>(32)</sup>.

والنظر في هذا الباب يدلُّنا على أنَّ ضم الهاء في التثنية والجمع ((عليهما وعليهم وعليهن)) فيه مسوِّغ أنَّ هاء الضمير هنا مضمومة في حال انفصالها ((هُما، وهم، وهُنَّ))، فلعلهم نظروا إلى ذلك في ضمهم إياها في حال الاتصال، ولاسيما أنَّ الكسرة الطويلة هنا، بمدِّها، لا تمثل تغاييراً في النطق كما تمثله الكسرة القصيرة، فهي أي الكسرة الطويلة، بشبهها الساكن، عند القدماء، تتيح فرصة لإغلاق المقطع، فتتيح للسان راحة لا تتيحها الكسرة القصيرة.

أما ضمهم الهاء مع المفرد فمُسْتَعْرَبٌ، لأنَّه يخالف السعي الطبيعي إلى المجانسة الصوتية. ففي ((به)) ينتقل اللسان من الكسرة القصيرة إلى الضمة القصيرة، أي من حركة خلفية إلى حركة أمامية، والهاء لخفائها، تزيد من شدة هذا الانتقال وصعوبته على اللسان، لأنها تمنح الحركة الأمامية دفْعاً سريعاً<sup>(33)</sup>.

في حين أنَّ الدكتور غانم قدوري لا يرى استغراباً في ضم الهاء مع المفرد بدليل قوله: ((إنَّ المشكلة هنا ليس في ضم الهاء. فهذا أمر جارٍ على قواعد حركة هاء الضمير في لغة العرب، خاصة أنَّ الياء إذا جاءت ساكنة وما قبلها مفتوح قربت من الحرف الصحيح، فصارت الهاء في (عليه) تشبه الهاء في (منه) لأنَّ الياء صارت قريبة من النون بانفتاح ما قبلها، كما أنَّها تشبه الهاء في (فيه) لأنَّ الياء لا ينفك عنها اللين. فَمَنْ نظر إلى شبهها بـ (منه) ضم الهاء، وَمَنْ نظر إلى شبهها بـ (فيه) كسر الهاء))<sup>(34)</sup>. قال النحاس (ت338هـ) في قوله تعالى: { فِيهِ هُدًى }<sup>(35)</sup>: ((والأصل: فيهِو هدى، الاسم الهاء وزيدت الواو عند الخليل؛ لأنَّ الهاء خفيفة فقُوِّيت

وللعرب في نطق حركة هاء الكناية مذاهب بحسب ما يسبقها من حركة أو سكون، وبحسب نوع الحرف الساكن. وقد ذكر الدكتور غانم قدوري ملخصاً لحالاتها وعلى النحو الآتي<sup>(49)</sup>:

**الحالة الأولى:** إذا جاءت الهاء بعد حرف متحرك فحكمها الإثبات ليس إلا. وذلك نحو: لَهُ و، وَعِنْدَهُ و، وَكُتِبَ و، وَبُكَتِبَ و، على لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول، كُتِبَ ي.

**الحالة الثانية:** إذا وقعت الهاء بعد حرف ساكن، والحرف الساكن قد يكون حرف لين أو حرفاً صحيحاً، فإن كان الساكن حرف لين ومد، فإن سيبويه اختار حذف الحرف بعد الهاء وإبقاء الحركة. نحو: عَلِيَّهْ يَا فَتَى، وَلَدَيْهِ فُلَان، ورأيت أَبَاهُ قَبْلُ، وهذا أبوه<sup>(50)</sup>.

فإن كان الساكن قبل الهاء حرفاً صحيحاً فإن سيبويه رَجَّحَ إثبات الواو والياء بعد الهاء<sup>(51)</sup>.

وقد استقرَّ الأمر في العربية الفصحى في زماننا على حذف الواو والياء بعد هاء الكناية والاكتفاء بالضمة والكسرة، إذا كان ما قبل الهاء ساكناً سواء كان حرفاً صحيحاً أو حرف لين، فيقال: مِنْهُ، وَأَكْرَمُهُ، وَفِيهِ، وَعَلَيْهِ، بضمة وكسرة فقط، وترك ما كان جائزاً من إلحاق واو أو ياء بعد الهاء.

**الحالة الثالثة:** إذا جاءت الهاء بعد فِعْلٍ معتلٍ الآخر مجزوم، وذلك في مثل: يَرْضَى ويغزو ويرمي، إذا اتصل بهذه الأفعال هاء الكناية وقعت مجزومة فإن حرف اللين والمد في آخرها يحذف للجزم، فتتحول: يرضاه ويغزوه ويرميه إلى لم يَرْضَهُ، ولم يَغْزُهُ، ولم يَرْمِهِ. وحكم هذه الهاء أن توصل بواو أو ياء لتحرك ما قبل الهاء، فيكون النطق: لم يَرْضَهُو، ولم يَغْزُهُو، ولم يَرْمِهِي وقد نص علماء العربية على جواز الإشباع وعدمه والإسكان في هذه الحالة<sup>(52)</sup>.

استناداً لِمَا سبق فمطل الحركات يُحْمَلُ على ما يتصل باللهجات ولعل عزو هذه الظاهرة إلى هذه الأصوات (الألف والواو والياء) من دون غيرها يعود لما تمتلكه هذه الأصوات من قدرة على الاستطالة مراعاة للحالة النفسية التي تختلف باختلاف حاجة الإنسان إلى التوقف أو إلى إطالة الصوت (مدّه). فهذه الأصوات تختلف في طولها وامتدادها. ويصف ابن جني (الواو، والياء، والألف) بأنها ((أين وقعت، وكيف وجدت (بعد أن تكون بعضهن سواكن غير مدغمات) ففيها امتداد ولين... وأن أصل المدّ وأقواه، وأعلاه، وأنعمه وأنداه، إنما هو الألف))<sup>(44)</sup>. وهذا يعني أنها حروف اتسعت مخارجها. وأن أوسعها وألينها الألف.

### الثاني- إشباع ضمة الميم الجمع:

إن إشباع حركة ميم الجمع كثير في كلام العرب؛ وما ورد من نصوص خير دليل على ذلك، إذ نجدهم غالباً ما يشبعون الحركة إلى الصوت الذي يماثلها من أصوات اللين. ومنه قراءة عبدالله بن كثير {عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}<sup>(45)</sup>.

لقد تعدى اختلاف اللهجات العربية في حركة الضمير الغائب وإشباعها إلى حركة الميم التي تقع بعد هذا الضمير كما في (عليهم) إذ ((كان عبدالله بن كثير يصل الميم بواو، انضمت الهاء قبلها أو انكسرت فيقول: عليهمو غير المغضوب عليهمو ولا الضالين، وعلى قلوبهمو، وعلى سمعهمو وعلى أبصارهمو غشاوة))<sup>(46)</sup>.

في حين جنحت تميم وعامة قيس إلى كسر الهاء، وإشباع كسرة الميم فقالوا: ((فيهمي وعليهمي، أما بنو أسد وكنانة من قيس فمالوا لتسكين الميم، فقالوا فيهم وعليهم ولا يحركونها إلا عند التقاء الساكنين، وذلك هو الذي ساد في العربية الفصحى والقرآن الكريم: قال تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}<sup>(47)</sup>.

أما لهجة سليم فقد جنحت إلى الإشباع فجاء فيها: فيهم وعليهم<sup>(48)</sup>.

### الثالث- بقاء حرف المد في طرف الأفعال والأسماء:

مثال بقاء حرف المد في الجزم قراءة حمزة {لَا تَخَفْ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى} (56) بالنهي والجزم في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافْ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى} (57). ذكر الفراء أن لهذه القراءة وجهين هما: الأول: الرفع على الاستئناف هنا.

الثاني: الجزم مع بقاء الياء.

ويبدو من ذلك أنه أجاز الاجتزاء بالسكون عن حذف الياء في الجزم بدليل قوله: ((أنه لو نوى حمزة (ولا تخشى) بالجزم، لكان صواباً. وإن كانت فيه الياء (الألف المقصورة)، لأن من العرب من قال ذلك، قال بعض بني عبس (58).

الم يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بما لاقت لبون بني زياد)) (59)

فجاءت الياء في موضع كان ينبغي أن تحذف فيه؛ لأنها سبقت بأداة الجزم (لم) لكن من أثبتتها حملها على الجواز .

وانشد بعض بني حنيفة (60).

هَزِي إِلَيْكَ الْجَذَعُ يَجْنِيكَ الْجَنَى

ولم يقل (يُجْنِيكَ) الجنى (61).

استناداً لما تقدم فإن علة بقاء الألف في الفعل المجزوم (ولا تخشى) هي أن العرب جعلوا الصائت الطويل الساكن (الألف) بمنزلة الصامت الساكن، فتركزت على سكونها كما فعل ب (أحرف المد)، وبما أن علامة الجزم الأصلية هي السكون عوملت الألف ساكنة معاملة الألف في (الم يَأْتِيكَ) و (يَجْنِيكَ) في حالة الجزم. (62)

ومثل هذا ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب (ت 437هـ) في أن الياء تعامل كسائر الحروف من حيث قبول السكون كعلامة للجزم. (63)

الحالة الرابعة : في الوقف، قانون العربية أن الوقف بالسكون، وهذه القاعدة تنطبق على حركة هاء الكناية، سواء كان ما قبل الهاء ساكناً أو متحركاً، وسواء كانت الحركة ضمة أو كسرة، متبوعة بواو أو ياء أم لا، فنقول: مِنْهُ، وَلَهُ، وَعَلَيْهِ، وَفِيهِ.

الحالة الخامسة: عند التقاء ساكنين، إذا كان ما قبل هاء الكناية متحركاً فإنها توصل بواو بعد الضمة والفتحة، وتوصل بياء بعد الكسرة والياء، وذلك نحو قوله تعالى: {وَكَانَ لَهُ وَثْمٌ فَقَالَ لِسَاحِبِهِ ي وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} (53).

وحكمها إشباع حركتها فيتولد منها حرف مدي يجانسها.

وإذا وقعت واو الصلة أو ياؤها قبل همزة فإنها تمدّ مدّاً زائداً، على نحو ما نلاحظ في {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتُ} (54).

وإذا أوقعت تلك الواو والياء قبل همزة الوصل، فإن ذلك يعني التقاء الساكنين، واو الصلة أو ياؤها والحرف الساكن بعد همزة الوصل التي تسقط عند إدراج الكلام. وتطبق حينئذ قواعد التخلّص من التقاء الساكنين، وذلك بحذف الحرف الأول إذا كان حرف مد وإبقاء الحركة دليلاً عليه (55).

وأود أن أشير هنا إلى أنه إذا سبقت هاء الضمير المضمومة ميم جمع وجب أن يفصل بينهما واو مدي لإشباع حركتها نحو: (قدمتموه) و (أسقيناكموه) و (أفئلكموها).

أما شرط حكم الصلة لهاء الضمير فهو أن تدل على ضمير مفرد مذكر غائب. وأن تقع بين متحركين. هذه الشروط إن لم يتحقق أحدها أمتنعت الصلة.

ومثال إشباع صوت اللين في الأسماء، ما أثبتته بعض اللهجات في بقاء لام اسم الفاعل في موضع ينبغي أن تحذف فيه<sup>(64)</sup>، ومنه في القرآن الكريم على بعض القراءات {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}<sup>(65)</sup>.

يفهم من هذا ان الوقف على اسم الفاعل المعتل اللام في حالتي الرفع والجر يكون بالياء ويحذفها .

وروي عن يونس بن حبيب وسيبويه ((أن ناساً من العرب يقولون: هذا قاضي إذا وقفوا فردوا في الوقف الياء))<sup>(66)</sup> وقد يشبعونها.

إن قضية الإشباع وبقاء حرف المد في مواضع ينبغي أن يحذف فيها كثيرة الورود عند العرب، فهم ما يشبعون غالباً المصوت القصير (الحركة) إلى ما يماثله من المصوت الطويل (الألف والواو والياء).

## البحث الثاني

### الاجتزاء بالحركة عن حرف المد

إن اجتزاء حرف المد وإضعافه يؤدي إلى رجوعه إلى حركة من جنسه لما تقدم من قولنا إن الحركات أبعاض الحروف؛ فدرجة الطول في صوت الألف تختزل إلى درجة القصر في صوت الفتحة، والحال كذلك فيما يخص اجتزاء حرفي الواو والياء المديتين، إذ يختزل الواو إلى ضمة والياء إلى كسرة<sup>(67)</sup>، ولعل معترضاً يعترض فيقول: ((... لم جرت الأشياء في الوصل على حقانقتها دون الوقف؟ قيل: لأنَّ حال الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهن نحوه طُلْن، وشُعْن في الصوت، فوفين له، وزِدْن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير المشدد))<sup>(68)</sup>.

وقال الداني: ((والمُخْفَى شيئان: حرف وحركة، فإخفاء الحرف نقصان صوته، وإخفاء الحركة نقصان تمطيطها))<sup>(69)</sup>.

وقد ذكر سيبويه أن اجتزاء حرف المد وحذفه خاصة ببعض القبائل بدليل أن ناساً كثيرين من قيس يحذفون الياء والواو اللتين هما علامة المضمير<sup>(70)</sup>.

في حين أن آخرين عدوه مسلماً صوتياً يشكل في أحيان كثيرة مظهراً من مظاهر الضرورة الشعرية عند شعراء ينتمون إلى قبائل متباينة<sup>(71)</sup>. فإنه عند غير الشعراء يمثل لونا من النطق اللهجي. فعند هذيل يقع الاجتزاء كثيراً بالكسرة عن الياء<sup>(72)</sup>، ويقع مثله في الواو عند غيرها من قبائل العرب مثل هوازن وعليا قيس وأسد<sup>(73)</sup>. وتمثل اجتزاء حرف المد ورجوعه إلى حركة من جنسه في شواهد قرآنية كثيرة معلومة<sup>(74)</sup>.

وفي كتب اللغة طائفة من المفردات أُجْزِئَتْ فيها الألف فتحوّلت إلى فتحة ونتج عن ذلك تحول صيغة (فاعِل) إلى (فَعِل) كما في (أَمِين) تتحول إلى (أَمِين). وهو مظهر من مظاهر التخفيف عند العرب كما يقرر اللغويون<sup>(75)</sup>.

وجاء على لهجة الحجاز أيضاً قراءة حفص قوله تعالى: {وَمَا أُنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ} (84) بضم هاء الغائب (85) قال ابن مجاهد: ((يقرأ بضم الهاء وكسرهما مختلستين فالحجة لمن ضم انه أتى بلفظ الهاء على أصل ما وجب لها والحجة لمن قرأه بالكسر فلمجاورة الباء ومثله {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ} (86)) (87).

فالضم لغة أهل الحجاز والكسر لغة غيرهم، قال السيوطي (ت 911هـ): ((كسرهما... لغة غير الحجازية، أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً)) (88).

قال الدكتور غانم قدوري: ((أما ضم الهاء في (أنسانيه) فقد جاء على الأصل من تحريك هاء الكناية بالضم، لكن الذي رجَّح الضم على الكسر في هذا الموضع لدى عاصم - رحمه الله - توالي الكسرات إذا كسر الهاء، حيث يكون النطق (أنسانيه)، كسرة النون بعدها ياء وهي من جنس الكسرة، ثم كسرة الهاء، والهاء حرف خفي، فهو حاجز غير حصين. فإذا أضفنا إلى ذلك أنَّ هناك من كان يقرأ في الكوفة بإمالة الألف، أي (أنسينيه) (89) تأكد لديه ضم هاء الكناية هنا ابتعاداً عن متوالية الكسرات في قراءة من كسرهما أو أمال الألف فيها)) (90).

وهذا مما أدركه أبو زرعة بن زنجلة (ت 450 هـ) بدليل قوله: ((قرأ حفص عن عاصم {وَمَا أُنْسَانِيهِ} بضم الهاء على أصل الكلمة، وأصلها بالضم، وإنما عدل عن كسر الهاء إلى الضم لما رأى الكسرات من (أنسانيه) وكانت الهاء أصلها الضم، رأى العدول إلى الضم ليكون أخف على اللسان من الاستمرار على الكسرات)) (91).

ويرى الدكتور أحمد علم الدين الجندي أنَّ ردَّ حركة الضمير الغائب بعد الياء من الكسر الذي يقتضيه الانسجام الصوتي إلى (الضم) يمثل خاصة لغوية للحجازيين كونهم أهل حضر في حين أن أهل البادية يميلون إلى التماثل والمجانسة الصوتية بكسر الهاء (92).

ويبدو لي أنَّ الناطق باللغة يعطي كل حرف أو حركة حقه الصوتي الخاص به وما حدث هنا فهو عادة نطقية ليس إلاً بدليل أنَّه ليس كل الناطقين يجتزئون أحرف المد.

وعليه فأنا أبحث ههنا غياب حرف المد في آخر الكلمة؛ لتخالف لهجي يوجد في هذه الكلمة نفسها، وهذا يعني أنَّ غياب حرف المد سيكون في طرف بنية الكلمة من دون أن أتجاوز ذلك إلى غياب هذا الحرف في تركيب هذه الكلمة أعني وسطها. وقد وجدت أنَّ للاجتزاء أثراً في غياب الحرف على مستوى الكلمة فيما يأتي:

### أولاً- الاكتفاء بحركة ضمير الغيبة المتصل:

إن تحريك ضمير الغائب المفرد المذكر، يمثل موضع اهتمام عند اللغويين المحدثين ويمثل موضع اختلاف بين اللهجات العربية القديمة. فتحريك هاء الغائب المفرد بالضم حين يكون مسبقاً بكسرة أو ياء هو لغة عزيت إلى الحجاز (76). فهم يقولون بِهِ وعليه وفيه، قال الفراء: ((لكل لغة مذهب في العربية، فأما من رفع الهاء؛ فإنه يقول: أصلها رفع، في نصبها وخفضها ورفعها)) (77). وقال ابن جني في قراءة {نَوْتُهُ مِنْهَا} (78) لـ (سلام أبي المنذر): ((هذا على لغة أهل الحجاز)) (79) يعني أنهم يضمون مطلقاً، وكان ابن شهاب الزهري يضم تلك الهاء في جميع القرآن، وهو مدني حجازي (80).

ونقل النحاس في حركة الضمير من قوله تعالى: {فِيهِ هُدًى} (81) خمسة أوجه، أجودها: فِيهِ هُدًى، بالكسر، ويليهِ: فِيهِ هُدًى بضم الهاء بغير واو (82).

قال ابن مجاهد (ت 324هـ): ((قرأ نافع (فيه هدى)... مختلصة من غير أن يبلغ بها (الياء)) (83) ويعني بهذا أن نافعاً أراد باختلاس الحركة هنا عدم تمطيها حتى تبلغ ياء.



يفهم من هذا الكلام مخالفته لِمَا قيل عن أهل الحضر في أنهم يميلون إلى الخفة، لأن المعروف عن تميم أنها قبيلة بدوية تميل إلى الضم لِمَا فيه من الخشونة كونه - أعني الضم - أثقل الحركات في حين أن الحجاز قبائل متحضرة تميل إلى الكسر لأن الكسر أخف من الضم فضلاً عن كونهم عرفوا برقة الحس ورهافة الشعور وعليه فما ذكره الدكتور أحمد علم الدين الجندي فيه تنافر صوتي يتنافى مع طبيعة اللغة فكيف استساغ الحجازي ورضي في أن ينقل لسانه من الكسر إلى الضم على ما فيه من قبح عندهم ولعل ما ذكره الدكتور حسام النعيمي يمثل مخرجاً لهذه القضية حيث قال: ((ولعل المخرج أن يقال إن ذلك سمع من بعض جفاة أهل الحجاز الذين كانوا أقرب إلى موضع البداوة منهم إلى موضع الحضارة))<sup>(93)</sup>.

ويتحصل من أقوال علماء العربية أن للعرب في حركة هاء الكناية مذهبين، هما<sup>(94)</sup>: **المذهب الأول**: تحريكه بالضم مطلقاً، وهو مذهب قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم. **المذهب الثاني**: تحريكه بالضم إلا إذا وقع بعد ياء أو كسرة فإنه يُحرَكُ بالكسر، وهو مذهب أهل نجد من بني تميم وقيس وأسد.

وأود التنبيه هنا إلى أن بني عقيل، وأزد السراة، وبني كلاب لهجات تميل إلى تخفيف حركة هاء الغائب المفرد - أعني حذفها - بعد حرف الجر فتقول: في (لَهْ) : (لَهَّوْ) <sup>(95)</sup>.

أما لهجة هوازن فتلزم الضم على الهاء وإن سبقت هذه الهاء بحرف جر فتقول في: (عليه) <sup>(96)</sup>.

## ثانياً- حذف حرف المد في طرف الأفعال والأسماء:

إن حذف حرف المد هنا مظهر من مظاهر التخفيف عند ابن جني<sup>(97)</sup>، أو قد يمثل هذا لوناً من النطق اللهجي عند هذيل اجتزاء بالكسرة عن الياء<sup>(98)</sup>. حيث تختزل فيها أحرف المد فتحول إلى حركات من جنس هذه الحروف تخفيفاً، نظراً لكثرة استعمال اللفظة<sup>(99)</sup>.

وما جاء من ظواهر حذف أحرف المد واجتزائها بالحركات يمكن عزوه إلى قبائل بعينها لتوثيق ذلك<sup>(100)</sup>.

فمما ورد من اجتزاء الكسرة عن الياء في غير الجزم، ما ذكره الفراء في قراءة (يأت) إذ حذفت الياء في الوقف والوصل في قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ)<sup>(101)</sup>، قال الفراء: ((كتب بغير الياء وهو في موضع رفع ... وإن حذفتها في القطع والوصل كان صواباً؛ قد قرأ بذلك القراء))<sup>(102)</sup>. وقال الطبري (ت 310هـ): ((والصواب من القراءة عندي: (يوم يأت) بحذف الياء، وأنها لغة معروفة لهذيل في الوصل والوقف إتباعاً لخط المصحف))<sup>(103)</sup>.

يفهم من هذا أن الياء حذفت في موضع كان ينبغي أن تذكر فيه لأن الفعل المضارع جاء في موضع رفع .

ثم أخذ الفراء بالاحتجاج لمن وصلها محذوفة بدليل قوله: ((فمن حذفها إذا وصل، قال: الياء ساكنة، وكل ياء أو واو تسكنان، وما قبل الواو مضموم، وما قبل الياء مكسور، فإن العرب تحذفهما. وتجتزئ بالضممة من الواو، وبالكسرة من الياء. وأنشد فيه بعضهم<sup>(104)</sup>:

كفأك كف ما تليق درهماً جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما<sup>(105)</sup>

ومثل هذا يفهم من قول مكّي بن أبي طالب إذ انه ((اكتفى بالكسرة في الوصل، وأجرى الوقف على الوصل، فحذف...))<sup>(106)</sup>.

تحدثت آنفاً عن اجتزاء أحرف العلة في الأفعال، والآن أتكلم على اجتزاء أحرف المد في الأسماء.

وما حمل على الاجتزاء هنا قراءة عبدالله بن مسعود (الأيد) بحذف الياء في قوله تعالى: {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} (123)، إذ فسّر الفراء هذا الحذف على أمرين الأول: أن القارئ أراد (الأيدي) وحذف الياء نظيراً لـ {الْجَوَارِ} (124)، وهو صواب. والآخر: أن (الأيد) بحذف الياء تكون أكثر تأييداً وأشد قوة (125). في حين أسند الطبري قراءة (الأيد) بغير ياء إلى عبدالله (126) أما الدمياطي (ت1117هـ) فعدها من باب اجتزاء الكسرة عن الياء (127).

وقد عد ابن جني ذلك مظهراً من مظاهر التخفيف (128)، أو إرادة القوة في قراءة الحسن البصري (129)، والأعمش وغيرهما (130).

ويبدو - والله أعلم - أن ما هذا إلا لونٌ من النطق اللهجي الذي ذهبت إليه هذيل في اجتزائها الحركات عن الحروف (131). فكثيراً ما يُجتزأ حرف المد بتحويله إلى حركة من جنسه، وعلة ذلك كثرة استعمال اللفظة بحسب ما ذهب إليه سيبويه (132)، وابن جني (133).

ومنه حذف بعض اللهجات لام اسم الفاعل في موضع ينبغي أن تثبت فيه (134)، فقد جاء في القرآن الكريم على بعض القراءات: {أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (135)، وقوله: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} (136). قال ابن مجاهد: ((قرأ عاصم وابن كثير وابن عامر وحمره والكسائي بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو... بالياء في الوصل وبغير ياء في الوقف)) (137).

ومن هذا القبيل أيضاً ما جاء في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم الذي حذفت فيه الياء وعوض عنها بالكسرة على لغة من اللغات، وهي اللغة الفصحى نحو قراءة الجمهور: {رَبِّ احْكُم} (138). ويرى ابن جني أن هذا النداء من قبيل النكرة

أما ما يقف وراء حذف الياء في مثل هذه المواضع فهو الاستخفاف ليس إلاً بدليل تصريح مكي بن أبي طالب بذلك قائلاً: ((والاختيار حذفها استخفافاً)) (107).

لكن العكبري (ت616هـ) يجد أن من حذفها اكتفى بالكسرة عنها، تشبيهاً لها بالفواصل (108)، ونظيرها قوله تعالى: {مَا كُنَّا نَبْعُ} (109) و {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} (110).

وقبل أن أنهى كلامي في هذه المسألة أود أن أبين أن ابن كثير ونافعاً وأبا عمرو قد قرؤوا ((يوم (يأتي) لا تكلم نفس)) (111). بإثبات الياء في (يأتي) وصلاً ووقفاً (112). وقد قرأ باقي السبعة بحذف الياء وصلاً ووقفاً إتباعاً لخط المصحف (113).

وفي الحقيقة أن ما حدث هنا هو قصر الحركة الطويلة التي هي واو المد إلى حركة قصيرة (الضمة) نتيجة ملاقة الضمة الطويلة لساكن بعدها.

قالوا: حرف اللين عند حذفه من الخط يماثل قائم، فيكون الفعل مرفوعاً (114). وقد اكتفوا بالضم عن الواو (115).

وذلك كقول العرب: قد ضربُ (بالضمة) بدل فضربوا بواو الجمع، وقد قال (بالضمة) بدل قد قالوا بواو الجمع.

وذلك في هوازن وعُليا قيس إذ اكتفوا من الواو بالضمة قبلها (116).

ومثل هذا قراءة بعضهم: {يوم ينادِ} (117) بحذف الياء من الفعل (ينادي)، وقراءة الجمهور: {قَالَ أَتْمُدُونَنِي} (118) بحذف الياء من الفعل (اتمدونني)، وهذا الحذف في لغة هذيل (119).

ومن هذا حذف الواو والاكتفاء بالضمة في (أقبل يضربه لا يَأُلْ) (120) وحذف الياء من (لا أدري) (121) و (ما أدري ما تقول) (122) والاكتفاء بالكسرة إذ أن الفعل (أدري) سبق بأداة نفي في كلا المثالين والنفي لا يوجب حذف حرف المد بحسب ما قرره اللغويون من قواعد النحو العربي.

المقصودة<sup>(139)</sup>. في حين عَدَّه غيره من قبيل المضاف إلى ياء المتكلم الذي حذفت منه الياء فعمل بعد حذفها معاملة المنادى المفرد<sup>(140)</sup>. أي أنها قُرِئت بكسر الباء اجتزاً بالكسرة عن ياء الإضافة وهي الفصحى<sup>(141)</sup>.

فحذف الياء المتطرفة في المنقوص أو ياء المتكلم في القراءات لهجة عزيزة إلى هذيل كما ذكرت آنفاً، وإثباتها إلى الحجاز .

من خلال ما تقدم نرى جنوح لهجة هذيل وأسد وهوازن وعلياً قيس للتخلص من أصوات المد بتقصيرها والصوت الذي مالت لتقصيره هو الواو، والياء وذلك لما يتطلبه هذان الصوتان من جهد كبير إذا ما قيست هذه الأصوات بنطق الضمة والكسرة وعليه فعلة الاجتزاء هنا هي الخفة فضلاً عن كثرة استعمال اللفظة وهذه سمة من سمات القبائل العربية التي قطنت في البادية؛ مما يؤكد على أن هذا مسلكٌ صوتي لا يتأتى لكل الناطقين باللغة بل تقول به بعض القبائل دون بعضها الآخر .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اجتزاء أحرف العلة وتحويلها إلى حركات يمثل إحدى السبل للتخلص من أصوات المد الطويلة.

## الخاتمة

انتهى البحث إلى جملة من النتائج أوجزها في النقاط الآتية:

- 1- أنَّ الحركات أبعاض حروف المد وعليه فهذه الحركات (الفتحة والضمة والكسرة) هي من جنس الحروف، ولذلك جاء بينهما توافق وتماثل في الخواص النطقية.
- 2- إنَّ إشباع الحركة لا يؤدي غرضاً معنوياً بل يؤدي غرضاً صوتياً أو عادة نطقية في بعض الشواهد الشعرية اللهجية أو الشاذة .
- 3- مالت قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم إلى تحريك ضمير الغيبة المتصل بالضم في حين أن أهل نجد من بني تميم وقيس وأسد يكسرونها.
- 4- لم يقتصر الاختلاف بين اللهجات العربية في حركة الضمير الغائب، وإشباعها بل تعدى ذلك إلى حركة الميم التي تقع بعد هذا الضمير .
- 5- لقد جنحت تميم وعامة قيس إلى كسر الهاء وإشباع كسرة الميم فقالوا في (عليهم) (عليهم) أما بنو أسد وكنانة من قيس فمالوا إلى التسكين، وعدم الإشباع فقالوا (عليهم).
- 6- أنَّ أصوات المد تمتلك قدرة على الاستطالة مراعاة لحالة الإنسان النفسية وهذا مما جعل عزو هذه الظاهرة إلى هذه الأصوات من دون غيرها.
- 7- تميل لهجة هذيل إلى الاجتزاء بالكسرة عن الباء في حين أنَّ هوازن وعلياً قيس وأسد تميل إلى الاجتزاء بالضمة عن الواو .
- 8- أنَّ اجتزاء أحد أحرف المد في وسط الكلمة يؤدي إلى تحول من صيغة إلى صيغة أخرى، فاختلاف الصيغة هذا يؤدي إلى اختلاف المعنى .
- 9- أجازت القبائل العربية اجتزاء الحروف بالحركات في الشعر، وحمل ذلك على الضرورة.
- 10- إنَّ غياب أحرف المد في آخر الكلمة يكون أحياناً لتخالف لهجي يوجد في الكلمة نفسها .
- 11- حذف حرف العلة أو ياء المتكلم في القراءات لهجة عزيزة إلى هذيل في حين أن إثباتها عَزِيَّ إلى الحجاز .
- 12- أنَّ المصوتات الطويلة قد تتعرض للاجتزاء فينقص زمن نطقها المألوف وتصير حركة ضعيفة.

### الموامش

- (1) الكتاب 4 / 242.
- (2) سر صناعة الإعراب 1 / 17.
- (3) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين (مسألة 109، 749/2).
- (4) مرشد القارئ ص 57.
- (5) الممتع في التصريف 2 / 447.
- (6) المصدر نفسه 2 / 447.
- (7) شرح جمل الزجاجي 2 / 347.
- (8) المصدر نفسه 2 / 355.
- (9) ينظر: الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والموضوعية ص 22، و 26 (دوريات).
- (10) المُحْكَم في نقط المصاحف ص 42-45.
- (11) المدخل إلى علم أصوات العربية ص 143.
- (12) ينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية ص 94.
- (13) ينظر: العين 1 / 57.
- (14) ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص 57، وحجة القراءات لأبي زرعة دراسة تحليلية ص 51.
- (15) المنصف 1 / 213.
- (16) الكتاب 4 / 202.
- (17) ينظر: سر صناعة الإعراب 1 / 31.
- (18) ينظر: الخصائص 2 / 348 - 349، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 326 - 327.

- (19) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 209.
- (20) التحديد في الإتيان والتجويد ص 97.
- (21) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 209.
- (22) ينظر: في الأصوات اللغوية ص 296.
- (23) الخصائص 2 / 348.
- (24) ينظر: المصدر نفسه 2 / 349.
- (25) القصص 81.
- (26) ينظر: الكتاب 4 / 195، والحجة في علل القراءات السبع 1 / 46، ولهجة قبيلة أسد ص 143.
- (27) ينظر: لهجة قريش ص 150.
- (28) الحجر 6 .
- (29) السجدة 2 .
- (30) الشعراء 93.
- (31) ينظر: البحر المحيط 7 / 541، ولهجة قبيلة أسد ص 143 .
- (32) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 123.
- (33) لغة قريش، دراسة في اللهجة والأداء ص 202.
- (34) ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص 60-61.
- (35) البقرة 2.
- (36) إعراب القرآن للنحاس 1 / 179 - 180 .
- (37) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين (مسألة 96، 680/2 - 682).
- (38) الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ص 58 .

- (39) الحجة في علل القراءات السبع 52/1.
- (40) المصدر نفسه 52/1 .
- (41) لهجة قبيلة أسد ص 145 .
- (42) الكتاب 4 / 195 .
- (43) ينظر: لهجة قبيلة أسد ص 144 .
- (44) ينظر: الخصائص 353/2، وسر صناعة الإعراب 8/1، والتوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن) ص 128 .
- (45) الفاتحة 7. تنظر: القراءة في الحجة في علل القراءات السبع 1 / 71.
- (46) المصدر نفسه 42/1 .
- (47) الفاتحة 7 .
- (48) ينظر: لهجة قبيلة أسد ص 144 .
- (49) ينظر: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص 43-47.
- (50) ينظر: الكتاب 4/189.
- (51) ينظر: المصدر نفسه 4/190.
- (52) ينظر: ارتشاف الضرب 1/468.
- (53) الكهف 34.
- (54) الكهف 37.
- (55) ينظر: شرح الشافية 2/309.
- (56) طه 77 .
- (57) طه 77 .
- (58) نسب البيت إلى قيس بن زهير. ينظر: الكتاب 3/315، والخصائص 1/333.
- (59) معاني القرآن للفراء 187/2 - 188 .

- (60) لم أقف على قائله.
- (61) ينظر: معاني القرآن للفراء 187/2 - 188 .
- (62) ينظر: المصدر نفسه 187/2 - 188 .
- (63) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها 2/102 .
- (64) ينظر: المذهب في علم التصريف ص 259 .
- (65) الرعد 7 .
- (66) المسائل الشيرازيات 117/1 .
- (67) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 207 .
- (68) الخصائص 3/125 .
- (69) التحديد في الإتيان والتجويد ص 96 .
- (70) ينظر: الكتاب 4/211 .
- (71) ينظر: ضرائر الشعر لابن عصفور ص 126 .
- (72) ينظر: اللهجات العربية في التراث للجندي 2/682 .
- (73) ينظر: الكتاب 2/301، ومعاني القرآن للفراء 1/91 .
- (74) ينظر: معاني القرآن للفراء 1/90 .
- (75) ينظر: المحتسب 4/2، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص 57 .
- (76) ينظر: الكتاب 4/195، ولهجة قريش ص 257 .
- (77) معاني القرآن 1/5 .
- (78) الشورى 30 .
- (79) المحتسب 2/249 .
- (80) ينظر: اللهجات العربية في التراث 1/271، والظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ص 59 .

- (81) البقرة 2 .  
(82) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 129/1 .  
(83) كتاب السبعة في القراءات 120/1 .  
(84) الكهف 63. تنتظر القراءة في المحتسب 128/1، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 63 .  
(85) ينظر: لهجة قريش ص 257 .  
(86) الفتح 10. تنتظر القراءة في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 395، والكشف عن وجوه القراءات 280/2 .  
(87) كتاب السبعة في القراءات 226/1 .  
(88) همع الهوامع 59/1 .  
(89) كان ألكسائي يقرأ هذه القراءات (ينظر: السبعة في القراءات ص 393).  
(90) ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص 59-60.  
(91) حجة القراءات ص 422.  
(92) ينظر: اللهجات العربية في التراث 270/1-271 .  
(93) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص 210.  
(94) ينظر: ظواهر لغوية في القراءات القرآنية ص 41.  
(95) ينظر: الخصائص 128/1، ودراسة في اللهجات العربية القديمة ص 39، والمستويات اللغوية في لهجة بني عقيل ص 135 .  
(96) ينظر: الخصائص 128/1، والمستويات اللغوية في لهجة بني عقيل ص 135.  
(97) ينظر: المحتسب 233/2، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص 58.  
(98) ينظر: اللهجات العربية في التراث 682/2 .  
(99) ينظر: الكتاب 4 / 183، والخصائص 135/3.  
(100) ينظر: الكتاب 4 / 211.

- (101) هود 105.  
(102) معاني القرآن للفراء 27/2، وينظر: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن) ص 128.  
(103) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 479/15 .  
(104) لم أقف على قائله. ورد في الخصائص 320/2 .  
(105) معاني القرآن 27/2 .  
(106) الكشف عن وجوه القراءات 322/1، وينظر: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن) ص 128.  
(107) المصدر نفسه 322/1 .  
(108) ينظر: التبيان في إعراب القرآن 714/2 .  
(109) الكهف 64 .  
(110) الفجر 4 .  
(111) هود 105 .  
(112) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 302/2. وفي اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ص 50 .  
(113) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 479/15، وكتاب السبعة في القراءات 228/1  
(114) ينظر: دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي ص 171 .  
(115) ينظر: معاني القرآن 91/1، دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي ص 171 .  
(116) ينظر: معاني القرآن 91/1، دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي ص 171 .  
(117) ق 41. تنتظر: القراءة في كتاب السبعة في القراءات 607/1.  
(118) النمل 36 . وتنتظر: الكتابة في معاني كتاب القراءات ص 357-358.  
(119) ينظر: في اللهجات العربية ص 150 .

- (120) المصدر نفسه ص 150 .  
(121) المصدر نفسه ص 150 .  
(122) جامع البيان في تفسير آي القرآن 15/ 479 .  
(123) ص 45 .  
(124) الشورى 32. تتنظر القراءة في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 220 .  
(125) ينظر: معاني القرآن للفراء 2/ 406- 407 .  
(126) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 21/ 216 .  
(127) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 666 .  
(128) ينظر: المحتسب 2/ 233 .  
(129) ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ص 58 .  
(130) ينظر: المحتسب 2/ 233، وإعراب القرآن للنحاس 3/ 466 .  
(131) ينظر: اللهجات العربية في التراث 2/ 682 .  
(132) ينظر: الكتاب 4/ 183 .  
(133) ينظر: الخصائص 3/ 135 .  
(134) ينظر: المذهب في علم التصريف ص 259 .  
(135) البقرة 186. تتنظر القراءة في كتاب السبعة في القراءات 1/ 197 .  
(136) الأعراف 178 .  
(137) كتاب السبعة في القراءات 1/ 197 .  
(138) الأنبياء 112 .  
(139) ينظر: المحتسب 2/ 69، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 312 .  
(140) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 3/ 84 .  
(141) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص 557 .

## المصادر

- 1- أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية: الدكتور علي جابر المنصوري، ط1، مطبعة جامعة بغداد، 1987م.  
2- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت 1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1419هـ - 1998م.  
3- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان محمد بن يوسف (ت 745هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى أحمد النحاس 1404هـ - 1984م.  
4- إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس (ت 338هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ - 1988م.  
5- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: كمال الدين أبوبركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سيد الانباري النحوي (ت 577هـ)، ط4، دار إحياء التراث العربي، 1380هـ - 1961م.  
6- البحر المحيط: أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي الجبالي (ت 745هـ)، ط1، مطبعة السعادة، 1328هـ .  
7- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1407هـ - 1987م.  
8- التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمر وعثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمان، عمان، 1421هـ - 2000م.  
9- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في (معاني القرآن): الدكتور طه صالح أمين آغا، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1428هـ - 2007م.

- 10- جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبوجعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.
- 11- الحجة في علل القراءات السبع: أبوعلي الفارسي (ت377هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه، مصر (ب-ت) .
- 12- حجة القراءات لابن زنجلة: أبوزرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (ت450هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ - 1982م.
- 13- الخصائص: أبوالفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالحميد هنداي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1429هـ - 2008م .
- 14- دراسات في اللهجات العربية القديمة: الدكتور داوود سلوم، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1986م.
- 15- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (ب-ت)
- 16- دراسات نقدية تطبيقية في النحو العربي: الدكتور احمد عبدالنواب الفيومي، ط1، القاهرة، 1426هـ - 2005م.
- 17- الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والموضوعية: جعفر بابوش، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد (2)، 1416هـ - 1995م.
- 18- سر صناعة الإعراب: أبوالفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: الدكتور حسين هنداي، ط1، دار القلم، دمشق، 1985م.
- 19- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الاشبيلي (ت669هـ)، تحقيق: الدكتور صاحب ابوجناح، سلسلة إحياء التراث الإسلامي (42)، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1402هـ - 1982م.
- 20- شرح الشافية: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (ت )هـ، تحقيق: محمد الزفزاف آخرين، مطبعة حجازي، القاهرة.

- 21- ضرائر الشعر: ابن عصفور الاشبيلي (ت669هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1980م.
- 22- الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز: الدكتور صاحب أبوجناح، مطبعة جامعة البصرة، 1408هـ - 1988م.
- 23- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: الدكتور صاحب ابوجناح، ط1، مطابع جامعة الموصل، مديرية مطبعة الجامعة، 1405هـ - 1985م.
- 24- ظواهر لغوية في القراءات القرآنية: الدكتور غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، الأردن، 1427هـ - 2006م .
- 25- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ).
- 26- في الأصوات اللغوية - دراسة أصوات المد العربية: الدكتور غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، 1984م.
- 27- في البحث الصوتي عند العرب: الدكتور خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة (124)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1403هـ - 1983م.
- 28- في اللهجات العربية القديمة: الدكتور إبراهيم السامرائي، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994م.
- 29- الكتاب: أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت (ب-ت) .
- 30- كتاب السبعة في القراءات: أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت324هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة 1400 - 1980م.
- 31- كتاب معاني القراءات: الشيخ أبومنصور الأزهري (ت370هـ)، تحقيق: احمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 32- الكشف: عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1394هـ - 1974م .



- 33- لغة قريش - دراسة في اللهجة والأداء: الدكتور مهدي حارث الغانمي، ط1، بغداد، 2009م.
- 34- اللهجات العربية في التراث: الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1398هـ - 1978م.
- 35- لهجة قبيلة أسد: الدكتور علي ناصر غالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
- 36- لهجة قريش وأثرها في العربية: علي جميل عباس السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1399هـ - 1979م.
- 37- المحتسب: في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه، القاهرة 1386هـ - 1966م.
- 38- المُحكّم في نَقْط المصاحف: أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية 1418هـ - 1997م.
- 39- المدخل إلى علم أصوات العربية: الدكتور غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1423هـ - 2002م.
- 40- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم القارئ: عبدالعزيز بن علي بن الطحان (ت 561هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، ط1، دار النشر، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1999م.
- 41- المسائل الشيرازيات لأبوعلي الفارسي (ت 377هـ)، تحقيق: علي جابر المنصوري، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1976م.
- 42- المستويات اللغوية في لهجة بني عقيل: شيماء حازم خليل بكر، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، كلية التربية للبنات، 1426هـ - 2006م.

- 43- معاني القرآن: أبوزكريا الفراء (ت 207هـ)، ط1، عالم الكتب، بيروت، (ب - ت).
- 44- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: محمد يحيى سالم الجبوري، (أطروحة دكتوراه)، الجامعة الإسلامي، كلية اللغة العربية وعلوم القرآن، 1425هـ - 2004م.
- 45- الممتع في التصريف: ابن عصفور الاشيلي (ت 669هـ)، تحقيق: الدكتور فخرالدين قباوة، ط5، الدار العربية للكتاب، 1403هـ.
- 46- المنصف: في شرح تصريف المازني: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م.
- 47- المذهب في علم التصريف: الدكتور هاشم طه شلاش، والدكتور صلاح مهدي الفرطوسي، والدكتور عبدالجليل عبيد حسين، بيت الحكمة، بغداد، (ب - ت).
- 48- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، عنى بتصحيحه السيد محمد بدرالدين النعساني، ط1، الأستانة، مصر، 1327هـ.

## أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت وذوي القرنين - عليهما السلام - في القرآن الكريم

م. د. مؤيد نصيف جاسم

جامعة تكريت / كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، مكور الليل على النهار، ومكور  
النهار على الليل ، عبدة لأولي الأبصار ، وتبصرة لأولي العقول والاعتبار ، حيرت في  
عظمته الأفكار وعميت عن إدراكه الأبصار ، وأصلّي وأسلم على سيد الأولين  
والآخرين سيد الأبرار سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله ، وعلى آله الطيبين  
الأطهار ، وأصحابه الغرّ الميامين الأبرار ، وعلى من اهتدى بهديه ، وعلى منهجه  
وسنته اقتفى وسار .

وبعد :

فإن الله تعالى قصّ علينا في القرآن العظيم كثيراً من القصص التي فيها  
بيان مناهج الأنبياء والمصلحين في الدعوة إلى الله ، وقد تضمنت قصصهم  
الكثير من الدروس والعبر التي أمرنا بالاستفادة منها في مختلف جوانب الحياة  
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ فقال تعالى : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ))<sup>(1)</sup> ، ومن الجوانب المهمة التي عالجهها القصص القرآني جانب سياسي  
يتعلق بأمور الحكم والسلطان إذ تضمنت بعض قصص القرآن دلالات وإشارات  
سياسية كبيرة ، كما ورد في قصص يوسف ، وداود ، وسليمان ، وطالوت ، وذوي  
القرنين - عليهما السلام - ، وقد استنبط العلماء من هذه القصص العديد

من الأحكام السياسية المتعلقة بأمور الحكم والسياسة ، فكانت هذه القصص  
دليلاً واضحاً على تلك الأحكام ، ولذا كان من المهم تناول هذه الأحكام  
بدراسات خاصة ، لأنّ الفقه السياسي يحتاج إلى تأصيل قرآني ، حتى تخضع  
أحكامه - للثوابت القرآنية المذكورة في هذه القصص - ليكون الأساس الذي  
يستند إليه فقه السياسة الشرعية هو القرآن الكريم ؛ لأنّه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد رأيت في هذا البحث أن أجمع  
أهم أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت ، وذوي القرنين اللذين  
اتفق على أنهما كانا ملكين صالحين ، ولكن اختلف في نبوتهما ، وقد تضمنت  
قصصهما ما دلالات سياسية مهمة يمكن للحكام والساسة الاستئثار بها والاستفادة  
منها ، وقد تضمنت قصصهما الكثير من الأحكام الشرعية العقائدية والفقهية  
والأخلاقية والاقتصادية ، ولكنني اقتصر في بحثي المتواضع هذا على جمع  
الأحكام المتعلقة بفقه السياسة الشرعية فقط دون غيرها ؛ لتعم الفائدة بها ، وربما  
فاتني بعضها ؛ لأنني تتبعت كتب التفسير وكتب السياسة الشرعية ، وجمعت أهم  
ما عثرت عليه من أحكام وإشارات ، واستنباطات تتعلق بها الجانب ، ومع هذا فقد  
كانت المصادر التي تناولت هذا الموضوع متفاوتة فبعضها كان مصدراً أساسياً  
بالنسبة لي لكثرة الأحكام والفوائد والاستنباطات التي تضمنتها وقد أغنى البحث  
كـ (كتاب الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي ، و (كتاب المستفاد من قصص  
القرآن) للدكتور عبد الكريم زيدان ، بينما وجدت أنّ الكثير من كتب التفسير ، وحتى  
المتعلقة منها بالأحكام - ، اقتصر على ذكر المعنى الإجمالي للآيات التي ذكرت  
فيها القصص ، وهذا هو سبب اعتمادي على بعض المصادر أكثر من البعض  
الآخر .

**ويعد :** فهذا عمل يسير ، وجهد قليل أردت من خلاله تأصيلاً قرآنياً لبعض الأحكام السياسية المهمة ، وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - هذه الأحكام في ثانيا كتب التفسير والفقهاء ، فرأيت أن أقوم بخدمة القرآن ، وأجمع هذه الأحكام ، وأذكر أقوال الفقهاء والمفسرين في بحث متواضع لعلَّ الله أن ينفع به ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أسأت فمَنِّي ومن الشيطان ، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم. وصلى الله على محمد وأهل بيته وصحابته أجمعين .

**وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة تمهيد، ومبحثين، وخاتمة :**  
**أما التمهيد :** فقد بيّنت فيه المقصود من الأحكام السياسية.  
**وأما المبحث الأول:** فقد ذكرت فيه الأحكام السياسية المستفادة من قصة طالوت - عليه السلام - ، و جعلته في تمهيد وأربعة مطالب :  
**أما التمهيد :** فقد جعلته للتعريف بالملك طالوت -  
**و المطلب الأول:** كان في انعقاد الخلافة بالتتصيص.  
**والمطلب الثاني :** العلم والقوة البدنية من أهم شروط الحاكم أو الخليفة .  
**والمطلب الثالث :** بطلان الوراثة في الإمامة.  
**والمطلب الرابع:** وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم.  
**وأما المبحث الثاني :** فذكرت فيه الأحكام السياسية المستفادة من قصة ذي القرنين - عليه السلام - وجعلته في تمهيد وستة مطالب :  
**أما التمهيد :** فقد جعلته للتعريف بذي القرنين.  
**المطلب الأول:** التمكين بالملك والحكم من نعم الله على الصالحين.  
**والمطلب الثاني:** الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض من واجبات الحاكم المسلم.  
**المطلب الثالث:** من السياسة الرشيدة للحكام التفريق بين المسيء والمحسن في المنزلة والجزاء.  
**المطلب الرابع:** من واجبات الحكام مساعدة المظلومين ونصرتهم وإقامة العدل.  
**المطلب الخامس:** دفع الضرر بأيسر ما يندفع به من السياسة الشرعية:  
**المطلب السادس:** اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد من السياسة الشرعية.  
**وأما الخاتمة** فقد بيّنت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث .

## التمهيد

### المقصود بأحكام السياسة الشرعية:

#### أولاً : المقصود بالأحكام:

الأحكام في اللغة : جمع حكم :و هو العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر **حكم يحكم** ، وَمِنْهُ الْحَكْمَةُ لِلْحَدِيدَةِ التي في اللّجَامِ، وَيَمَعْنَى الإِحْكَامُ (2). وفي اصطلاح الأصوليين : (خَطَابُ الشَّرْعِ الْمُتَعَلِّقُ بِفِعْلِ الْمُكَلَّفِ بِالْإِقْتِضَاءِ أَوْ التَّخْيِيرِ أَوْ الْوَضْعِ) (3).

#### ثانياً: المقصود بالسياسة الشرعية:

السياسة في اللغة : من ( سست الرعية سياسة :أمرتها ونهيتها، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه ) (4). و( **السُّوسُ**: الرئاسة يقال: ساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل: سوسوه، وأساسوه ، وساس الأمر سياسة :قام به ،ورجل ساس من قوم ساسة وسواس، ... وفلان مجرب قد ساس وسياس عليه: أي أمر ،وأمرَ عليه. ...، والسياسة: فعل السائس، يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته ) (5).

وأما السياسة الشرعية في الاصطلاح : فهي عند علمائنا القدامى؛ لها معنيان:

الأول : المعنى العام: وهو تدبير أمور الناس وشؤون دنياهم بشرائع الدين ، ولهذا نجدهم يعرفون الخلافة بأنها : (خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين ،وسياسة الدنيا به ) (6).

## المبحث الأول

### أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة طالوت-عليه السلام-

وفيه تمهيد ، وأربعة مطالب :

**التمهيد:** التعريف بطالوت :

**المطلب الأول:** انعقاد الخلافة بالتنصيب.

**المطلب الثاني:** العلم والقوة البدنية من أهم شروط الحاكم أو الخليفة .

**المطلب الثالث :** بطلان اشتراط الوراثية في الإمامة.

**المطلب الرابع:** وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم .

## المبحث الأول

### أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة طالوت-عليه السلام-

تمهيد

#### التعريف بطالوت :

طالوت: هو الملك الذي بعثه الله تعالى ليقود بني إسرائيل في جهاد جالوت وجنوده ،

قال صاحب الكشف : طالوت اسم أعجمي كجالوت ،وداود، وإنما امتنع من الصرّف لتعريفه وعجمته ،وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم. ووزنه إن كان من الطول ( فعلوت ) ،منه أصله طولوت إلا إن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال: هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطاء حنطة<sup>(9)</sup>.

واسم طالوت بالسريانية( شاول بن امال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن أسن بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) وقيل: كان اسمه شارك وإنما سمي طالوت لطوله، وهو الذي ذكر الله قصته في القرآن ومحاربتة لجالوت وكان داود عليه السلام زوج ابنته<sup>(10)</sup>.

وهل كان طالوت نبياً ؟ اختلف المفسرون في ذلك على قولين:الأول : أنه كان نبياً . والثاني : أنه ليس نبياً، وقد ( استدل من قال: إن طالوت كان نبيا بقوله: إن الله مبتليكم وأن الله أوحى إليه بذلك وألهمه ،وجعل الإلهام ابتلاء من الله لهم ،ومن قال: لم يكن نبياً قال: أخبره بنبيهم شمويل بالوحي حين أخبر طالوت قومه بهذا )<sup>(11)</sup>.

## المطلب الثاني

### العلم والقوة البدنية من أهم شروط الحاكم أو الخليفة

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)﴾ (22).

إن بني إسرائيل لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً منهم؛ فعين لهم طالوت، وكان رجلاً من أجنادهم، ولم يكن من بيت الملك فيهم؛ لأن الملك كان في سبط يهوذا، ولم يكن هذا من ذلك السبط فلماذا قالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ - أي كيف يكون ملكاً علينا (وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) (أي هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاً. وقيل: دباغاً، وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت، وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف) ثم قد أجابهم النبي قائلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ (أي اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم يقول: لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي، بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك) ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبراً في الحرب، ومعرفة بها: أي أتم علماً وقامة منكم) (23).

قال ابن كثير: (ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه) (24).

وقال البيضاوي: (لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك؛ أولاً: بأن العمدة فيه اصطفاؤه الله سبحانه وتعالى، وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم.

## المطلب الأول

### انعقاد الخلافة بالتنصيب

استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (12). إلى أن من طرق انعقاد الخلافة للخليفة النص، وهو المستفاد بالوحي، كما أخبر الله تعالى على لسان نبي بني إسرائيل، أن الملك الذي اختاره الله لهم هو طالوت،

قال صاحب الدرر الغراء: (وأما انعقاد الخلافة بأربعة أشياء: إما بتنصيب الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، أو بتنصيب رسوله عليه السلام كما جاء في بعض الروايات في حق سليمان بتنصيب داود عليه السلام، وكما جاء في بعض الروايات في حق أبي بكر الصديق رحمه الله، ...) (13). وذهب إلى ثبوت الخلافة بالنص بعض فقهاء المسلمين، واختلفوا في ذلك:

— فقد ذهب بعض فقهاء أهل السنة، ومنهم ابن حزم الأندلسي إلى أن رسول الله (ﷺ) قد نصّ على خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، واختلفوا في هل أن ذلك النص جليّ أو خفيّ: فذهب ابن حزم إلى أن رسول الله (ﷺ) قد نصّ على ذلك نصّاً جليّاً (14)، وهو ما رجّحه ابن حجر الهيتمي (15)، (16).

— وذهب البعض الآخر إلى أنه (ﷺ) قد أشار إلى خلافة أبي بكر (رضي الله عنه). بالنص الخفي. وينسب هذا القول إلى الحسن البصري (17) رحمه الله، وجماعة من أهل الحديث (18)، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل (19).

— وذهب الشيعة الإمامية، والزيدية إلى أن رسول الله (ﷺ) قد نصّ على إمامة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). بعده نصّاً جليّاً (20).

— والذي ذهب إليه جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين هو أن رسول الله (ﷺ) لم ينصّ على أحد من بعده، وإنما ترك الأمر شورى بين المسلمين (21).

### المطلب الثالث

#### بطلان اشتراط الوراثية في الإمامة

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (247) (29).

قال الإمام الرازي في تفسيره: ( هذه الآية تدل على بطلان قول من يقول: إن الإمامة موروثية؛ وذلك لأن بني إسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة، فأعلمهم الله تعالى أن هذا ساقط، والمستحق لذلك من خصه الله تعالى بذلك وهو نظير قوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ (30).

وقد اتفق فقهاء المسلمين - حتى من أجاز العهد للأبناء والآباء بالإمامة - على أنه لا يجوز التوارث في الإمامة، فإنه ليس من الإسلام في شيء أن تكون الإمامة في أسرة معينة، أو طائفة خاصة،

قال العلامة بن خلدون: (وأما أن يكون **القصد** بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية، إذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن تحسن فيه النية ما أمكن خوفاً من العبث بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء) (31).

ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الراوندية الذين قالوا إن الإمامة في العباس بن عبد المطلب وفي ولده لا تكون في غيرهم (32).

وهذا قول شاذ لا حجة فيه؛ لأنه مردود بالإجماع علىبيعة أبي بكر رضي الله عنه. فقد بايعه العباس، وابنه عبد الله وجميع الصحابة - رضي الله عنهم -، وبايعوا الخلفاء الراشدين من بعده.

وثانياً: بأن الشرط فيه وفور العلم؛ ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن؛ ليكون أعظم خطراً في القلوب، وأقوى على مقاومة العدو، ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم، وقد زاده الله فيهما، وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه) (25). وقال الرازي: ((وتقرير هذا الجواب أنهم طعنوا في استحقاقه للملك بأمرين أحدهما: أنه ليس من أهل بيت الملك. الثاني: أنه فقير، والله تعالى بين أنه أهل للملك، وقرر ذلك بأنه حصل له وصفان؛ أحدهما: العلم، والثاني: القدرة. وهذان الوصفان أشد مناسبة لاستحقاقه الملك من الوصفين الأولين، وبيان من وجوه: أحدهما: أن العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية، والمال والجاه ليسا كذلك. والثاني: أن العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر نفس الإنسان، والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الإنسان. الثالث: أن العلم والقدرة لا يمكن سلبهما عن الإنسان، والمال والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان. والرابع: أن العلم بأمر الحروب والقوي الشديد على المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد وفي دفع شر الأعداء أتم من الانتفاع بالرجل النسيب الغني إذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الأعداء فثبت بما ذكرنا أن إسناد الملك إلى العالم القادر أولى من إسناده إلى النسيب الغني) (26).

أما اشتراط العلم؛ فقد اتفق العلماء على اشتراطه فيمن يتولى الإمامة؛ وذلك لأن وظيفة الإمامة تقتضي من الإمام أن يكون لديه حصيلة علمية كافية لتدبير الأمور على وجهها الأكمل (27).

وأما اشتراط السلامة الجسمية في الإمام؛ فقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والزيدية، والإمامية (28) إلى اشتراط أن يكون الإمام سليم الأعضاء والحواس من أي نقص فيهما يؤثر على الرأي والعمل والنهوض وسرعة الحركة، ويؤدي إلى تشوه المنظر ويضعف من هيبته الإمام في نفوس الرعية؛ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في قصة طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

## المطلب الرابع

### وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم

قال تعالى : ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾<sup>(33)</sup>. ذكر المفسرون من أخبار داود عليه السلام قبل النبوة أنه كان في جيش طالوت لما برزوا لجالوت وجنوده ، ولما خرج جالوت قائد عسكر الكفر يطلب مبارزاً له فجين الناس ، وخافوا ولم يجروا أحد من جند طالوت على مبارزته لما عرف عن جالوت شدة بأسه في القتال ، حتى قال طالوت قائد جيش المؤمنين : **من يبرز له** ويقتله فأني أزوجه ابنتي وأحكمه في مالي ، فبرز داود ، وكان غلاماً ، فقال : أنا أبرز له وأقتله ، ولم يقبل أن يلبس درعاً ولا أن يحمل سلاحاً بل حمل مقلعه وحجارتَه فسخر منه جالوت حين رآه لصغير سنّه ، فرماه داود بحجارة من مقلعه فأصاب رأسه فقتله وحزّ رأسه وجاء به إلى طالوت<sup>(34)</sup>.

قال القرطبي: (وفي قول طالوت **من يبرز له** ويقتله فأني أزوجه ابنتي وأحكمه في مالي معناه ثابت في شرعنا وهو أن يقول الإمام: من جاء برأس فله كذا ، أو أسير فله كذا )<sup>(35)</sup>.

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان : ( وعلى هذا يجوز لولاة الأمور وضع الجوائز المادية والمعنوية لمن يقوم بأعمال مشروعة عظيمة تنفع المسلمين ، سواء كان ذلك في حالة السلم أو الحرب )<sup>(36)</sup>.

## المبحث الثاني

أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة ذي القرنين- عليه السلام-

وفيه تمهيد وستة مطالب :

**التمهيد:** التعريف بذوي القرنين.

**المطلب الأول:** التمكين في الأرض من لوازم الملك ودواعي استمراره.

**المطلب الثاني:** الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض من واجبات الحاكم المسلم.

**المطلب الثالث:** من السياسة الرشيدة للحكام إنزال الناس منازلهم التي يستحقونها

**المطلب الرابع:** من واجبات الحكام مساعدة المظلومين ونصرتهم وإقامة العدل.

**المطلب الخامس:** دفع الضرر بأيسر ما يندفع به من السياسة الشرعية:

**المطلب السادس:** اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد من السياسة الشرعية.



## المبحث الثاني

### أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصة ذي القرنين-عليه السلام-

تمهيد

#### التعريف بـ (ذوي القرنين):

قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً (ﷺ): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83)﴾<sup>(37)</sup>.

ورد ذكر ذي القرنين في هذه الآية وما بعدها، ولكن النص القرآني لم يذكر شيئاً عن شخصيته، ولا عن زمانه أو مكانه. وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن، فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود، إنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة، والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب الأحيان<sup>(38)</sup>.

وقد اختلف المفسرون والمؤرخون في تحديد شخصية ذي القرنين، وزمانه ومكانه، وسبب تسميته بهذا الاسم، وهل كان نبياً أم لا؟ على أقوال كثيرة استناداً إلى الروايات التاريخية الواردة في ذلك، ولعله لا بدّ من تقديم نبذة موجزة عن ذي القرنين:

(والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادليين، وقيل: كان نبياً، وقيل: رسولاً وأغرب من قال: ملكاً من الملائكة)<sup>(39)</sup>.

روي(عن مجاهد قال: لم يملك الأرض كلها إلا أربعة مسلمان وكافران؛ فأما المسلمان فإسليمان بن داود، وذو القرنين، وأما الكافران فبخت نصر، والذي حاج إبراهيم في ربه)<sup>(40)</sup>.

وقد جاء في بعض الروايات: أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل - عليه السلام - وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام، وروي من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين أن ذا القرنين حج ماشياً وأن إبراهيم لما سمع بقدمه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد<sup>(41)</sup>. ولهذا ذكر العلماء أنّ ذي القرنين ليس الإسكندر اليوناني؛ لأنّ الإسكندر كان قريباً من زمن عيسى عليه السلام، وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة، والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيهاً بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس؛ فلقب ذا القرنين لذلك، ويرجح ابن حجر أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم والفرق بينهما من أوجه:

أحدها: ما سبق من أنّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم - عليه السلام -، وأما الإسكندر اليوناني فإنه قريب من زمن عيسى - عليه السلام -<sup>(42)</sup>.

الثاني: أنّ ذا القرنين كان رجلاً مؤمناً صالحاً، وقال الفخر الرازي في تفسيره: كان ذو القرنين نبياً، بينما كان الإسكندر كافراً، وكان معلمه أرسطو طاليس، وكان يأتمر بأمره، وهو من الكفار بلا شك<sup>(43)</sup>.

الثالث: كان ذو القرنين من العرب، وأما الإسكندر فهو من اليونان<sup>(44)</sup>.

وعن سبب تسميته بذي القرنين؛ فقد اختلف فيه على أقوال كثيرة؛ أهمها: الأول: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض. قال ابن كثير: وهذا أشبه من غيره، وهو قول الزهري.

والثاني: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين، قال وهب بن منبه: كان له قرنان من نحاس في رأسه. قال ابن كثير: وهذا ضعيف.

والثالث: لأنه ملك فارس والروم.

والرابع: قال الحسن البصري كانت له غديرتان من شعر يطافهما فسمي **ذو القرنين**<sup>(45)</sup>.

## المطلب الأول

### إن التمكين في الأرض من لوازم الملك ودواعي استمراره

قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً (ﷺ): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)﴾<sup>(46)</sup>.

لقد امتنَّ الله تعالى على ذي القرنين بالتمكين في الأرض ، وبايتاء الله له من كل شيء سبباً ؛ والمقصود بالتمكين هو التمكين بالقوة والرأي والتدبير والسعة في المال والاستظهار بالعدد ؛ و(مكن له في الشيء جعل له عليه سلطاناً)<sup>(47)</sup>.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: (أي أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتي الملوك من التمكين ، وآلات الحرب ، والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغرب من الأرض ودانت له البلاد ، وخضعت له ملوك العباد ، وخدمته الأمم من العرب والعجم)<sup>(48)</sup>.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: (أي علما وفهما يتوصل به إلى معرفة الأشياء ، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم ، أو قدرة، أو غير ذلك)<sup>(49)</sup>. فع) أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه ما به يستعين على قهر البلدان ، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران ، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه ، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي ، والعمل به حصل المقصود وإن عدما أو أحدهما لم يحصل وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها لم يخبرنا الله ولا رسوله بها ، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة داخلية وخارجية بها صار له جند عظيم ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء ، ومن تسهيل الوصول إلى

مشارك الأرض ومغاريها وأنحائها فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس حتى رأى الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة . (50).

ولهذا فإنّ هذا التمكين لما كان في سياق الامتنان ، علم منه أنّه لا يضير الجماعة المسلمة إلى أن تتطلع إلى التمكين بالحكم والسلطان والعلم بقصد تنفيذ شرع الله تعالى وإعلاء كلمته وإقامة العدل - كما فعل ذو القرنين ، - هو من نعم الله تعالى، والتطلع إلى نوال نعمة الله تعالى أمر مشروع.

وعلى الأمة الإسلامية أن تسعى إلى تحصيل معاني التمكين وأسبابه من قوة وعلم ووعي ديني واعتصام بحبل الله المتين ، وبالوحدة فيما بينهم<sup>(51)</sup>.

### المطلب الثالث

#### من السياسة الرشيدة للحكام ( إنزال الناس منازلهم التي يستحقونها)

قال تعالى متحدثاً عن ذي القرنين: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنصِّحُ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ﴾<sup>(55)</sup>.

(أي إما أن تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين؛ لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق أو فيهم شيء من ذلك؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق لم يخصص له في تعذيبهم؛ فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء لتوفيق الله له؛ لذلك فقال سأجعلهم قسمين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالكفر ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ أي تحصل له العقوبتان عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء العادلين العالمين حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله<sup>(56)</sup>.

فالساسة الرشيدة التي ينبغي على الحكام تطبيقها، هي التفريق بين المسيء والمحسن، وبين الظالم والعاقل، فالظالم ينبغي أن ينال ما يستحق من ردع وزجر وعقاب، والمحسن ينبغي أن ينال ما يستحق من تكريم وجزاء حسن، وهذه السياسة هي التي أعلنها ذو القرنين، وأخبرنا الله بها، ولم ينكرها، فدل على رضاه تعالى عليها. والحقيقة أن ما فعله ذو القرنين، وأعلنه من سياسته الرشيدة في الحكم هو بعض ما أمرت به الشريعة الإسلامية، وأخبرتنا به باعتباره من سنة الله التي لا

### المطلب الثاني

#### الخروج لقمع الفساد وإعلاء

#### كلمة الله في الأرض من واجبات الحاكم المسلم

قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبًا (85) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنصِّحُ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبًا (89) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبًا (92) ﴾<sup>(52)</sup>.

حكى القرآن الكريم عن ذي القرنين أنه بعد تمكين الله وإيثاره من كل شيء سبياً، فأتبع سبياً: أي؛ (ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية إلى مقصده، فيجيء سبب الوصول، وكان ذو القرنين على ما وقع في كتب التواريخ يدوس الأرض بالجيوش النقال والسيرة الحميدة والإعداد الموفى، والحزم المستيقظ المتقد، والتأييد المتواصل، وتقوى الله عز وجل؛ فما لقي أمة، ولا مر بمدينة إلا دانت له ودخلت في طاعته، وكل من عارضه، أو توقف عن أمره جعله عظة وآية لغيره، وله في هذا المعنى أخبار كثيرة وغرائب<sup>(53)</sup>.

يستفاد من خروج ذي القرنين من بلده وتنقله في الأرض شرقاً وغرباً لنشر العدل والحق، وقمع الكفر وأهله، والقضاء على الفساد في الأرض، أن على الحاكم المسلم الصالح إذا أوتي قوة كافية؛ فعليه الخروج والزحف إلى الدول الكافرة، وإخضاعها إلى حكمه، إن هي رفضت الإسلام، فما ينبغي للكفر والكافرين أن يحكموا، ويتحكموا في رقاب العباد؛ ولأن حكم الطواغيت في الأرض منكر عظيم، ومن واجب الحاكم المسلم، ودولته المسلمة إزالة هذا المنكر<sup>(54)</sup>. ولهذا كان من سيرة النبي محمد (ﷺ)، والخلفاء الراشدين من بعده إرسال الجيوش الإسلامية لدعوة الناس إلى الدخول في دين الله تعالى، وإخضاعهم لسلطان الإسلام، وإزالة حكم الطواغيت من وجه الأرض.

## المطلب الرابع

### من واجبات الحكام مساعدة المظلومين ونصرتهم وإقامة العدل

قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)﴾<sup>(61)</sup>.

قال المفسرون: ذهب ذو القرنين متوجها من المشرق قاصدا للشمال فوصل إلى ما بين السدين وهما سدان كانا معروفين في ذلك الزمان سدان من سلاسل الجبال المتصلة يمنية ويسرة حتى تتصل بالبحار بين يأجوج ومأجوج وبين الناس وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم واستعجاب أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم ووقفهم وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جعلاً ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبدلوا له أجرة ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي وهو إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلباتهم لما فيها من المصلحة ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي مما تبذلون لي وتعطوني وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي مانعا من

تتبدل، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾<sup>(57)</sup>. وقد دلت هذه الآية على أن الله تعالى قد نفى المساواة بين المؤمنين والكفار، وبين المتقين والفجار، فلا تساوي بينهم في الجزاء في الآخرة، ولا مساواة بينهم أيضاً في الدنيا<sup>(58)</sup>.

(سئل ذو القرنين ف قيل أي شيء من مملكتك أنت به أكثر سرورا فقال :

شئان: أحدهما: العدل والإنصاف

والثاني: أن أكافئ من أحسن إلي بأكثر من إحسانه)<sup>(59)</sup>.

ومن أثر هذه السياسة الرشيدة في الحكم، أن الصالحين المحسنين يجدون التكريم والكرامة من الحكام، ومن مظاهر تكريمهم إنزالهم المنزلة لتي يستحقونها، ومن هذه المنزلة تقريبهم إليهم والاستماع إلى نصحتهم ومشورتهم، أما الظالمون المعتدون فلا يلقون من الجزاء إلا ما يستحقون، ومن هذا الجزاء العقاب، ومن عقابهم أيضاً إبعادهم عن منازل المسؤولية وعدم إناطة وظائف الدولة بهم وعدم تقريبهم من ذوي الحكم والسلطان، وبهذه السياسة تستقيم الأمور وتتصح الأحوال، ويروج سوق العدل والإحسان، ويكسد سوق الظلم والطغيان<sup>(60)</sup>.

## المطلب الخامس

### دفع الضرر بأيسر ما يندفع به من السياسة الشرعية

قال تعالى حكاية عما جرى بين ذي القرنين والقوم الذين شكوا إليه من إفساد يأجوج ومأجوج: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) أَتُونِي زُرَّ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) ﴾<sup>(64)</sup>.

يستفاد من بناء ذي القرنين السد لدفع شر يأجوج ومأجوج أن بناء السد هو مسلك سلكه ذو القرنين؛ لأنه يحقق دفع الشر والضرر المتأني من يأجوج ومأجوج عن أولئك القوم المستضعفين، ولم يسلك ذو القرنين وسيلة قتال يأجوج ومأجوج، وهذا قد يكون مرده أن قتالهم لا يستأصل قدرتهم على العدوان، أو أن مفاصده أكثر من مصالحه، أو لأن بناء السد يكفي لتحقيق مقصود المستضعفين وهو منع هجمات يأجوج ومأجوج عليهم، وهذا هو المطلوب وهو مقصودهم.

وقد دللت العديد من القواعد الفقهية على هذا المعنى، وهو دفع الضرر والشر بأيسر ما يندفع به، ومن أهم هذه القواعد:

1. قاعدة: (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) <sup>(65)</sup>.
2. وقاعدة: (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما) <sup>(66)</sup>.
3. وقاعدة: (يختار أهون الشرين، أو أخف الضررين) <sup>(67)</sup>.

وهذه القواعد مهما اختلفت ألفاظها فهي متحدة المعنى، أي: (أن الأمر إذا دار بين ضررين أحدهما أشد من الآخر فيتحمل الضرر الأخف، ولا يرتكب الأشد) <sup>(68)</sup>.

عبرهم عليكم ﴿ أَتُونِي زُرَّ الْحَدِيدِ ﴾ أي قطع الحديد فأعطوه ذلك ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أي الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ أي أوقدوها إيقاداً عظيماً واستعملوا لها المنافخ لتشتد فتذيب النحاس فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أي نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر فاستحکم السد استحكاماً هائلاً وامتنع به من وراءه من الناس من ضرر يأجوج ومأجوج ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ <sup>(62)</sup>.

وهكذا يتبين أن على الملوك والحكام وكل من له قوة وقدرة مساعدة المظلومين ونصرتهم ونجدهم إذا تعرضوا إلى أي اعتداء أو ظلم، كما فعل ذو القرنين في استجابته، للقوم في طلبهم منه بناء السد؛ لتخليصهم من اعتداءات وهجمات يأجوج ومأجوج.

قال القرطبي: (( في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغورهم من أموالهم التي تقيهم، وحقوقهم التي تجمعها خزانته تحت يده ونظره حتى لو أكلتها الحقوق وأنفدتها المؤمن لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم، وذلك بثلاثة شروط: الأول: ألا يستأثر عليهم بشيء. الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم. الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم. فإذا فئبت بعد هذا وبقيت صفراً فأطلعت الحوادث أمراً بذلوا أنفسهم قبل أموالهم فإن لم يغن ذلك، فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير وتصرف بتدبير، فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في أن يكف عنهم ما يحذرونه من عادية يأجوج ومأجوج قال: لست أحتاج إليه وإنما أحتاج إليكم ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم، ورأى أن الأموال لا تغني عنهم، فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فيعود بالأجر عليهم فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى، وضابط الأمر أنه لا يحل مال أحد إلا لضرورة تعرض فيؤخذ ذلك المال جهراً لا سراً وينفق بالعدل لا بالاستئثار، ويرأي الجماعة لا بالاستبداد بالأمر) <sup>(63)</sup>.

## المطلب السادس

### اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد من السياسة الشرعية

استنبط العلماء من بناء ذي القرنين السد - لدفع شر يأجوج ومأجوج عن القوم المستضعفين - مشروعية اتخاذ السجون ، وحبس أهل الفساد ؛  
قال القرطبي: ( في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركون وما هم عليه بل يوجعون ضرباً ويحبسون أو يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه )<sup>(71)</sup>.  
وحقيقة السجن أنه مشتق من الحصر ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾<sup>(72)</sup>. أي سجنًا وحبسًا<sup>(73)</sup>.

قال ابن الهمام<sup>(74)</sup>: ( الحبس مشروع بالكتاب ؛ لأنه المراد بالنفي المذكور في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَفْوَا مِنَ الْأَرْضِ ﴾<sup>(75)</sup> ، وبالسنة على ما سلف أنه ( ﷺ ) حبس رجلاً في تهمة<sup>(76)</sup> .

وقال العلامة ابن قيم الجوزية: ( اعلم أن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق ، وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء سواء كان في بيت ، أو في مسجد ، أو كان بتوكل نفس الغريم ، أو وكيله عليه وملازمته له )<sup>(77)</sup> ،

ولهذا أسماه النبي ( ﷺ ) أسيراً ففي سنن أبي داود وابن ماجه عن الهرماس<sup>(78)</sup> بن حبيب عن أبيه عن جده قال: أتيت النبي ( ﷺ ) بغريم لي فقال لي: (( الزمه ثم قال لي يا أبا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك ))<sup>(79)</sup> ، في رواية ابن ماجه : (( مر بي آخر النهار فقال ما فعل أسيرك يا أبا بني تميم ؟ ))<sup>(80)</sup> .

وهذا كان هو الحبس في زمن رسول الله ( ﷺ ) وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم يكن له حبس معد لحبس الخصوم ، فلما انتشرت الرعية في زمن عمر رضي

وتطبيق هذه القاعدة في بناء ذي القرنين السد لدفع ضرر يأجوج ومأجوج ، فبناء السد وإن كان فيه جهد ومشقة وبذل للأموال ، - وهو ضرر - ولكنه أخف من الضرر المترتب على قتالهم ؛ لأنّ الضرر بذهاب الأنفس أكبر من الضرر بذهاب الأموال والأوقات فيدفع به .

وهكذا ينبغي على الحكام والولاة وكل من له سلطة شرعية ويريد أن يزيل ضرراً فعلياً أن يوازن بين الأضرار فما تردد بين ضررين وشرين عمد إلى دفع أعظمهما بارتكاب أخفهما .

ومن الأمثلة على ذلك من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب فقد روي أنه: لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ( ﷺ ) الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، . . . وعلّل النبي ( ﷺ ) ذلك بقوله لسعد بن معاذ وسعد ابن عباد لما استشارهم وسألوه عن الدافع لذلك ؛ قال: (( بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ))<sup>(69)</sup> . فعرض النبي ( ﷺ ) ثلث ثمار المدينة إنما كان لدفع الضرر الأكبر المتمثل بقتال غطفان مع قريش بضرر أخف وهو إعطاؤهم بعض الثمار دليل على مشروعية ذلك ، ولكن الأنصار لما علموا أنّ النبي ( ﷺ ) إنما فعل ذلك ؛ لأجلهم ، ولم يلزمهم به ، واستشارهم وخيرهم ، عزموا على القتال حتى قال سعد بن معاذ : ( يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً فأحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم )<sup>(70)</sup> .



## الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية المفيدة مع أحكام السياسة الشرعية المستفادة من قصتي طالوت وذوي القرنين - عليهما السلام - فإنه لا بدّ من ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها مع ما تركته مبعوثاً في ثنايا البحث :

1. إنّ القصص القرآني يعتبر مصدراً من مصادر السياسة الشرعية ؛ وذلك لأنّ بعض القصص القرآني اشتمل على بعض الأحكام السياسية المتعلقة بأمر الملك وسياسة الرعية ، فقد ذكر القرآن الكريم سيرة بعض الأنبياء والمصلحين الذين تبوّثوا منزلة سياسية كالمملك وقيادة الجيوش ، كما في قصة يوسف ، داود وسليمان وقصة طالوت وذوي القرنين - عليهما السلام . -

2- إنّ طالوت ، و ذا القرنين - - عليهما السلام - كانا ملكين صالحين ، وقيل : كانا نبیین ، وقد تضمنت قصتهما دلالات سياسية مهمة يمكن للحكام والساسة الاستئارة بها والاستفادة منها .

3- إنّ ذا القرنين ليس هو الاسكندر اليوناني ؛ وذلك لأنّ ذا القرنين ملك مؤمن ، وأما الاسكندر المعروف ، فهو كافر .

4. ذهب بعض فقهاء المسلمين إلى أنّ من طرق ثبوت الخلافة هو النص ، كما نص الله تعالى على تولية طالوت ملكاً على بني إسرائيل على لسان أحد أنبيائهم ، وقال بعضهم : بانعقاد خلافة أبي بكر رضي الله عنه بالنص عليه ، وقال بعضهم بالنص على علي رضي الله عنه ، والراجح عند أهل السنة والجماعة أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - لم ينص على أحد خليفة من بعده ، وإنّما ترك الأمر شورى بين المسلمين .

5- من أهم شروط الخليفة وحاكم العلم والقدرة البدنية ؛ فينبغي أن يكون ذا علم ، وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه وأن يكون سليماً من العيوب المانعة من أداء

الله عنه ابتاع بمكة داراً وجعلها سجناً يحبس فيها ، وجاء أنه اشترى من صفوان بن أمية داراً بأربعة آلاف درهم وجعلها حبساً ، وفي هذا دليل على جواز اتخاذ الحبس<sup>(81)</sup> . وكان مالك يقول فيما رواه عنه مطرف<sup>(82)</sup> في هؤلاء الذين قد عرفوا بالفساد والجرم : (إن الضرب ما ينكلهم ، ولكن أرى أن يحبسهم السلطان في السجن ، ويتقلهم بالحديد ولا يخرجهم منه أبداً فذلك خير له ، ولأهلهم وللمسلمين حتى تظهر توبة أحدهم وتثبت عند السلطان ، فإذا صلح وظهرت توبته أطلقه)<sup>(83)</sup> .

- 12- إنَّ إزالة المنكر العظيم والضرر الكبير ينبغي أن تكون بالأسير والأخف ،فعلى الحكام والولاة وكل من له سلطة شرعية ويريد أن يزيل ضرراً أن يوازن بين الأضرار فما تردّد بين ضررين وشرين عمد إلى دفع أعظمهما بارتكاب أخفهما.
- 13- من السياسة الشرعية اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركون وما هم عليه.

- مقاصد الحكم ،أمّا العلم فليتمكن به من معرفة الأمور السياسية ،وأمّا القدرة وسلامة البدن ؛ليكون أعظم خطراً في القلوب ،وأقوى على مقاومة العدو ،ومكابدة الحروب.
- 6- لا يشترط التوارث في الإمامة ولا يجوز ،فإنّه ليس من الإسلام في شيء أن تكون الإمامة في أسرة معينة ،أو طائفة خاصة .
- 7- يجوز لولاة الأمور وضع الجوائز المادية والمعنوية لمن يقوم بأعمال مشروعة عظيمة تنفع المسلمين ، سواء كان ذلك في حالة السلم أو الحرب.
- 8- إن التمكين بالحكم والسلطان والعلم بقصد تنفيذ شرع الله تعالى وإعلاء كلمته وإقامة العدل . هو من نعم الله تعالى على العبد والأمة ، والتطلع إلى نوال نعمة الله تعالى أمر مشروع.
- 9- من واجبات الحاكم المسلم الخروج لقمع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض فالحاكم الصالح إذا أوتي قوة كافية ؛ فعليه الخروج والزحف إلى الدول الكافرة ، وإخضاعها إلى حكمه ،إن هي رفضت الإسلام ، فما ينبغي للكفر والكافرين أن يحكموا ، ويتحكّموا في رقاب العباد ؛ ولأنّ حكم الطواغيت في الأرض منكر عظيم ، ومن واجب الحاكم المسلم ، ودولته المسلمة إزالة هذا المنكر.
- 10- السياسة الرشيدة التي ينبغي على الحكام تطبيقها ، هي التفريق بين المسيء والمحسن ، وبين الظالم والعاقل ، فالظالم ينبغي أن ينال ما يستحق من ردع وزجر وعقاب ، والمحسن ينبغي أن ينال ما يستحق من تكريم وجزاء حسن.
- 11- يجب على الملوك والحكام وكل من له قوة وقدرة مساعدة المظلومين ونصرتهم ونجدهم إذا تعرضوا إلى أي اعتداء أو ظلم.



### الهوامش

- (1) [يوسف : من الآية 111] .
- (2) ينظر : لسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى ، مادة (حكم) (141/12) .
- (3) البحر المحيط في أصول الفقه : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر ، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى، (91/1) .
- (4) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية، (175/16) .
- (5) ينظر: لسان العرب لابن منظور(سوس) (108/6) .
- (6) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ،دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ،توزيع مكتبة عباس أحمد الباز . مكة المكرمة .، ص151 .
- (7) السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها : الدكتور يوسف القرضاوي ،مكتبة وهبة . القاهرة، الطبعة الأولى (1419هـ . 1998م )، ص32
- (8) السياسة الشرعية : الشيخ عبد الوهاب خلاّف ،مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الثالثة (1407هـ . 1987م) . ص 17
- (9) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. (320/1).

- (10) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر - بيروت - 1995 م. ( 436/24 ) .
- (11) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة. ( 251/3 ) .
- (12) [البقرة :من الآية (247)].
- (13) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، تأليف: محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذيتي ، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - 1417هـ - 1996م (128/1).
- (14) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) ،تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي ،دار النشر: المكتبة التوفيقية ،القاهرة . مصر . (28/3).
- (15) الشيخ الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر **الهيتمي** السعدي الأنصاري، إمام الحرمين كما أجمع على ذلك العارفون، ولد في رجب سنة 909هـ ، كان بحرا في علم الفقه، توفي بمكة في سنة 974هـ . ينظر: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تأليف: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العبدروسي،(258/1) ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى(1405هـ).
- (16) ينظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي، ص69.
- (17) الإمام أبو سعيد **الحسن بن أبي الحسن البصري** ،واسم أبي الحسن يسار مولى الأنصار ،ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وروي أن

(23) تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، دار الفكر - بيروت - 1401 . (302/1).

(24) المصدر السابق نفسه.

(25) تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): الإمام أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر - بيروت (1/543-544).

(26) تفسير الرازي المعروف ب(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى (1421هـ - 2000م). (147/6 - 148).

(27) ينظر: حاشية ابن عابدين (548/1)، الشرح الكبير: سيدي أحمد الدردير أبو البركات، تحقيق: محمد عليش، دار النشر: دار الفكر - بيروت. للدردير (129/4)، والذخيرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب - بيروت - 1994م. (25. 24/10)، ومغني المحتاج (130/4)، والأحكام السلطانية للماوردي ص 15، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي ص 20، والفصل لابن حزم (96/3). والبحر الزخار لابن المرتضى (105/6)،

(28) ينظر: حاشية ابن عابدين (264/4)، والذخيرة للقرافي (24/10-25)، ومقدمة ابن خلدون ص 152، والأحكام السلطانية للماوردي ص 15، ومغني المحتاج للشربيني (130/4 وما بعدها)، وغياث الأمم لأبي المعالي الجويني ص 60-61، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص 21، ومنار السبيل في شرح الدليل: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، تحقيق: عصام القلعجي، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الثانية، - 1405هـ (353/2)، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة: أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت: 820هـ)، تحقيق: عبد

أمه كانت خادمة لأم سلمة زوج رسول الله (ﷺ) ورضي الله عنها، وربما بعثتها في حاجة فيبكي الحسن فتناولته ثديها، فرأوا أن تلك الحكم التي رزقها الحسن من بركات ذلك، مات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ينظر: طبقات الفقهاء، تأليف: الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ص 91، تحقيق: خليل الميس، دار النشر: دار القلم - بيروت، و(المنظم في تاريخ الملوك والأمم، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (136/7)، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى (1358هـ)

(18) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 403.

(19) ينظر: المعتمد في أصول الدين، تأليف: القاضي أبي يعلى الفراء، دار النشر: دار الشرق، ص 226.

(20) ينظر: عقائد الإمامية، تأليف محمد رضا المظفر (ت 1381هـ)، ص 74، تقديم: الدكتور حامد حفني داود، دار النشر: انصاريان - قم - إيران، والبحر الزخار لابن المرتضى (105/1).

(21) ينظر: رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين. (548/1)، وروضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - 1405هـ. (43/10)، والأحكام السلطانية والولايات الدينية: القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: عصام فارس الحرساني، ومحمد إبراهيم الزعلي، المكتب الإسلامي، بيروت. دمشق، ط 1. ص 13.

(22) [البقرة: 247].

- (42) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (103/2)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).
- (43) ينظر: تفسير الرازي (21 / 140)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).
- (44) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).
- (45) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ - 1993م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (385/9)، و البداية والنهاية لابن كثير (103/2)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).
- (46) [الكهف: 83، 84].
- (47) المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية (881/2).
- (48) تفسير ابن كثير (102/3).
- (49) التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبى، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - 1403هـ - 1983م، الطبعة: الرابعة التسهيل لعلوم التنزيل (195/2).
- (50) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المعروف بـ (تفسير السعدي): تأليف: الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلاً اللويح، دار ابن حزم بيروت، لبنان - الطبعة الأولى (1424هـ - 2003م) ص 485.
- (51) المستفاد من قصص القرآن ص 349.
- (52) [الكهف: 85، 92].

- الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت - الكويت. الطبعة: الثانية 1985، (1 / 3433)، والبحر الزخار (575/6).
- (29) [البقرة: 247].
- (30) [آل عمران: من الآية 26].
- (31) مقدمة ابن خلدون ص 166.
- (32) ينظر: مقالات الإسلاميين ص 462، والبحر الزخار (568/6)، و الفصل لابن حزم (97/3).
- (33) [البقرة: 251].
- (34) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (257/3 - 258)، والدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت (762/1).
- (35) الجامع لأحكام القرآن (258/3).
- (36) المستفاد من قصص القرآن د. عبد الكريم زيدان ص 274.
- (37) [الكهف: 83].
- (38) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. الطبعة: السابعة، (1391هـ - 1971م). (406/5).
- (39) البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت (103/2).
- (40) مصنف ابن أبي شيبة المسمى (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار): أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت: 235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت. دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض -، الطبعة: الأولى، 1409 هـ (346/6).
- (41) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (382/6 وما بعدها).

(68) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية : الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد البورنو ، ص 260 .مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة (1422هـ - 2002م )

(69) السيرة النبوية : تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار النشر: دار الجيل - بيروت - 1411، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (180/4-181).

(70) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 181)، و السيرة الحلبية في سيرة الأئمة المأمون، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - 1400 (641/2).

(71) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (59/11).

(72) [الإسراء: من الآية 8].

(73) الدر المنثور (5/245)، والتسهيل لعلوم التنزيل (2/168).

(74) هو :محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال ابن الهمام

السيواسي الأصل ثم القاهري الحنفي ، من كبار علماء الحنفية في القرن التاسع ولد سنة 790 هـ ،قال السخاوي في حقه: انه عالم أهل الأرض ومحقق أولى العصر وصنف التصانيف النافعة كشرح الهداية في الفقه والتحرير في أصول الفقه والمسابقة في أصول الدين، ومات في يوم الجمعة سابع رمضان سنة 861 . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - (202/2) .

(75) [المائدة : من الآية 33].

(76) شرح سنن ابن ماجه (1/175).

(77) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تأليف: برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري ، تحقيق: خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي . دار

(53) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/540)، وتفسير الثعالبي(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (394/2).

(54)المستفاد من قصص القرآن ص350.

(55) [الكهف: 86، 88].

(56) تفسير السعدي ص 486.

(57) [ص: 28].

(58) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/191).

(59) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبي ، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - 1417هـ - 1996م (159/1)،

(60) المستفاد من قصص القرآن ص350.

(61)[الكهف: 86، 88].

(62) تفسير السعدي ص 486. وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل(2/195، 196).

(63) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (11/60).

(64) [الكهف: 94 - 97].

(65) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 88. ومجلة الأحكام العدلية تأليف: جمعية المجلة، دار النشر: كارخانه تجارت كتب، تحقيق: نجيب هوايني ص 19، المادة 27 .

(66) الأشباه والنظائر، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1403، الطبعة: الأولى ص87 ،والأشباه والنظائر لابن نجيم ص 89 ، والقواعد ، تأليف: ابن رجب الحنبلي، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة - 1999م، الطبعة: الثانية القاعدة 112 ، ومجلة الأحكام العدلية ص19 المادة 28 .

(67) مجلة الأحكام العدلية ص19 ،المادة 29.

## ثبت المراجع والمصادر

### وهي بعد القرآن الكريم:

- 1- الأحكام السلطانية: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت458 هـ)، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت (1421 هـ - 2000م).
2. الأحكام السلطانية والولايات الدينية: القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت450هـ)، تحقيق عصام فارس الحرساني، ومحمد إبراهيم الزعلي، المكتب الإسلامي، بيروت. دمشق، ط1.
- 3- أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف ب(ابن العربي) المالكي (ت:543هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- 4- الأشباه والنظائر، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1403، الطبعة: الأولى.
- 5- الأشباه والنظائر: تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 6- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - 1415 هـ - 1995م.
7. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد الشربيني الخطيب، دار الفكر - بيروت - 1415، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر الإقناع للشربيني.
- 8- البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت.

- النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، 1422 هـ - 2001م (232/2).
- والترتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية) (298/1).
- (78) هو: **الهرماس** بن حبيب التميمي العنبري روى عن أبيه عن جده عن النبي (ﷺ) روى عنه النضر بن شميل، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم ذكره أبي عن إسحاق بن منصور أنه قال سئل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين عن **الهرماس** بن حبيب العنبري فقالا: لا نعرفه قال عبد الرحمن: سألت أبي عنه فقال: هو شيخ أعرابي لم يرو عنه غير النضر بن شميل ولا يعرف أبوه ولا جده روى له أبو داود وابن ماجه. تهذيب الكمال تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1400 - 1980، الطبعة: الأولى، (162/30).
- (79) أخرجه أبو داود في سننه (314/3) باب الحبس في الدين وغيره رقم (3629).
- (80) سنن ابن ماجه (811/2) باب الحبس في الدين والملازمة رقم (2428).
- (81) تبصرة الحكام لابن فرحون (232/2).
- (82) هو: **أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان ابن يسار الأصم**، ابن أخت مالك، قال صحبت مالكا عشرين سنة وتفقه به وبعبد العزيز بن الماجشون وابن وأبي حازم وابن دينار وابن كنانة وابن المغيرة وتوفي بالمدينة سنة عشرين ومائتين. طبقات الفقهاء ص153.
- (83) المصدر السابق (134/2).

17- التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية) ، تأليف: الشيخ عبد الحي الكتاني، دار الكتاب العربي - بيروت.

18- التسهيل لعلوم التنزيل:، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - 1403هـ - 1983م، الطبعة: الرابعة التسهيل لعلوم التنزيل (195/2).

19- تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت:774هـ) ، دار الفكر - بيروت - 1401 .

20- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

21- تفسير البغوي، البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة - بيروت.

22- تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): الإمام أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الفكر - بيروت .

23- تفسير الرازي المعروف ب(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى ( 1421هـ - 2000م).

24- تفسير الثعالبي(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (394/2).

25- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المعروف بـ ( تفسير السعدي): تأليف : الشيخ : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلاً اللويحق ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان - الطبعة الأولى (1424هـ - 2003م ).

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار النشر: دار المعرفة - بيروت -

9- البحر الزخار لابن المرتضى الزيدي.

10- البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى،

11- بدائع السلك ، تأليف: ابن الأزرقي(م)، تحقيق: د.علي سامي النشار: وزارة الإعلام - العراق، الطبعة: الأولى،

12- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

13- التأريخ الكبير : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي .

14- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى(1405هـ).

15- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر - بيروت - 1995 م.:

16- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تأليف: برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، ، تحقيق: خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي . دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت ، 1422هـ - 2001م.

- 35- سنن أبي داود :تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر - -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- 36- السياسة الشرعية : الشيخ عبد الوهاب خلاّف ،مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الثالثة (1407هـ . 1987م) .
- 37- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها : الدكتور يوسف القرضاوي ،مكتبة وهبة . القاهرة ، الطبعة الأولى (1419هـ . 1998م )،
- 38- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - 1400.
- 39- السيرة النبوية : تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار النشر: دار الجبل - بيروت - 1411، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد
- 40- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (792هـ). تحقيق : أحمد محمد شاكر مكتبة دار التراث ، القاهرة
- 41- الشرح الكبير: سيدي أحمد الدردير أبو البركات، ، تحقيق: محمد عليش، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- 42- صحيح البخاري المسمى (الجامع الصحيح ): الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت:256هـ) ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - الطبعة: الثالثة،(1407 هـ - 1987 م).
- 43- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 44- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي.

- 26- في ظلال القرآن : سيد قطب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان . الطبعة : السابعة ، (1391هـ - 1971م ).
- . تهذيب الكمال: تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1400 - 1980، الطبعة: الأولى،
- 27- تهذيب اللغة ،أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى : دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب تهذيب اللغة
- 28- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة.
- 29- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت -
30. الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ، محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبي ، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض - 1417هـ - 1996م
- 31- الذخيرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب - بيروت - 1994م.
32. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة: ابن عابدين ، دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت.(1421هـ - 2000م ) .
33. روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي(ت:676هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة: الثانية- 1405هـ.
- 34- سنن ابن ماجه. :أليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- 53- مآثر الإنافة في معالم الخلافة: أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت: 820هـ) ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت - الكويت . الطبعة: الثانية 1985 .
- 54- مجلة الأحكام العدلية: تأليف: جمعية المجلة، دار النشر: كارخانه تجارت كتب، تحقيق: نجيب هوايني.
- 55- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ - 1993م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
- 56- المدونة الكبرى: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ) ، دار صادر - بيروت.
- 57- المستفاد من قصص القرآن : للدكتور عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق - سوريا ، الطبعة الأولى (1430هـ - 2009م).
- 58- مصنف ابن أبي شيبة المسمى (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار): أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت: 235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت. دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ، الطبعة: الأولى، 1409 هـ.
- 59- المعتمد في أصول الدين ،: أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت 458) ، تحقيق: د. ديع زيدان حداد، ط: دار الشرق ، المكتبة الشرقية ، بيروت . لبنان .
- 60- المعجم الوسيط:: تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية
- 61- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني (من أعيان علماء الشافعيين في القرن العاشر الهجري)، دار الفكر - بيروت.

- 45- طبقات الفقهاء، الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق: خليل الميس، دار القلم - بيروت.
- 46- عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ت 1381هـ) ، ، تقديم : الدكتور حامد حفني داود، انصاريان - قم - ايران،
- 47- غريب القرآن : أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - 1416هـ - 1995م،
- 48- غياث الأمم والتهياث الظلم: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت 470هـ)، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم ، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة - الإسكندرية - الطبعة: الأولى، ( 1979م) .
- 49- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- 50- الفصل في الملل والأهواء والنحل: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) ، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة . مصر .
- 51- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 52- لسان العرب: تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى .



62. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت620هـ) ، دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى - 1405هـ.
63. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر: دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- 64- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت330هـ) ، تحقيق: هلموت ريتز، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة .
65. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز . مكة المكرمة
- 66 منار السبيل في شرح الدليل: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، تحقيق: عصام القلعجي، مكتبة المعارف - الرياض ، الطبعة: الثانية، - 1405هـ.
- 67- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى ( 1358هـ ) .
- 68- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى: دار إحياء التراث - بيروت - 1420هـ - 2000م.
- 69- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية : الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد البورنو ، ص 260 . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة (1422هـ - 2002م ) .

## أثر الحضارة في الصورة والخيال في

### الشعر العباسي

#### (دراسة تحليلية)

م.م نايف عبدالله محمود

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

#### الملخص

يتضح لنا أن الشعراء العباسيين استقوا مادتهم الخام للصورة الفنية من واقع الحضارة العباسية الراقية التي طبعتهم بطابعها ، فجاءت ألفاظهم حضارية تحمل معاني ذات دلالة حضارية .

ثم يتبين لنا أن العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، كان من أزهى العصور وأخصبها بفعل الحضارة والنعيم الذي عاشه إنسان العصر . كما توافرت كل أسباب وعوامل نمو الحضارة ، بل كانت أرض الرافدين تربة خصبة لبناء حضارة راقية عصرئذ ، وقد جاء الشعراء ليجدوا أنفسهم في خضم هذه الحضارة ، ووسط هذا النعيم في قصور الخلفاء الذين أضفوا على قصورهم هيبة ووقاراً ، كما نقلوا ما وجوده في بلاط الفرس إلى بلاطهم ، مما جعلهم مثار إعجاب عند الشعراء ، الذين تغنوا بمعالم الحضارة والرفي أنى كانت ، فجاءت أصواتهم تخليداً لذلك التراث الذي ننحني له إكباراً وإجلالاً إلى يومنا هذا .

ابنة للخيال الخلاق ؛ لأنّ الخيال هو الذي يتصور الأشياء مبعثرة ، أو متفرقة ،  
ليشكل منها صورة منسجمة .

وأشار عبد القادر الرباعي إلى ذلك بقوله : (( والصورة الفنية هي ابنة  
الخيال الخلاق الذي يبذل ويبحث الأشياء ثم يختار ويعيد الجمع والتأليف والتشكيل  
على كيفية خاصة ، يرتضيه له ذات صاحبه وذوقه وموهبته حتى يخرج النتاج  
مدهشاً يحمل غاية الأدب والفن عموماً ))<sup>(4)</sup>.

فالصورة مظهر خارجي للأشياء ، تتشكل لتعبر عن جوهر الانفعالات  
والخلجات النفسية الداخلية ، التي يصعب إدراكها إلا عن طريق الصورة ، التي  
تعتبر في الغالب عن الاحاسيس الداخلية للإنسان .

فالصورة هي ابنة الخيال الشعري الممتاز ، الذي يتألف عند الشعراء من  
قوى داخلية ، تفرق العناصر ، وتنتشر المواد لتعيد ترتيبها وتركيبها بقالب خاص ،  
حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم فالفن — والشعر جزء منه — نظام للقلب  
والخيال في آن واحد . والصورة في هذا المفهوم ((مظهر حسي خارجي شكل  
ليكون قادراً على التعبير عن عالم من الدوافع والانفعالات والمعاني لا يجد ولا  
يحس ؛ ذلك لأن الفن ليس سوى خلق للصور التي ترمز الى المشاعر الانسانية  
المتلاحمة))<sup>(5)</sup>.

فالصورة الفنية تتولد من الخيال ، والخيال مصدر مهم في مجال الجمال  
الفني للشعر ، وتعد العاطفة مصدراً خصباً للخيال المبدع ، فهي من أركان الشعر  
الجيد ، كما أن الموسيقى والأوزان من خصائص الشعر عامة ، بالإضافة إلى اللغة  
التي تتحد مع بعضها بعضاً لتشكل عملاً إبداعياً جميلاً ، مشتملاً على التشبيه  
والاستعارة والتي ترفع من فنية الإبداع .

### تمهيد

تطورت اللغة الشعرية في العصر العباسي بشكل ملحوظ ، وكان مرد ذلك  
إلى طبيعة الحياة الحضرية ، ومن المعلوم أن اللفظة بمفردها لا يُحدّد معناها بشكل  
دقيق ولكن اللفظة مع أختها تصبح قادرة على تحديد المطلوب ؛ لأن علائق اللغة  
هي التي تستطيع تحديد المفاهيم الدقيقة للفظ ، وعلى الرغم من الاختلافات  
المتباينة لمفهوم الصورة ، فإنها قد تتفق على إطار عام لتعريف الصورة والخيال .  
وحدد محمد غنيمي هلال مفهوم الخيال بقوله : (( الخيال هو العدسة  
الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها  
ولونها ))<sup>(1)</sup>.

والخيال ركن رئيس من أركان الشعر ، ويعتمد عليها الصورة الشعرية  
اعتماداً كبيراً مع التجسيد ولا يمكن للشعر أن يخلو من العاطفة والخيال يعدّهما  
ركنين أساسيين من أركان الشعر ، ويلجأ الشاعر الى الخيال لإدراك الحقائق التي لا  
يستطيع إدراكها بالحس ، وفي ذلك يقول محمد مندور : (( إن الخيال عند كبار  
الأدباء والشعراء ، قد كان دائماً وسيلة لإدراك الحقائق التي قد يعجز عن إدراكها  
الحس المباشر أو منطق العقل ))<sup>(2)</sup>.

يقول أحمد الشايب : (( إن بين العاطفة والخيال ارتباطاً وثيقاً ، فهو الذي  
يصورها ويبعث منها في نفوس القراء والسامعين ، وقوته مرتبطة بقوتها ، فإذا  
كانت صادقة قوية ، أنشأت خيالاتاً رائعة وإذا كانت سقيمة ، أو مصطنعة كان الخيال  
هزياً سخيلاً ))<sup>(3)</sup>.

فالخيال في الشعر يلعب دوراً مهماً في إبراز كينونة الأشياء ليكون عملاً  
شعرياً متكاملًا منسجماً ليؤثر في ذات القارئ ، ومن النقاد من اعتبر الصورة الفنية

لم ينسلخ بشار بن برد كغيره من الشعراء من ماضيه القديم وإنما لتخفف من صور التقاليد القديمة ، ليستبدل بها أصولاً فنية جديدة تتلاءم وواقع الحضارة العباسية . وهذا بشار بن برد يصور حبيبته (عَبْدَة) فيقول:

زَانِهَا مُسْفِرٌ وَتَغَرَّ نَقِيٌّ      مِثْلُ دُرِّ النَّظَامِ فِيهِ اسْتِوَاءُ  
وَكَلَّهَا وَارِدُ الْغَدَائِرِ كَالْكُرِّ      مِ سَوَاداً قَدْ حَانَ مِنْهُ انْتِهَاءُ  
وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرُّوِّ      ضِ زَهْنَهُ الصَّفْرَاءُ وَالْحَمْرَاءُ<sup>(9)</sup>

وعلى الرغم من أن الشاعر يصور حبيبته بمظاهر جمالية عالية ، فإنه قد لجأ الى استعمال ألفاظ ذات دلالة حضارية ، وجمال ، فهي مرفهة ، ذات أسنان نقية ، وشعر طويل منظم ، كما أنها استوعبت الحضارة الجديدة ، بجمال لغتها التي شبهت بقطع الرياض الجميلة ، فهي صور ايحائية تؤكد قوة اللغة وقدرتها وطاقتها الإيحائية .

يقول محمد غنيمي هلال (( فالكلمات والعبارات في الشعر ، يقصد بها بعث صور ايحائية وفي هذه الصور يعيد الشاعر الى الكلمات قوة معانيها ، التصويرية الفطرية في اللغة ))<sup>(10)</sup>.

وهذا ابن المعتز الذي عاش في أحضان الحضارة يقول واصفاً الهلال بلغة حضارية بارعة تحمل صورة زورق أسطوري فقال :

أَهْلًا بِفَطْرِ قَدْ أَنَالَ هِلَالُهُ      فَالآنَ فَاعْدُ إِلَى الْمَدَامِ وَبَكِّرْ  
وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْقٍ مِنْ فِضَّةٍ      قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ<sup>(11)</sup>

إنها صورة بديعة لهلال عيد الفطر إذ صور الهلال في ظلمة السماء وله لمعان وبريق ، بصورة زورق في وسط البحر محمّل بالعنبر ، إنها صورة مغرقة في المدنية ، لا يمكن أن تصدر إلا عن شاعر عاش في أحضان النعيم والحضارة ،

إن لغة الشعر هي لغة العاطفة ، فكلما زادت العاطفة في الشعر تجلت أهميته ، لأن الشعر هو إحساس بالذات وتعبير عنها ، وهو تعبير عن خلجات النفس الانسانية نحو قضية معينة بلغة واضحة .

والدارس للشعر العباسي ، يجد فيه بعض الشعراء الذين حاولوا تصوير طبيعة العصر ، وواقع المجتمع الانساني الذي عاش في الحضارة والنعيم ، فوجد هؤلاء الشعراء قد صوروا حضارة المجتمع ، ومدنيته بكل مظاهرها وتجلياتها .

وقد تناول أنور عليان أبو سويلم مدى تغيير رؤية الشعراء نحو الجديد في الوصف فقال: (( إن الطبيعة أصبحت لا توصف وصفاً شكلياً من الخارج فقط ، ذلك الوصف الذي يعبر عن الاعجاب والافتتان بالمنظر والأشكال والألوان والروائح ، إنما أصبحت تُحسُّ إحساساً نفسياً داخلياً يمسُّ القلب والروح والبدن ، وتمتزج فيه النشوة الروحية باللذة الجسدية ))<sup>(6)</sup> ، فهذا بشار بن برد يصور حديث الحبيبة بالرياض الغناء بجامع الرقة والجمال فقال :

يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا      مِنْ حُبٍّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرًا  
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ      كَيْ سَقَتَكَ بِالْعَيْنَيْنِ خُمْرًا  
وَكَانَ رَجَعَ حَدِيثُهَا      قِطْعُ الرِّيَاضِ كُسَيْنٌ زَهْرًا<sup>(7)</sup>

أثرت الحضارة العباسية في لغة الشعراء وصورهم ، إذ جعلتهم يصورون ما يشاهدونه وما يحسون به بصور جميلة تتلاءم وحقيقة العصر الجديد ، كبشار بن برد الذي مزج القديم بالحضارة الجديدة بشكل متوازن .

يقول يوسف خليف : (( استطاع بشار أن يستوعب كل ما في الشعر القديم من تقاليد ومقومات وأصول ، وأن يستغلها في شعره ، ولم يقف عند التراث بل راح يطوره ويجدد فيه ويزاوج بينه وبين ما يضيفه إليه من عناصر جديدة كان يستمدّها من الحضارة التي يعيش فيها ))<sup>(8)</sup>.

الذي عم البلاد ، وانتشرت حبات المطر، كانتشار العقد من جيد الحسنة ، وجاءت التشبيهات واضحة بسيطة خالية من التعقيد .

وهذا ابن الرومي يصف عرس الطبيعة وجمال الزهر بأسلوب حضاري بديع يشف عن مستواه الفني فقال :

نَشَرَ آذَارُ فِي الثَّرَى حُلًّا  
كَمَا عَرَاءِ الرُّبَا طِيَالَسَةً  
وَصَاغَ لِلْأَرْضِ كُلِّ تَاجٍ بِهَا  
أَعْجَبَ ذَاكَ السَّمَاءَ فَاتْبَعَتْ  
وَلَوْ تَرَانَا وَقَدْ تَكُنْفَنَا  
وَتَظْهَرُ الشَّمْسُ فِي النَّشَاطِ لَنَا  
مِثْلَ عُرُوسٍ تَسْتَرَّتْ خَجَلًا  
مِنْ بَعْلِهَا بَعْدَ أَنْ تَجَلَّاهَا<sup>(15)</sup>

لقد أضاف الشاعر على الطبيعة سمات حضارية ، وبخاصة في شهر آذار ، وقد نبئت الأعشاب والورود والأزهار بألوان رائعة بديعة ، كثوب جميل ملون بأحلى الألوان والأصباغ ، كما صور الشاعر حبات الندى التي تعلقو النباتات والأزهار ، بحبات الدُرِّ المتناثرة على وجه الأرض ، ثم صور الشمس وقد طلعت من بين السحب العالية بالعروس التي تسترّت خجلا من زوجها وقد تحلّ لها .

هذه الصور وغيرها جاءت لتمثل الواقع الحضاري المعيش ، في ظل الطبيعة الفاتنة التي وصفها الشاعر بأجمل عبارات ، تؤكد مدى ارتفاع مستواه الفني ، وتشبيهاته المأخوذة من صميم الحضارة والمدنية ، إذ استعمل ألفاظ الحلل ، والطبالسة على جمال النباتات والأزهار ، واستعمل كلمة التاج وهو رمز الحضارة والملك ، وكذلك الدُرِّ ، والخزّ وهي بجملتها تدلّ على الرقيّ والتحضّر ، وقد تحقق ذلك بفضل اللغة الحضارية التي عمد الشاعر إلى استعمالها .

وأثرت الحضارة الجديدة على الشعراء ولا سيما الذين نشأوا في القصور بالقرب من الخلفاء والأمراء ، فانعكس ذلك في صورهم وأخيلتهم الشعرية .

لقد لجأ بعض الشعراء إلى التشبيه لتقريب المطلوب إلى ذهن السامع بصورة حقيقية أو متخيلة ، ومنهم من لجأ إلى الاستعارة بعدها أقوى أثراً من التشبيه .

يقول محمد غنيمي هلال : (( والتشبيه أقل أثراً من الاستعارة ، لأنه أطول منها ، ولأنه لا يفيد مباشرة وحدة المشبه بالمشبه به ، ولذا يقل اهتمام السامع به ، أما الاستعارة ، فهي أقوى أثراً من التشبيه ، ولكن يجب ألا تكون بعيدة المنال ، فلا ينبغي أن يبالغ المرء في البحث عنها حتى تبدو غريبة ))<sup>(12)</sup>.

كما أعجب بعض النقاد بالتشبيه فقسموه أقساماً منها الحسي والمعنوي ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري الذي أشار إلى الصور اللونية والبصرية والحركية<sup>(13)</sup>. وهذا ما عبّر عنه البحري بقوله واصفاً الغيث :

ذَاتُ ارْتِجَازٍ بِحَنِينِ الرَّعْدِ  
مَجْرُورَةُ الذَّبِيلِ صَدُوقِ الْوَعْدِ  
مَسْفُوحَةُ الدَّمْعِ لِغَيْرِ وَجْدٍ  
لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ الْوَرْدِ  
وَرْنَةٌ مِثْلُ زُنَيْرِ الْأَسَدِ  
وَلَمَعٌ بَرَقَ كَسَيُوفِ الْهِنْدِ  
جَاءَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا مِنْ نَجْدٍ  
فَاقْتَنَرَتْ مِثْلَ انْتِثَارِ الْعَقْدِ  
فَرَاخَتْ الْأَرْضُ بِعَيْشِ رَعْدٍ  
مِنْ وَشْيِ أَنْوَارِ الرَّبِيِّ فِي بُرْدٍ  
كَأَنَّمَا غَدَرَتْهَا فِي الْوَهْدِ  
يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِالرَّيْدِ<sup>(14)</sup>

لقد استعمل الشاعر الصور الحسية في هذه الأبيات ليقرب إلى السامع صورة الغيث وما فعله بالأرض ، وعن الصور الحسية السمعية قوله : ارتجاز بحنين الرعد ، ورنّة مثل زئير الأسد ، وبصرية مثل برق كسيوف الهند ، وانتشار العقد ، ... كما استعمل الشاعر عناصر التشبيه ، ليرسم صورة واقعية قريبة للغيث

وقسم كوليردج الخيال على نوعين : أولي وثانوي فقال: (( والخيال الأولي هو القوة الحيوية والعامل الأول في كل إدراك إنساني هو علمي في وظيفته ، أما الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق ويصطحب دائماً بالوعي الإرادي ، وهو يتفق مع الخيال الأول في نوع عمله ، ولكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله ))<sup>(18)</sup>.

فصورُ الشعر العباسي مأخوذة من البيئة المحلية ، ومن الواقع الحضاري ، بعيدة عن التعقيد في أغلبها ، وبخاصة أن العاطفة تلعب دوراً كبيراً في إبرازها لتحديد نوعية الصورة .

يقول الدكتور أحمد الشايب : (( إن العاطفة هي التي تستدعي لنا خواص الصورة الأدبية الصالحة للتعبير عنها ، ولإثارتها ، وأول ما يبدو من ذلك أن لغة العاطفة يجب أن تكون مألوفة جزلة بعيدة عن المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة ))<sup>(19)</sup>.

وهذا أبو تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات فقال :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ	وَقَلْبُكَ مِنْهَا مَدَّةَ الذَّهْرِ أَهْلٌ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَابِهِ	تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَقَاصِلِ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ	وَأَرِي الْجَنَى اشْتَارَتَهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا	بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلٌ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ	وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ	عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ	لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ <sup>(20)</sup>

وهذا أبو نؤاس يصورُ عمل السحاب بالأرض ، وما أنتجته من ورود وأزهار جميلة ، تؤكد ذوق الشاعر الحضاري لكثرة ما ذكر من أنواعها فقال :

لَا تَخْشَعَنَّ لِطَارِقِ الْحَدَثَانِ	وَأَدْفَعْ هُمُومَكَ بِالشَّرَابِ الْقَانِي
أَوْ مَا تَرَى أَيْدِي السَّحَابِ رَقَشَتْ	خُلْلَ الثَّرَى بِبِدَائِعِ الرِّيحَانِ
مِنْ سَوَسِنٍ غَضَّ الْقَطَافِ وَخُزْمٍ	وَبَنْفَسَجٍ وَشَقَاقِ النُّعْمَانِ
وَجَنِيٍّ وَرَدٍ يَسْتَبِيكُ بِحُسْنِهِ	مِثْلَ الشَّمْسِ طَنَّ مِنْ أَغْصَانِ
حُمْراً وَبَيْضاً يُجْتَنِّينَ وَأَصْفَراً	وَمَلُوناً بِبِدَائِعِ الْأَلْوَانِ
كَعَفُودٍ يَاقُوتٍ تُظْمِنُ وَلَوْلُؤٍ	أَوْ سَاطِئِ فَرَانِدِ الْعُقَيَانِ
وَمِنْ الزَّبْرِجَدِ حَوْلَهُنَّ مِمْتَلَأَ	سَمَطاً يَلُوحُ بِجَانِبِ الْبُسْتَانِ
فَإِذَا الْهُومُ تَعَاوَرَتْكَ فَسَلْهَا	بِالِرَّاحِ وَالرِّيحَانِ وَالنَّدْمَانِ <sup>(16)</sup>

انصرف الشاعر إلى وصف صنع السحاب بالأرض بأسلوب حضاري ، وبمستوى فني يتلائم مع طبيعة الحضارة فقد جعل الشاعر للسحاب أيدي ، وصورُ الورد في الرياض بالشمس والأقمار ، كما أكثر من ذكر الورد التي تفنن إنسان العصر في تنظيمها .

فالشاعر هنا يصور لنا السحاب ، الذي أغدق الأمطار فنبئت ألوان الورد والنباتات ، وزينت الأرض ، كما يزين النقاش بساطاً بأجمل الألوان ، كل ذلك جاء بصورة فنية بديعة وبخيال حضاري رشيق .

ومن المعلوم أن الخيال نشاط فعال ليأتي بهذه الصور الراقية ليشكل منها نموذجاً فنياً منسجماً له تأثيره في النفس .

ويقول عبد القادر الرباعي : (( الصورة الفنية مولود نضر لقوة خلاقة هي الخيال ، والخيال نشاط فعال يعمل على استنفار كينونة الأشياء ، لبنين منها عملاً فنياً متحد الأجزاء ، منسجماً ، فيه هزة للقلب ومتعة للنفس ))<sup>(17)</sup>.

مُوَحَّدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ  
عَنْ كُلِّ مُلْتَبَسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودٍ  
(23)

لقد رسم الشاعر صورة رائعة لممدوحه تتلائم وواقع الحضارة الجديدة فوصفه بتوحد الرأي ، لأن الرأي والفكر أصبح لهما مكانة كبيرة في المجتمع الجديد ، تعادل الشجاعة والبطولة ، وهذا الشاعر نفسه صريع الغواني يمدح محمد بن منصور ويصفه بقوة الرأي التي أصبح لها دلالتها في زمن الحضارة والفكر فقال:

عَكَفْتُ عَلَى الصَّفَصِافِ مِنْكَ عَزِيمَةً  
مِنْ رَأْيٍ مُكْتَنَفٍ بِنَصْرِ أُيْدٍ<sup>(24)</sup>

ويلق عبد القادر الرباعي على المعاني التي استعملها صريع الغواني كوصفه للممدوح بأنه صاحب رأي وفكر فقال: (( ومن المعاني الخاصة غير الهيبة ، تمجيده لرأي الممدوح وحكمته وقرن ذلك بشجاعته وقوته ، والشاعر يصدر في هذا عن روح عصره الذي أصبح للرأي فيه قيمة ، لقد تطورت مفاهيم الشجاعة والنصر ، فأصبحت لا تنأى بالسيف وحده ، بل بالسيف مقروناً به الرأي الصائب والحكمة الصادقة ))<sup>(25)</sup>.

وأصبحت هذه المفاهيم الجديدة مستساغة في عصر الشاعر ، بفضل الحضارة الجديدة ، كما غدت هذه المفاهيم مواكبة لروح الحضارة وركز الشاعر على ممدوحه بهذه الصفات والمفاهيم العصرية فوصف الممدوح أحياناً بأنه (شهاب الموت) أو بأنه (الموت نفسه) ، كما أنه عود الطير على متابعتها في أثناء الحروب والمعارك ، لأنه منقرّ على عدوه فتجد الطير بغيتها من لحوم الأعداء ، وفي ذلك يقول صريع الغواني:

يَغْشَى الْوَعْيَ وَشَهَابُ الْمَوْتِ فِي يَدِهِ  
يَرْمِي الْفَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّعْلِ  
يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَايَا فِي أَسْنَتِهِ  
شَوَارِعاً تَتَحَدَّى النَّاسَ بِالْأَجَلِ

يصور الشاعر القلم وأثره لما له من أهمية في واقع الحياة المتحضرة مشيراً إلى أثر الكلمة التي يكتبها القلم ، وبخاصة إذا جاءت صائبة فإنها تصيب الكلى والمفاصل ، مصوراً أثر الخط وما يكتبه بلعاب الافاعي حيناً ، أو كطعم العسل المصفى حيناً آخر .

ورسم الشاعر بخياله الخلاق دور القلم في شحذ الفكر ، موضحاً أثره على الآخرين ، فهي صورة حقيقية بعيدة عن الوهم ، قريبة من الخيال المبدع ، وهناك فرق بين الوهم والخيال ، وقد فرق وردزورث بين الوهم والخيال وقرّر سمو الثاني وخطر الاول فقال : (( فالوهم سلبي يغتر بمظاهر الصورة ، ويسخرها لمشاعر فردية عرضية ، أما الخيال فهو العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها ))<sup>(21)</sup>.

فعن الخيال المبدع تصدر كل الصور مهذبة منظمة ذات تأثير في الآخرين ، ومن النقاد من جعل (البديع) مظهراً من مظاهر تطور الخيال ، وفي ذلك يقول عبد القادر الرباعي : (( فمن الخيال تصدر الصور مشحونة بالانفعال والأفكار ، وبالوعي الفني تهذب ، وتنظم تنظيمًا جمالياً ، وعلى هذا فإن ما سمي بالبديع عندنا ما هو إلا مظهر لتطور الخيال والوعي الفني في الشعر العربي القديم ))<sup>(22)</sup>.

وبفعل الحضارة والتطور الكبير الذي أصاب اللغة العربية ، استحدثت صور ومعان جديدة ، ركز عليها الشعراء في قصائدهم ، وبخاصة عند مدحهم لخليفة أو أمير أو قائد فقد صورهم الشعراء بانهم أصحاب شجاعة ورأي ثاقب ، لذا جمع الشعراء بين الشجاعة والرأي لتكتمل عندهم الصورة البديعة التي يريدون إلصاقها بممدوحهم بعدهم قادة يمثلون الأمة بقوتها وهيبتها ، وهذا صريع الغواني مسلم بن الوليد يمدح داود بن مزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب قائلاً:

يزمجر أو خطيب يتكلم فوق المنبر ، ويصور البحترى استعراض ابن دينار لقطة حربية وجنوده المحاربين الذين وقفوا بأدب واحتشام ينتظرون أوامر قائدهم ، فقال :  
يَغْضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عَيُونُهُمْ      وَفَوْقَ السَّمَاءِ لِلْعَظِيمِ الْمُؤَمَّرِ  
إِذَا عَصَفَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهَا      جَنَاحَا عَقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ<sup>(28)</sup>  
ثم يصف جنود ابن دينار بالشجاعة وحسن التدريب ، وأنهم لمثل هذه الأحوال ، وكان المنابيا بين أيديهم فقال :

وَحَوْلَكَ رُكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقَرُوا      كُؤُوسَ الرَّدَى مِنْ دَارِعِينَ وَحَسَّرَ  
تَمِيلُ الْمَنَایَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ      إِذَا أَصْلَتُوا حَذَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكُرِ<sup>(29)</sup>

ويقتررب أسطول احمد بن دينار من أسطول الروم ، فيرشق مراكب العدو بالنار فيحرقهم بداخلها ، وتشم رائحة الأجساد المحترقة ويدرك قائد الأسطول الرومي الخطر المحدق به ، فيهرب فزعاً شاكراً للريح مساعدتها لتحريك سفنه الناجية من الحريق وقال :

كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ      إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدِ مُجَرِّرٍ  
مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا      عَلَيْهِ وَمَنْ يُولُ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ

وقد برع بعض الشعراء في وصف السفن باعتبارها وسيلة سفر استعاض بها عن الناقة .

ولجأ بعض الشعراء إلى صور وتشبيهات لم تُعهَد من قبل ، بل جاءت وليدة الحضارة وبخاصة تلك التشبيهات المتعلقة بالمرأة التي تؤكد مستواها الحضاري زمن دولة بني العباس ، الذين شجعوا الحياة الجديدة ، والأخذ من الأمم الأخرى ما يساعد هذا الرقي والتطور ، ومن الشعراء الذين استخدموا الصور والتشبيهات (العباس بن الأحنف) الذي يعد من الشعراء المميزين في هذا العصر ، ومن الصور الجديدة المبتكرة عند العباس بن الأحنف قوله :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَتَقَنَّ بِهَا      فَهَنْ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ  
خَلَّفَتْ أَجْسَادُهُمُ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةً      فِيهَا وَأَفْقَلَتْهُمْ هَاماً مَعَ الْقَفْلِ  
فَافْخَرُ فَمَالِكَ فِي شَيْبَانٍ مِنْ مِثْلِ      كَذَلِكَ مَا لِبَنِي شَيْبَانٍ مِنْ

مِثْلٍ<sup>(26)</sup>

صور الشاعر ممدوحه بهذه الصور الفنية التي خلعها عليه فهو كشهاب الموت عند دخوله أرض الحرب ، يخوضها وهو ضاحك السن مبتهم وهو كالأجل يستل الأرواح من أجساد الأعداء ، وهو يطعم الطير جثثهم ، وهذه عصابات الطير تسير وراءه تنتظر الشيع والخير بعد انتهاء المعركة حيث جثث الأعداء مترامية في كل مكان .

ومن الصور الجديدة في الشعر العباسي ، والتي كان للحضارة دور كبير في تركيز الشعراء عليها ، استعمال السفن سواء أكان ذلك في الرحلة الى الممدوح ، أم استعمالها كوسيلة حربية للقاء العدو ، وهذا أشار إليه البحترى بمدحه أحمد بن دينار حين وصف مركباً كان اتخذه - وهو والي البحر - وغزا فيه بلاد الروم فقال :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْبَحْرَ وَالْجُودُ صِنُوهُ      غَدَا الْبَحْرُ مِنْ أَخْلَاقِهِ بَيْنَ  
أَبْحُرٍ  
غَدَوْتَ عَلَى الْمَيِّمُونَ صُبْحاً وَإِنَّمَا      غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيِّمُونَ تَحْتَ  
الْمُظْفَرِ

إِذَا زَمَجَرَ النُّوتِيُّ فَوْقَ عِلَاتِهِ      رَأَيْتَ خَطِيباً فِي ذُوَابَةِ مَنَبَرٍ<sup>(27)</sup>

يصور الشاعر ممدوحه بالجود والشجاعة والكرم ، وحسن الأخلاق والعتاء الجزيل ، ثم يصف صوت النوتي فوق المركب بالقوة والخشونة وكأنه أسد

وأشار عبد القادر الرباعي إلى قول مسلم بن الوليد في البيتين السابقين فقال: (( وهو إلى جانب ذلك كله لا ينسى فعل الحضارة العباسية وما أعطته للمرأة من خبرة في فن التجميل ، فأدخل في غزله الحسّي هذا مفهوم العصر الناعم الرقيق الذي برعت في استغلاله المرأة فغدّت مشغولة في تزيين نفسها بعد أن وجدت في التعميم والترف والراحة والاستقرار . وبعد أن أمدتها الحضارة بكل ما يلزمها من أدوات للزينة ، وأنواع متنوعة من الروائح والعطور)) (33).

ولجأ بعض الشعراء إلى استعمال الاستعارة والمجاز في رسم صورهم ، والمجاز ضرب من الإبداع والابتكار كما أن اللغة بمجملها ضرب من المجاز ، قال أبو تمام :

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذْتُ مَاءَ بُكَائِي (34)

لقد استعمل الشاعر عبارة (ماء الملام) وكأنه جعل للوم ماء وهذا معنى بعيد ذهب إليه الشاعر ، فهو ضرب من الإبداع والابتكار ويعلق ابراهيم السامرائي تعليقاً على ما روي من قصة بيت أبي تمام وهي أن أحد الظرفاء جاء إلى أبي تمام وسأله أن يعطيه قارورة من (ماء الملام) فقال له ابو تمام : لا أعطيك ما سألت حتى تأتيني بريشة من (جناح الذل) . وأبو تمام يشير في جوابه اللطيف الى الآية الكريمة ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة... ﴾ (35) وهو يريد أن يقول : (( إن لاستعمال المجاز في العربية ضروباً من الإبداع والابتكار ، فكما أن لغة التنزيل ابتكرت المجازات الدقيقة اللطيفة ، فصارت من أعلام العربية ، كذلك كان حق الشاعر المبدع أن يبتكر في استعمالات المجازات ، واللغة كما هو معروف ضرب من المجاز)) (36).

فالاستعارة والمجاز التي لجأ إليها الشعراء ، إنما جاءت تطوراً طبيعياً لنمو اللغة ونتيجة لتطور العقلية العربية التي أصبحت قادرة على فهم مثل هذه المفاهيم

إِنَّكَ لَا تَعْرِفِينَ مَا لَهُمْ وَالْـ غَمٌّ وَلَا تَعْلَمِينَ مَا الْأَرْقُ  
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِيتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ (30)

إن الحبيبة منعمة لا تعرف الأحران ، ولا الغم ولا الهم ، والشاعر حزين محترق كالشمعة التي تضيء على الآخرين ، فهو تشبيه حضاري عقلي ثقافي متمدّن ، وهو جديد في فكرته وصياغته .

ومن التشبيهات والصور المفعمّة بالحس الحضاري قوله وهو يشبه الحبيبة بالراح أو التفاح :

ذَكَرْتُكَ بِالتَّفَاحِ لَمَّا شَمَمْتُهُ وَبِالْزَّاحِ لَمَّا قَابَلْتُ أَوْجُهُ الشَّرَبِ  
تَذَكَّرْتُ بِالتَّفَاحِ مِنْكَ سَوَالِفًا وَبِالزَّاحِ طَعْمًا مِنْ مُقَبَّلِكَ الْعَذَبِ (31)

لقد ربط شعراء العصر العباسي بين صورهم وتشبيهاتهم ، وبين مظاهر الطبيعة ، ومظاهر الترف والغنى ومواد الحضارة المادية التي كانت تسود العصر ، وكان لهذه الحياة المترفة أثر كبير على أخيلة وصور الشعراء التي غدت مفعمّة بمظاهر الحضارة والمدنية ، وجاءت هذه الصور انعكاساً لحياة البذخ والترف التي كان يحياها الإنسان العباسي .

لقد حاول بعض الشعراء المزج بين الجوانب المادية والمعنوية في الحبيبة فوصفوها بالجمال الظاهري ، وزادوا في ذلك بعض الصفات المعنوية التي تتلاءم وروح العصر الجديد كقول مسلم بن الوليد :

غَرَاءَ فِي فَرْعِهَا لَيْلٌ عَلَى قَمَرٍ عَلَى قَضِيبٍ عَلَى دَعَصِ النَّفَا الدَّهَسِ  
أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ أَنْفَاسًا وَبَهْجَتُهَا أَرْقُ دِيبَاجَةً مِنْ رِقَّةِ النَّفْسِ (32)

إنها جميلة المحبّا ، لها شعر طويل كالليل على وجه صبيح ، ولها كفل كالدهص وأغلاها كالقضيب استواء ، وهي فتاة متحضرة تعيش في النعيم ذات رائحة أزكى من المسك .



العقل ، فأساس العمل الفني عنده هو هذه المزاوجة بين العقل والشعور أو بين الفكر والعاطفة<sup>(39)</sup>.

فالتشبيه والاستعارة لابد منهما في الشعر ، وبهما يرتقي ، وتبرز فيهما القيمة الحقيقية للصورة الفنية الراقية . يقول صاحب العمدة :  
(قال غير واحد من العلماء: الشعر ما اشتمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن)<sup>(40)</sup>.

ولتزم بعض شعراء العصر العباسي بالقديم ولم يتجددوا منه ، وإنما حسنوه بصورهم وأخيلتهم وتشبيهااتهم ، المستمدة في أغلب الأحيان من الحضارة .  
يقول جورج غريب : (( ليس الجديد دائماً أن تتجدد من القديم ، ونطلع على الناس بما يجهلون ، بل هو أحياناً أن نلبس هذا القديم حلة لم يعهدها ))<sup>(41)</sup>.

فالجديد عند بعض الشعراء هو أخذ القديم وإلباسه لبوساً جديداً ، يضيف عليه بهجةً وجمالاً ، وليس الجديد كسراً للقديم ، وإنما إعادة بنائه وتركيبه ليواكب الواقع الجديد ، كما فعل أبو تمام في شعره .

ويقول عبد القادر الرباعي في ذلك : (( فالتفرد والتجديد عنده — عند أبي تمام — لا يعني بالضرورة تكسير القديم وإحلال جديد منفصل عنه تماماً محله ، ولكن التجديد عنده يعني إعادة تركيب القديم تركيباً ذاتياً ))<sup>(42)</sup>.

أما فن البديع فهو من أبرز مظاهر التجديد عند بعض الشعراء في العصر العباسي على الرغم من أن فن البديع قديم جديد ، ولكن القدماء استعملوه عفو الخاطر ، إلى أن أصبح ظاهرة في الشعر العباسي ، فمن الشعراء من بالغ باستعماله إلى حد الإفراط ، ومنهم من استطاع أن يطوره ويستغله استغلالاً رائعاً لإبراز الصورة الفنية الرائعة كالبحتري يقول محمد أبو الأنوار :

الجديدة ، التي تولدت بفعل الحضارة وتطور الفكر الإنساني العربي بفعل الاختلاط مع أجناس أخرى .

وفي نضج الاستعارة عند أبي تمام يقول عبد القادر الرباعي : (( إن الاستعارة عند أبي تمام كانت نتيجة طبيعية للتطور الذي تدرجت فيه الصورة من الإشارة والتشبيه في بدايات الشعر العربي إلى الاستعارة المعقدة في القرن الثالث الهجري ، وهذا التطور هو الذي واكب نضج العقلية العربية ونماها ، واتساع قدراتها على التهويل والتعبير الدقيق ، وبخاصة تلك العقلية التي شاركت بفاعلية في تلقي الثقافات المختلفة ))<sup>(37)</sup>.

ولا بد للشاعر من المواءمة بين الألفاظ والمعاني حتى تكون مفهومة ، وقرينة من الطبع ، فلا يجعل الرمزية شعاره ولا المعاني سهلة مبتذلة ، وإنما الاعتدال هو الأساس .

وفي ضرورة المواءمة بين الألفاظ والمعاني يقول شوقي ضيف : ((مهارة الشاعر إنما هي في ملاءمته بين ألفاظه ومعانيه بحيث لا يطغى فيها جانب على جانب ، فلا يصبح لفظياً خالصاً ، ولا يصبح رمزياً خالصاً حتى يضحى بمعانيه على منبج الألفاظ لا على منبج المجاز))<sup>(38)</sup>

لقد فهم أبو تمام الشعر على أنه مزاوجة بين العقل والعاطفة وهذا اللون من الشعر هو القادر على العيش ، كما أن الصور عند هؤلاء الشعراء بحاجة الى وقفة طويلة حتى تستوعب .

فقد كان أبو تمام يفهم الشعر على أنه صياغة عقلية ، يمتزج فيها العقل بالشعور ، أو الفكر بالعاطفة ، فالشعر عنده ليس عملاً فنياً خالصاً يستمد مادته من العاطفة وحدها ، ولكنه أيضاً عمل عقلي يستمد من العاطفة ، كما يستمد من

بِيضُ الصَّفَاحِ لَا سَوْدَ الصَّحَافِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ وَالْعِلْمُ  
فِي شَهَابِ الْأَرَمِ  
لَا مَعْلُومَةٌ بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ  
فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ (46)

استعمل الشاعر في هذه الأبيات لفظاً سهلاً واضحة محدودة لكنها تأخذنا إلى عالم فسيح في الأرض والسما ، إذ كان الشاعر منفعلاً ، لأنه يجد في السيف قوة عادلة تمنع العبث وتدوس الخوف ، وأهمية هذه الأبيات تنبع من حالة انفعال الشاعر ؛ لأن الانفعال هو الذي أوجد الإيحاء سواء أكان ذلك عن طريق الاستعارة ، أم ازدواج الصور أو التزييد الإقاعي، في الألفاظ والحروف (47).

واستعمل الشاعر البديع في هذه الأبيات وغيرها ولكن ذلك لم يؤثر على المعنى الذي أراده بل هذه الأبيات تحمل إثارة وتناغماً عاليين في موسيقاها مما أكسبها خلوداً وبقاء .

لقد أثرت الحضارة في الشعراء ، مما جعلهم يستمدون منها صورهم التي تتلاءم وطبيعة الحياة الجديدة ، ومن المعلوم أن الحضارة قد شجعت على حياة الطرب والغناء والشراب ، فوجد بعض الشعراء بغيثهم في شرب الخمر ، كما هو الحال عند أبي نواس وبيشار بن برد، وابن المعتز، ممن كانوا يطلبون اللذة والمتعة ولكن أبا نواس يُعَدُّ فارس الخمر بلا منازع ، إذ صورها بأحسن أحوالها وأجاد في وصفها ، وشعره يؤكد ذلك . يقول عمر فروخ في أبي نواس وخمرياته: (( أبو نواس شاعر الخمر قال فيها أشعاراً لم يقل أحد مثلاً ، ثم هي أحسن شعره ، ما أجاد في فن إجادته فيها ، فقد سبق إلى معان في الخمر على سجيبتها فكانت خمرياته من أجل ذلك مجملـه شخصيته )) (48).

((وهو — البحرني — أول من اتخذ البديع مذهباً يخلص له ويحرص عليه بعد أن كان يأتي دون تعمد ظاهر مقصود ، ثم جاء أبو تمام وعمق ذلك وطوره وأصبح شيخ هذه الصنعة وإمامها الفذ الذي لا يجارى وكان البديع عند البحرني يقف عند حدود وظيفته اللفظية))<sup>(43)</sup> ، وهذا البحرني يمدح الفتح بن خاقان وقد استخدم البديع فقال :

مَنْ مَنِيَّ وَصَلَ وَمِنْكَ هَجْرٌ  
وَمَا سِوَاكَ إِذَا التَّقِينَا  
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَبْجِ بِوَجْدِي  
فَقَدِ كُنْتُ حُرًّا وَأَنْتَ عَبْدٌ  
أَنْتَ نَعِيمِي وَأَنْتَ بُؤْسِي  
وَفِي ذَلِّ وَفَيْكَ كِبَرٌ  
سَهْلٌ عَلَى خَلَّةٍ وَوَعْرٌ  
أُسْرُ فَيْكَ الَّذِي أُسْرُ  
فَصِرْتَ عَبْدًا وَأَنْتَ حُرٌّ  
وَقَدْ يَسُوءُ الَّذِي يَسُرُّ (44)

وعلى الرغم من أن الشاعر قد استعمل البديع ، وخاصة الطباق مثل وصل وهجر، ذل وكير ، وسهل ووعر ، حر وعبد ، ونعيمي وبؤسي ، ومن الجناس من أسرَ وأسَرَ ، وجاءت هذه الأبيات ذات واقع موسيقي رائع يلدُّ له السمع ، وكذلك فإن أبا تمام لم يحمل عداءه للقديم ، بل طَوَّع القديم ، وأخرجه بصورة فنية رائعة ، كما في بانيته .

يقول عبد الله النضاوي: (( ومن الواضح أن أبا تمام — في بانيته — لم يحمل سيف  
العداء للشكل القديم للقصيدة ، على الرغم مما عرف عن مكانته كقمة من قمم  
التجديد الثقافي في عصره ، فقد استطاع تطوير العناصر القديمة ليخرجها في  
صورة جديدة من خلال فنه))<sup>(45)</sup>. فقال أبو تمام :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ      فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَالْعَبِّ

أبو نواس في قصائده بين الغزل والخمر ، ولكن للخمر وصفاتها وجمال مجالسها مع الندماء كان الغالب عنده ، لأنها تعدل كل شيء في نظره ، وهي نوع من الاتصال الروحي والحسي

يقول خليل شرف الدين : (( بدأ النواصي خمرياته سبيلاً إلى تذكر الأحباب والحبيبات ، ونجد خمرياته ملازمة لغزلياته في تداع وجداني ، حتى لكان معاقرة الخمرة أصبحت عنده نوعاً من الاتصال الروحي والحسي والجنسي معاً ، فلم يعد هناك فرق بين المعاقرة ، والمعاشرة ، أو المضاجعة... ))<sup>(52)</sup>.

فالخمر النواسية ليست خمرأ مادية بل انقلبت في الأوعية إلى إنسانة عذراء وهي عروس يخطبها من أبيها ، يقول أبو نواس مصوراً الخمر بالعروس التي تُخَطَّب ويُدْفَع مهرها :

فَأَتَى خَاطِبٌ مَلِيحٌ إِلَيْهَا      ذُو وَشَاحٍ مُؤَزَّرٍ بِبَازِرٍ  
نَقَدَ الْمَهْرَ ثُمَّ زَفَّتْ إِلَيْهِ      فِي سَرَاوِيلِهَا وَفِي الزَّتَارِ<sup>(53)</sup>

شبه الشاعر الخمر بالفتاة التي تُخَطَّب ، وهذا دليل على أهميتها ، وإنها لا تُقدَّم إلا لمن يستطيع دفع مهرها ، وهو قادر على ذلك ثم صور تقديم الخمر إليه بالفتاة العروس التي تُزَفُّ إلى خاطبها على أحسن هيئة ، وهو الذي استعار لها اسم القهوة وصورها بجني الورد ، وإبريقها بعنق الطيبي ، والساقي بالبدر ، فقال :

وَقَهْوَةٌ كَجَنِيِّ الْوَرْدِ خَالِصَةٍ      قَدْ أَذْهَبَ الْعَتَقُ فِيهَا الدَّامَ وَالرِّفْقَا  
كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا ظَلَمِي عَلَى شَرْفٍ      قَدْ مَدَّ مِنْهُ لَخَوَفِ الْقَانِصِ الْعُقَا  
يَسْقِيكُمَا أَحْوَرُ الْعَيْنَيْنِ ذِي صُدْعٍ      مُشَمَّرٌ بِمِزَاجِ الرَّاحِ قَدْ حَذَقَا  
مَا الْبَدْرُ أَحْسَنُ مِنْهُ حِينَ تَنْظُرُهُ      سُبْحَانَ رَبِّي لَقَدْ سَوَّاهُ إِذْ خَلَقَا<sup>(54)</sup>

استمد الشاعر صورة من الواقع الحضاري ، فهو مغرم بخمرته يخلع عليها كل الصور الجميلة الجذابة ، فهو يزينها ليحببها الى النفس ، ويبرزها بصورة

ومن المعلوم أن أبا نواس من المجددين في الشعر فقد حمل على المقدمة الطلية ، واتخذ من قصائده في الخمر مجالاً للهجوم على المقدمة القديمة ، رافضاً لها وداعياً إلى ضرورة إحلال المقدمة الخمرية مكانها ، بعدها منهجاً جديداً يصلح للواقع الحضاري .

ومزج أبو نواس في صوره بين الخمر وبين أوصاف الطبيعة بما فيها من أزهار ، ورياحين ، ونسائم ، وأقمار ، وبساتين حيث عبق الزهر وعبق الخمر ، وقد مسرَّحَ أبو نواس شعر الخمر حيث الأبطال على مسرح الطبيعة الفاتن .

يقول خليل شرف الدين : (( ويتمسرح الشعر الخمري على يدي النواصي ، فإذا بالحديث والمطارحة والمنادمة تتقلب فلذات مسرحية على خشبة الطبيعة الربيعية الغناء ، قوامها الحوار الرشيق وبطلتها الخمرة ، وأبطالها الندامي وكورسها القينة والغلام والدهقان والدهقانة ))<sup>(49)</sup>.

وبعث أبو نواس قصيدة الخمر من ركودها وبعث فيها حياة جديدة واتصفت خمرياته بالحبوية والإثارة ، ووصف إمكاناتها وأدواتها التي امتازت بجمالها ورقبها ، وملاءمتها للواقع .

وإذا كان الأعشى هو واضع أصول القصة الخمرية ومرسي قواعدها ، فإن أبا نواس هو الباعث لها من الركود الذي أصابها طول العصر الإسلامي ، والنافخ فيها نسمة الحياة من جديد ، كما لم يفعل أي شاعر آخر من قبل<sup>(50)</sup> ، أفاد أبو نواس من شعر من سبقه ، فأخذ منه وضمَّنه فنَّه ، ففاق على من سبقه في صورهم وأخيلتهم في الخمر .

يقول صاحب الأغاني : (( وللوليد في ذكر الخمر وصفها أشعار كثيرة ، وقد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلخوا معانيها ، وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيها كلها ، وجعلها في شعره فكرها في عدة مواضع منه ))<sup>(51)</sup> ، دمج

التي تربط مادة الصورة بالقاعدة النفسية ، ويشمل هذا النمط الصور البصرية ،  
والذوقية ، واللمسية ، والسمعية ، التي استغلها بعض الشعراء لإبراز صور فنية  
رائعة تسر النفس ، وتسعد الذات ، وقد تجلى ذلك في شعر أبي تمام وبشار وأبي  
نواس ، وابن المعتز ، ومسلم بن الوليد ، وغيرهم ممن نادوا بالتجديد .

إن الصورة هي التي تكسب النص جودته وقوته لذا نجد الصورة الفنية قد  
تدرس في ثلاثة أنماط هي : النمط الحسي ، والنمط البلاغي ، والنمط الفني .

ويوضح عبد القادر الرباعي هذه الانماط الثلاث بقوله : (( النمط الحسي  
ويشمل الصور البصرية ، والذوقية ، واللمسية ، والسمعية ، والشمية ، والمركبة ،  
والنمط البلاغي المرتبط بالوسيلة البلاغية كالتشبيه ، والكناية ، والوصف الإيحائي  
والرمز ، والنمط الفني يكون بالتحام النمطين السابقين ، ويجب أن ينظر إلى هذه  
الأنماط نظرة شمولية متكاملة لا نظرة فردية انعزالية ))<sup>(58)</sup>.

ومن المعلوم أن أفضل الصور الفنية تلك التي تمزج بين العاطفة والعقل ؛  
لأن العاطفة تنمي الإحساس ، وتوسع من حدود الخيال ، والعقل ينظم الخيال  
ويوقفه عند درجة معينة كي لا يصل الخيال إلى مرتبة الوهم ، فيصبح ضاراً  
للصورة الفنية ، التي يسعى الشعراء على تشكيلها ، من نبع الحياة ومن الواقع  
الجديد .

بديعة ، تصلح بديلاً عن النظام القديم للقصيدة العربية ، فهو يصفها باقتدار وتفوق ،  
فتأتي ألفاظه سهلة واضحة ، بعيدة عن الغموض والتعقيد .

يقول محمد أبو الأنوار عن دور أبي نواس في الشعر : (( إن أبا نواس كان  
قفزة جديدة بالشعر العربي في باب الحداثة التي تعني التمكن والاقتدار والسهولة ،  
والرونق ، والتأثير الفني المعتمد على صدق الحزن ورهافة الشعور وسهولة  
التعبير مع ارتفاع سيطرته الفنية ))<sup>(55)</sup> ، ومن النقد من عدّ مدح أبي نواس للخلفاء  
والأمراء ، مدحاً للخمر ، وهذا دليل على تعلّقه بها وحبها المتمكن من نفسه .

يقول طه حسين : (( إنما مدح أبو نواس الخلفاء والوزراء والأمراء ليتخذ  
مدحهم وسيلة إلى مدح الخمر ، وقل ليتخذ مدحهم وسيلة إلى شرب الخمر ،  
والاستمتاع بها وبما تستتبع من اللذات ، ومدحهم لأنه كان في حاجة إلى ما  
يرزقونه من المال ، ومدحهم لأنه كان في حاجة إلى أن يتملقهم ، ويتقي شرهم ،  
مدحهم مستجدياً ومدحهم متقياً ))<sup>(56)</sup>.

يقول محمد مندور : (( وصف الخمر قد يشجينا لجمال الوصف وروعة  
التصوير وكذلك الغزل بالذكر ، ولكنهما بعد لا يستطيعان أن يبعثا في النفوس تلك  
الأصداء الإنسانية الواسعة التي لا بد منها ))<sup>(57)</sup>.

ولا شك في أن الشاعر قد رسم في شعره صوراً رائعة ، ولوحات كبرى ،  
فيها جمال للطبيعة الفاتنة ، إذ شكل منها إطاراً جميلاً للوحاته الخمرية فصور  
مجال الشرب ، وسط روضة غناء تحفها الأشجار والأطيار ، تبين جانباً من  
الحضارة العمرانية والمادية التي شهدتها المجتمع العباسي بفضل الحضارة الوافدة  
التي غزت كل مكان .

وعلى الرغم من وجود مظاهر الحضارة وانتشارها ، فإن صور معظم  
الشعراء قد جاءت مستقاة من هذه الحضارة البديعة ، وبخاصة تلك الصور الحسية

## ألقوا مني :

- (1) النقد الادبي الحديث :412.
- (2) النقد والنقاد المعاصرون : 64.
- (3) أصول النقد الأدبي : 223.
- (4) الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق : 55 .
- (5) في تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة : 164 .
- (6) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول : 330-331.
- (7) ديوان بشار بن برد : 55/4 .
- (8) في الشعر العباسي نحو منهج جديد : 47.
- (9) ديوان بشار بن برد : 118/1 \_ 119 .
- (10) النقد الأدبي الحديث : 378.
- (11) ديوان ابن المعتز : 366.
- (12) النقد الأدبي الحديث : 127 .
- (13) للمزيد ينظر: كتاب الصناعتين : 246- 250 .
- (14) ديوان البحتري : 567/1- 568 .
- (15) ديوان ابن الرومي : 125/1 ، النشاص : السحاب المرتفع ، ينظر : لسان العرب : مادة نشص .
- (16) ديوان ابي نواس : 527 .
- (17) الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق : 75 .
- (18) النقد الأدبي الحديث : 413- 414 .
- (19) أصول النقد الأدبي : 243 .

## الخاتمة

وهكذا يتضح لنا أن الشعراء العباسيين استقوا مادتهم الخام للصورة الفنية من واقع الحضارة العباسية الراقية التي طبعتهم بطابعها ، فجاءت ألفاظهم حضارية تحمل معاني ذات دلالة حضارية .

إن هذا البحث جاء ملتبساً للحاجة بعد عمل شاق لدراسة كل الدواوين الشعرية التي شملها ، إذ تبين لي بأن العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، كان من أزهى العصور وأخصبها بفعل الحضارة والنعيم الذي عاشه إنسان العصر .

كما توافرت كل أسباب وعوامل نمو الحضارة ، بل كانت أرض الرافدين تربة خصبة لبناء حضارة راقية عصرئذ ، وقد جاء الشعراء ليجدوا أنفسهم في خضم هذه الحضارة ، ووسط هذا النعيم في قصور الخلفاء الذين أضفوا على قصورهم هيبة ووقاراً ، كما نقلوا ما وجوده في بلاط الفرس إلى بلاطهم ، مما جعلهم مثار إعجاب عند الشعراء ، الذين تغنوا بمعالم الحضارة والرقى التي كانت ، فجاءت أصواتهم تخليداً لذلك التراث الذي ننحني له إكباراً وإجلالاً إلى يومنا هذا .

(40) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : 122/1 .

(41) الغزل تاريخه وأعلامه : 129 .

(42) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 277 .

(43) الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية دراسة تاريخية وتحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار بن برد إلى أبي طالب المتنبي : 383 .

(44) ديوان البحري : 1050/2 .

(45) القصيدة العباسية قضايا واتجاهات : 286 .

(46) ديوان أبي تمام : 18 .

(47) للمزيد ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 324 - 325 .

(48) تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية ، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري : 160 .

(49) الموسوعة الأدبية الميسرة : 137 .

(50) ينظر : حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه : 94 .

(51) كتاب الأغاني : 20/ 7 .

(52) الموسوعة الأدبية الميسرة : 111 ، للمزيد انظر المرجع نفسه : 116 .

(53) ديوان أبي نواس : 222 . الزنار : حبل يشد به النصارى خصوصهم .

(54) ديوان أبي نواس : 370 . الذام : العيب . الرنقا : الكدرة .

(55) الشعر العباسي تطوره وقيمته الفنية ، دراسة تاريخية تحليلية للاتجاهات الكبرى في الشعر وزعمائها من الشعراء من بشار إلى أبي الطيب المتنبي : 187 .

(56) حديث الأربعة : 129/2 .

(57) النقد المنهجي عند العرب : 77 .

(20) ديوان أبي تمام : 112 . بشباته : الحد ، اشتارته : جنته ، عواسل : تأخذ العسل ، الخمس اللطاف : البنان أو الأصابع .

(21) النقد الأدبي الحديث : 412 .

(22) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 21 .

(23) شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد : 158 .

(24) المصدر نفسه : 235 .

(25) صريع الغواني ، مسلم بن الوليد ، حياته وشعره : 120 .

(26) شرح ديوان صريع الغواني ، مسلم بن الوليد : 9-21 . للمزيد ينظر المصدر نفسه : 147-148 . النوتي : الملاح الذي يدير السفينة .

(27) ديوان البحري : 982 /2 .

(28) المصدر نفسه : 983/2 ، الاشتيام : قائد المركب . الجنوب : ريح الجنوب .

(29) المصدر نفسه : 983/2-984 .

(30) ديوان العباس بن الأحنف : 174 .

(31) المصدر نفسه : 53 . للمزيد ينظر المصدر نفسه : 111 و 132 .

(32) شرح ديوان مسلم بن الوليد : 325 . الدهس : المكان السهل .

(33) صريع الغواني ، مسلم بن الوليد ، حياته وشعره : 168 .

(34) ديوان أبي تمام : 22 . قدك : حسبك . اثئب : استحي .

(35) سورة الإسراء : 25 .

(36) التطور اللغوي التاريخي : 45-46 .

(37) الصورة الفنية في شعر أبي تمام : 207 .

(38) في النقد الأدبي : 113 .

(39) في الشعر العباسي نحو منهج جديد : 96 .

ومحمد شوقي أمين ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1369هـ — 1950 م .

11 — **ديوان العباس بن الأحنف** ، شرح د.عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ط1 ، 1997م .

12 — **شرح ديوان صريم الغواني** ، مسلم بن الوليد (ت208هـ) ، لأبي العباس وليد بن عيسى الطبخي الأندلسي ٣٥٢ هـ ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : د.سامي الدهان ، القاهرة ، دار المعارف ، ط3 ، د.ت.

13 — **الشعر العباسي. تطوره وقيمه الفنية. دراسة تاريخية تحليلية** ، د.محمد أبو الأنوار ، القاهرة ، دار المعارف ، ط2 ، ١٩٨٧م .

14 — **صريم الغواني** ، مسلم بن الوليد، حياته وشعره، عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م .

15 — **الصورة الفنية في شعر أبي تمام** ، د.عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1999م .

16 — **الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق** ، د.عبد القادر الرباعي ، مكتبة الكتاني، اربد، ط2، 1995 .

17 — **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول** ، د.أنور عليان ، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ط1 ، 1983م .

18 — **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، ابن رشيق القيرواني (456هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972 .

19 — **الغزل تاريخه وأعلامه** ، جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت، ط1، 1975م .

(58) في تشكل الخطاب النقدي مقارنة منهجية معاصرة : 167 .

### المصادر والمراجع

1 — **أصول النقد الأدبي** ، د. أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية، 1973.

2 — **تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع**

**المجري** ، د.عمر فروخ ، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1985م .

3 — **التطور اللغوي التاريخي** . د.إبراهيم السامرائي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط3 ، 1983م .

4 — **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه** ، حسين خريس ، دار البشير ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1994 .

5 — **ديوان ابن الرومي** ، لأبي الحسن علي ابن العباس بن جريج ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، 1973م .

6 — **ديوان ابن المعتز (247 — 296هـ)** ، شرح د.يوسف شكري فرحات ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1995م .

7 — **ديوان أبي تمام (188 — 231 هـ)** بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ م .

8 — **ديوان أبي نواس** ، تحقيق د.علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1994م .

9 — **ديوان البحتري** ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف مصر ، ط3 ، د.ت .

10 — **ديوان بشار بن برد (95 — 168هـ)** ، نشره وقدم له وشرحه : محمد الطاهر بن عاشور ، وعلق عليه ووقف على طبعه : محمد رفعت فتح الله

- 20 — **في تشكّل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة** ، د. عبد القادر الرباعي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998م .
- 21 — **في الشعر العباسي نمو منهج جديد** ، د. يوسف خليف ، دار غريب ، القاهرة ، دت .
- 22 — **في النقد الأدبي** ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط7 ، 1988م .
- 23 — **القصيدة العباسية قضايا واتجاهات** ، عبدالله التطاوي ، دار غريب ، مصر ، ط2 ، دت .
- 24 — **كتاب الصنائع الكتابة والشعر** ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . تحقيق : علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، لبنان ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- 25 — **كتاب الأغاني** ، لأبي فرج الأصفهاني (356هـ) ، شرحه وكتب هوامشه : عبد علي مهنا ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- 26 — **لسان العرب** ، ابن منظور الأفريقي المصري (711هـ) ، دار صادر ، بيروت ، 1956 .
- 27 — **الموسوعة الأدبية الميسرة** ، تأليف خليل شرف الدين ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1980م .
- 28 — **النقد الأدبي الحديث** ، د. محمد غنيمي هلال ، دار النهضة ، القاهرة ، 1996 .
- 29 — **النقد والنقاد المعاصرون** ، محمد مندور ، مكتبة النهضة ، مصر ، دت .

### Abstract

It is obvious that the Addasid Poets draw their raw material of the artistic image from the reality of the majestic Addasid civilization which impressed them . So their wording show civilized meaning .

Then it turns out that the Addasid era , until the end of the third century of the Hegira , was one of the most prosperous eras due to the civilization and bliss bestowed on people at that time .

Not only all reason and factors of growth of civilization are available , Mesopotamia is a fruitful land to establish elegant civilization at the time as well . poets find themselves amid such civilization and within the bliss of palaces of caliphs who confer majesty and reverence on them , and also convey to their palaces what they have found in Persia courts . That makes them worthy of adoration in eyes of poets who celebrate signs of civilization and sublimity and where . Their poems are perpetuate that legacy to which we pay homage till now .



## اليهود والامتيازات الأجنبية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

د. نايف عبد نايف النجم

جامعة كركوك/ كلية التربية/ قسم التاريخ

### ملخص البحث

يتناول البحث اثر الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود في بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، حيث تم استعراض اوضاعهم في الدولة العثمانية منذ ظهورها والكيفية التي عومل بها هؤلاء ، والمعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الاوربية مع الدول الاوربية وما تضمنتها هذه المعاهدات من حقوق للرعايا العثمانيين من غير المسلمين ، فضلا عن انعكاس هذه الامتيازات على اوضاع اليهود من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية ، من خلال التغير الذي طرأ على اوضاعهم في جميع هذه المجالات سلبا كان ام ايجابا .

### الأفليات في الدولة العثمانية (الجزء الأول والتطبيق):

انطلقت السياسة العثمانية تجاه غير المسلمين من الشريعة الاسلامية ، عندما عامل القرآن الكريم هؤلاء معاملة حسنة ضمن ضوابط وشروط معينة ، قال الله تعالى ((ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وألھنا وألھكم واحد ونحن له مسلمون))<sup>(1)</sup> . كما حثت الاحاديث النبوية الشريفة على حسن معاملة اهل الذمة<sup>(2)</sup> ، اذ عد جمهور العلماء قتل المسلم للذمي من الكبائر ودليلهم في ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "من قتل معاهداً ََّ لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة

اربعين عاماً<sup>(3)</sup> فالاسلام اقر لاهل الذمة التمتع بالحرية في ظل مجتمع يسوده التسامح والآخاء والعدل والمساواة فلهم حرية الديانة من خلال ممارسة شعائرهم في الكنائس والمعابد بحرية<sup>(4)</sup>، فضلاً عن الحرية في ممارسة الانشطة الاقتصادية ، مع بعض القيود من حيث عدم جواز تقلد اهل الذمة العديد من المناصب كالامارة وقيادة الجيش وعدم جواز الانخراط به مع الزامهم بدفع مبلغ معين من المال سمي بالجزية<sup>(5)</sup>.

اتسمت سياسة الدولة العثمانية بالتسامح تجاه سكان البلدان المفتوحة ، وبقدر تعلق الامر باليهود فان السلطان اورخان (1326-1359م) سمح لليهود في مدينة بورصة باقامة شعائرهم الدينية من خلال اقامة معبد لهم ، فضلاً عن السماح لهم بالسكن في حارة خاصة بهم الامر الذي جعله اول سلطان اعطى لليهود امتيازاً<sup>(6)</sup> . استمرت سياسة الانفتاح على اليهود من قبل السلاطين العثمانيين فيما بعد ، ففي عهد السلطان محمد الثاني (1451-1481م) الذي فتح القسطنطينية عام (1453م) اخذت اوضاع غير المسلمين منحاً جديداً نتيجة لدخول اعداد كبيرة من هؤلاء في حوزة الدولة العثمانية ، من خلال وضع نظام الملل<sup>(7)</sup> الذي نظم حياتهم في الدولة واصبحت تسير على اسس تنظيمية واضحة من حيث القوانين والممارسة<sup>(8)</sup> .

اصبحت كل مجموعة تسمى ملة وتدير شؤونها بنفسها من خلال ايجاد قانون ينظم ذلك والشخص المسؤول امام الدولة يسمى ((ملة باشي)) اذ اعترف السلطان باليهود كملة وما ترتب على ذلك من الحقوق المتمثلة باعتبار ((الهاخام))<sup>(9)</sup> اعلى منصب ديني بصفته رئيس الطائفة الروحي ، فضلاً عن كونه رئيسهم السياسي<sup>(10)</sup> ، وتم الاعتراف بملكية هؤلاء الخاصة والحرية في ممارسة النشاط الاقتصادي<sup>(11)</sup> لذا بدأ نفوذهم في الدولة العثمانية خلال مدة حكم السلطان محمد الفاتح، ولاسيما بعد فتح القسطنطينية، فاصبح اليهود جزءاً من الدولة العثمانية ، اذ تغلغل هؤلاء في المرافق

التدخل بالأموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية والتعليمية<sup>(22)</sup>، حتى وصف نهوضهم في القرن السادس عشر بأنه لانظير له<sup>(23)</sup>.

### الامتيازات الأجنبية<sup>(24)</sup> في الدولة العثمانية

عقدت الدولة العثمانية عدة اتفاقيات مع العديد من الدول الأوروبية، إذ اتخذت الشكل الرسمي للمعاهدات معها، وأصبحت تسمى بالامتيازات الأجنبية عام 1535م، بالرغم من توقيع معاهدة عام 1454م مع البندقية، حيث نال تجارها تسهيلات كثيرة في حماية الممتلكات وتبادل السلع والتتقل، وكانت ذات طابع تجاري بحت<sup>(25)</sup>.  
يعد عام 1535م البداية الحقيقية للامتيازات<sup>(26)</sup>، إذ عقدت الدولة العثمانية معاهدة أو اتفاقية مع فرنسا في ذلك العام، عندما وضعت هذه المعاهدة نظاماً للامتيازات وشرعتها بصورة رسمية حصل بموجبها الفرنسيون على امتيازات تجارية واسعة في الدولة العثمانية<sup>(27)</sup>، إلا أن هؤلاء لم تكن لهم أية امتيازات على حساب رعايا الدولة العثمانية خلال هذه المدة على الأقل<sup>(28)</sup>، بالرغم من أنهم حصلوا فيما بعد على حقوق أكثر من رعايا الدولة أنفسهم<sup>(29)</sup>.

فُسِّرَ عقد الدولة العثمانية لهذه المعاهدة تفسيرات عديدة، منها أن الدوافع السياسية كانت العامل الأهم بغية كسب ود فرنسا إلى جانب الدولة العثمانية<sup>(30)</sup>، وهناك تعليل آخر يعطي الأولوية للجانب الاقتصادي، بعد أن شعرت الدولة العثمانية بالقلق من جراء تحول تجارة الشرق من أراضيها نحو طريق رأس الرجاء الصالح، وزيادة الاهتمام بالأراضي الجديدة في قارة أمريكا على حساب الشرق<sup>(31)</sup>، بينما فسر بعضهم ذلك نتيجة ضعف السلاطين بعد سليمان القانوني (1520-1566) فبدأوا بالتودد للأوروبيين، فكانت الامتيازات مزيداً من الحقوق لهؤلاء الأوروبيين على حساب الدولة<sup>(32)</sup>، ولكن ينبغي أن تفهم سياسات الدول على أنها نابعة من عدة اعتبارات أو عوامل وليس عامل واحد، لذا يمكن القول عن هذه الامتيازات بأنها لاتخرج من سياق

التجارية والصناعية من خلال امتلاكهم المحلات الكبيرة في ازمير وسلاطيك واستانبول<sup>(12)</sup> إلى الحد الذي عُدَّ ذلك حداً فاصلاً في تاريخ اليهود العثمانيين<sup>(13)</sup>.

حدثت الهجرة اليهودية على نطاق واسع إلى أراضي الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481-1512م) قادمين من إسبانيا بعد سقوط غرناطة بيد الأسبان 1492م، إذ هربوا مع من استطاع الهرب من المسلمين وقد ((هرب اليهود الأسبان المضطهدون في جموع هائلة فلم يلجئوا إلا إلى تركيا))<sup>(14)</sup>.

كما حدثت هجرة مماثلة في نهاية القرن الخامس عشر من وسط أوروبا إلى أراضي الدولة العثمانية، فسكن هؤلاء مختلف المدن بما فيها استانبول، فكانوا خير داعم للحرف المختلفة والتجارة، إذ تولوا مكانة مهمة ولاسيما في الشؤون المالية<sup>(15)</sup> واستقر قسم كبير منهم في سلاطيك، فضلاً عن الجزائر وتونس وليبيا ومصر وسوريا وفلسطين<sup>(16)</sup>.

وفي عهد السلطان سليم الأول (1512-1520م) وبعد أن أصبحت بلاد الشام تابعة للدولة العثمانية 1516م<sup>(17)</sup>، بدأ يهود أوروبا يهاجرون إليها وأقاموا بنحو خاص في الأماكن المقدسة (القدس، الخليل، طبريا، صفد) إذ منحهم السلاطين العثمانيون الأمان وعاملوهم معاملة حسنة<sup>(18)</sup>.

يمكن القول عن أوضاع اليهود في الدولة العثمانية، بأنهم تمتعوا بحرية العبادة<sup>(19)</sup>، ويقدر كبير من الاستقلال الذاتي والإداري والطائفي، فكان الحاخام (باشي) ممثل اليهود أمام الحكومة العثمانية، كما سمح لهم اختيار رؤسائهم الروحيين بحرية، فضلاً عن حل الخلافات فيما بينهم من خلال المحكمة اليهودية التي تحكم بينهم بموجب شريعتهم<sup>(20)</sup> والنظر في القضايا المدنية كالزواج والطلاق والنفقة، مع استثناء الجرائم الكبرى والقضايا المتعلقة بأمن الدولة التي كانت من اختصاص الدولة<sup>(21)</sup>، وتمتعت مدارسهم الطائفية باستقلال ثقافي ذاتي من خلال عدم

الدولة العثمانية بمعاملة التجار الامريكان كما يعامل تجار الدول الاوربية الاخرى<sup>(40)</sup> ، علماً ان هذه المعاهدات لم تكن اقتصادية فقط انما كانت ذات ابعاد سياسية كذلك ، كما ان هذه الدول لم تقتصر في علاقاتها مع الدولة العثمانية على معاهدة واحدة فحسب ، بل عقدت اكثر من معاهدة معها لاعتبارات تتعلق بحصولها على تنازلات منها مع استمرار ضعف الدولة العثمانية اكثر من السابق مع تقادم الزمن<sup>(41)</sup> .

تضمنت بعض بنود المعاهدات المبرمة ، السماح للاوربيين على الاستقرار في الدولة العثمانية وظهر ما اطلق عليه (الجاليات الاوربية) ، فاصبح لهم الحق في التجارة بحرية والملاحة مع تحديد الرسوم الكمركية على البضائع ، ومنعت الدولة وموظفيها من استخدام العنف ضدهم فضلاً عن ضمان حرية العبادة لهؤلاء ، واحترام مساكنهم ، فاصبح بمرور الزمن ومع استمرار نظام الامتيازات للقنصل الحق في الحكم بين رعايا دولته ، واللجوء الى السلطان في تنفيذ الاحكام في حالة وجود صعوبات تحول دون امكانية تنفيذ هذه الاحكام<sup>(42)</sup> ، من خلال تشكيل محاكم قنصلية خاصة ذات صلاحيات كاملة للنظر في الدعاوى التي تخص رعايا القنصلية ، وكان القنصل هو الذي يتولى امر القضاء بنفسه ، وبناءً على ذلك فان الاحكام الصادرة تنفذ على اراضي الدولة العثمانية<sup>(43)</sup> ، مما يدل على وجود ثنائية السلطة في الدولة العثمانية ، طالما ان القنصلية تحكم بمنأى عن قوانين الدولة ، فانعكس ذلك بنحو سلبي على هيبة الدولة وامنها<sup>(44)</sup> ، ولاسيما ان عمل القناصل والسفراء الرئيس هو الدفاع عن مواطنيهم واملاكهم ومصالحهم ، من خلال محاولة تطبيق ماجاء في الامتيازات الممنوحة<sup>(45)</sup> .

اضيفت بمرور الزمن الى المعاهدات الجديدة بنود تعطي الحق للاجانب حماية غير المسلمين ، بحيث اصبح الكثير من النصارى واليهود بمثابة مواطنين للدول الاوربية التي تتولى حمايتهم من خلال القناصل<sup>(46)</sup> ولاسيما اذا علمنا ان

العادات التي كانت متبعة في معاملة التجار الاجانب ، فضلاً عن اعتبار العثمانيين بان الشريعة الاسلامية تقر هكذا نوعاً من الاتفاقيات فضلاً عن روح العصر الجديد الذي قاد الى تطور في علاقات الدول مع بعضها<sup>(33)</sup> .

ان الامر الجدير بالذكر ان المعاهدة لم تذكر شيئاً عن رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين ، اذ ورد ذكر هؤلاء لأول مرة في اتفاقية عام 1604م<sup>(34)</sup> ، وقد اضيفت الى هذه المعاهدة تعهدات جديدة ففي المادة الرابعة منها اعترف لملك فرنسا بحق حماية النصارى الكاثوليك من رعايا دول اوربا في الدولة العثمانية<sup>(35)</sup> ، ولم تقتصر العلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا على هذه المعاهدة ، بل اعقبتها العديد من المعاهدات منها ما عقد في الاعوام 1569، 1618، 1604، 1597، 1581 ، 1673، 1649، 1640، وعام 1740، علماً ان المعاهدة الاخيرة لاتعني نهاية الامتيازات ، بل انها اتسمت بصفة الدوام ، كونها اصبحت سارية المفعول حتى لو مات السلطان او عزل<sup>(36)</sup> .

ونتيجة لذلك ان المصالح الاقتصادية كانت تأتي في المقام الاول في تشكيل الدبلوماسية الاوربية وتوجيهها<sup>(37)</sup> ، حاولت الدول الاوربية الاخرى بسبب ذلك منافسة فرنسا في الحصول على امتيازات مماثلة في الدولة العثمانية، بغية ارساء قواعدها الاقتصادية فيها ، فكانت انكلترا السبّاقة في هذا المجال عندما عقدت عام 1580م معاهدة مع الدولة العثمانية تضمنت اثنتان وعشرون مادة ، حددت فيها الحقوق الممنوحة لهم ، وكانت مماثلة للمعاهدات الفرنسية من حيث حرية التجارة والاقامة في الدولة العثمانية<sup>(38)</sup> ، ثم تبعتها هولندا عام 1613م وروسيا عام 1717م وبروسيا عام 1740م والنمسا عام 1818م وكل الدول الاوربية عدا سويسرا<sup>(39)</sup> ، كما عقدت معاهدة في عام 1828م مع الولايات المتحدة الامريكية تضمنت فتح القنصليات بينهما ، فضلاً عن بنود تتعلق بخفض الضرائب والرسوم الكمركية ، وتعهدت فيها

بحلول عام 1874م الغيت الرسوم الداخلية كلها عن التجارة واستمر تحصيل 8% من قيمة المواد المنقولة بحرا من ولاية عثمانية الى اخرى او من مدينة الى اخرى<sup>(57)</sup>.

انعكست هذه الامتيازات وما تضمنته المعاهدات المختلفة من حقوق للدول المختلفة في الدولة العثمانية ، وينحو سلبى على الاقتصاد العثماني عندما اصبحت الدولة العثمانية غير قادرة على حماية الانتاج المحلي ، واقبل الناس على شراء المنتجات الاجنبية المستوردة ، فكسر الانتاج المحلي مع تدهور الصناعات الوطنية ، واختل الميزان التجاري ، مما جعل الدولة تشكو من عجز مالي كبير ، لم تر الدولة سبيلاً لمعالجته الا بالاستدانة من الخارج<sup>(58)</sup> ، اذ شهد عصر السلطان عبد العزيز 1861-1876م الانهيار المالي للدولة وارتفاع نسبة التضخم ، فاعلنت الدولة افلاسها عام 1875م عندما لم تستطع دفع الديون المترتبة عليها<sup>(59)</sup> حتى تم تشكيل لجنة (ادارة الدين العام) في عام 1881م تم بموجبها وضع بعض واردات الدولة العثمانية تحت تصرف هذه اللجنة كواردات الطابع المالية والملح والسكك والحرير والتبغ<sup>(60)</sup> ، اذ استطاعت الدولة دفع مبالغ كبيرة وينحو مستمر خلال السنوات اللاحقة ولاسيما وان الديون العثمانية خفضت من (191) مليون جنيه استرليني الى (106) مليون جنيه استرليني مع تخفيض الفوائد الى 1%<sup>(61)</sup> .

وتدار لجنة الدين هذه عن طريق مجلس مكون من سبعة اعضاء ، وهم بريطاني وفرنسي ونمساوي والماني وايطالي وعثماني ، فضلاً عن ممثل عن صياغة غلطة ، ويرأس المجلس بالتناوب العضوان الفرنسي والبريطاني<sup>(62)</sup> .

في عام 1900م خفضت الرسوم الى 2% ، وفي عام 1909م الغيت الضريبة عن جميع السلع ما عدا القليل منها ، وعادت الدولة العثمانية فيما بعد تطالب الدول الاوربية بزيادة الرسوم الجمركية لخدمة التنمية<sup>(63)</sup> .

الامتيازات تعطي قناصل الدول الاخرى استقلالاً تاماً في تنظيم وتقرير شؤون مواطنيهم في القضايا التجارية والحقوقية والجزائية على وفق قوانينهم الخاصة<sup>(47)</sup> .

ينبغي الاشارة الى ان الدولة العثمانية توخت من هذه الامتيازات الحصول على منافع اقتصادية<sup>(48)</sup> ، فضلاً عن محاولة الاستفادة من خبرات الغرب ، بالرغم من كون النتائج جاءت عكسية من النواحي السياسية والاقتصادية من خلال السيطرة التي فرضتها الدول الغربية على الدولة العثمانية عندما اصبحت قادرة على التأثير على السياسة الداخلية لها كعامله اهل الذمة<sup>(49)</sup> ولاسيما ان هذه الاتفاقيات كمعاهدة بالطة ليمان مع بريطانيا 1838م قد حدثت من مقدرة الدولة العثمانية على فرض ضرائب جديدة وفتحت اسواق البلاد للتجار الاجانب ، واباحت لهم حرية الاستيراد والتجارة بعد ان تم تخفيض الضرائب على البضائع المستوردة واصبحت 5% فقط بينما بلغت الضريبة المفروضة على الصادرات 12% وعلى السلع العابرة 3%<sup>(50)</sup>، ثم عقدت معاهدة مع فرنسا ومعظم الدول الاوربية الاخرى نصت الى حد ما على البنود نفسها التي تضمنتها المعاهدة مع بريطانيا<sup>(51)</sup> ، ثم بعد ذلك اصبحت هناك تخفيضاً للرسوم الكمركية على السلع الاجنبية من 10% الى 8% وفق المعاهدات التجارية المعقودة مع البلدان الاوربية عام 1862م<sup>(52)</sup> مع العمل على تخفيضها 1% سنوياً الى أن تبلغ نسبتها 1%<sup>(53)</sup> ، الامر الذي ادى الى وضع الاقتصاد العثماني تحت نفوذ الدول الاوربية<sup>(54)</sup> ، علماً ان الدولة العثمانية قررت حرمان الاجانب من امتلاك العقارات ، وحاولت جاهدة تطبيق ذلك<sup>(55)</sup> ، بعد ان كانت قد بدأت بعقد المعاهدات الجماعية مع الدول الاوربية كذلك التي عقدتها مع فرنسا وانكلترا وبلجيكا عام 1840م والحاح الدولة على تطبيق بنود هذه الاتفاقيات<sup>(56)</sup> .

الاسس التقليدية ، بل ان الوعي السياسي المرتكز على اسس اثنية قومية هو المعيار الاساسي لهذه المتغيرات فحلت محل نظام الملل<sup>(71)</sup> .

ومع تنامي دور هذه الفئات غير الاسلامية ، ولاسيما من الناحية الاقتصادية الا ان هذا الدور يكاد يكون شاذاً بسبب تناقض هذا الدور مع نظام الملل العثماني ، مما ادى الى ايجاد نوع من التعارض بين الجانب التشريعي والواقع الاقتصادي ، فشكل ذلك الظروف الموضوعية التي حدثت بالدولة العثمانية الى تشريع التنظيمات العثمانية<sup>(72)</sup> .

استفاد اليهود منذ وقت مبكر من الامتيازات الاجنبية التي اعطيت للراعي الاجانب فحققت لهم فوائد كثيرة ، إذ تضمنت اعطاء القناصل والسفراء الاجانب سلطة قضائية على رعاياهم ، مع ضمان حقوقهم في التجارة والامن والحرية الدينية ، كما شملت هذه الامتيازات كل العاملين لدى الاجانب اصحاب الامتيازات كالمترجمين ، اذ اصدرت الدولة ضوابط معينة وتعليمات تم الزامهم بها عندما يعملون في القنصليات الاجنبية في مختلف ارجاء الدولة العثمانية وكان معظمهم من النصارى واليهود<sup>(73)</sup> لذا فان الحماية شملت هؤلاء اليهود ، فأدى هذا النظام دوراً كبيراً في حياتهم في الدولة العثمانية بنحو عام ، ولاسيما اذا علمنا ان الهجرة اليهودية استمرت نحو اراضي الدولة ، فحافظوا على تبعيتهم الاصلية مع كل مالها من امتيازات استثنائية تتمتع بها الدول الاخرى في الدولة العثمانية<sup>(74)</sup> .

فعلى سبيل المثال بلغ عدد اليهود الذين منحوا الحماية البريطانية في مدينة حلب وحدها بين عامي 1848-1861م تسعة عشر يهودياً وارتفع عام 1881م الى اربعين يهودياً ، كان لمعظمهم روابط تجارية معها<sup>(75)</sup> .

ان ارتفاع اعداد التابعين للحماية الاجنبية او ادعاء البعض الاخر بذلك بغية الحصول على امتيازات الحماية والتخلص من الواجبات الملقاة على عاتقهم ، جعل الادارة العثمانية تتشدد ازانهم من خلال التأكد من ذلك ، فضلاً عن ايجاد ضوابط جديدة للحد من اعدادهم<sup>(76)</sup> .

وفيما يتعلق ببلاد الشام فانها وقعت تحت الاحتلالين الفرنسي والبريطاني ، فالغيت الامتيازات الاجنبية فيها بموجب نظام الانتداب 1920م ، اما الدولة العثمانية فقد استمر هذا النظام حتى عام 1923م حيث تخلصت من نظام الامتيازات<sup>(64)</sup> .

### انعكاس الامتيازات الاجنبية على اوضاع اليهود في بلاد الشام<sup>(65)</sup>

يعد القرن التاسع عشر نقطة تحول في تاريخ الولايات العربية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب التغلغل الاوربي فيها ، ومن جملة مانتج عن ذلك ان ظهرت فئات جديدة مرتبطة بهذه التحديات كالبرجوازية التي ارتبطت بالغرب ، فضلاً عن التغييرات على المستويين السياسي والفكري<sup>(66)</sup> ، ومن البديهي ان يشكل غير المسلمين في طليعة تلك الفئات ، مما جعل الدولة العثمانية تقر بان هناك خرق لنظام الملل الذي اعتمدت عليه في ترتيب وضع الاقليات في الدولة ، من خلال انعكاس التطورات الجديدة على اوضاع غير المسلمين من جميع النواحي<sup>(67)</sup> ، بحيث اصبح هذا النظام عامل تفكيك لبنية الدولة بنحو تدريجي نتيجة للتداعيات الايجابية على اوضاع هؤلاء من خلال دورهم في تجارة الدول الاوربية داخل الدولة العثمانية ، نتيجة لتحول ولائهم على وفق مصالحهم وليس بموجب نظام الملل<sup>(68)</sup> .

عدّ هذا التحول بداية لزرع الاوربيين الاتجاهات الانفصالية عن الدولة العثمانية منذ نهاية القرن الثامن عشر ، ولاسيما انه كان مترافقاً مع تحولات اجتماعية شاملة نتيجة لهذا التغلغل الاوربي ، وكان مظهر هذه التحولات متغيرات اقتصادية وايدولوجية ، وما ادل على ذلك التغير الذي طرأ على مفهوم الملة في القرن التاسع عشر انه اصبح مرادفاً لمفاهيم اخرى كالامة او الشعب<sup>(69)</sup> مما جعل البعض يعد غير المسلمين احد اهم ادوات النفوذ الاوربي في الدولة العثمانية<sup>(70)</sup> ولاسيما ان متغيرات جديدة ظهرت لدى الملل عندما برزت فئات جديدة من التجار والمتقنين لم تعتمد على

## انعكاس الامتيازات الأجنبية على اوضاع اليهود في بلاد الشام من

### الناحية الاقتصادية

ان اهم ما اعاق الدولة العثمانية ومنعها من محاولة التخطيط الاقتصادي وبالتالي حماية الانتاج المحلي هو ارتباطها بنظام الامتيازات الاجنبية<sup>(77)</sup>.

تعد الامتيازات التجارية من اهم الامتيازات التي حصل عليها الاوروبيون ، والتي انعكست بنحو واضح وجلي على اوضاع غير المسلمين ، وبقدر تعلق الامر باليهود فان هؤلاء استفادوا كثيراً من الامتيازات في بلاد الشام ولاسيما بعد منتصف القرن التاسع عشر ، عندما ازداد حجم التدخل الغربي في الدولة العثمانية ، مما ساعد على تحسن اوضاع اليهود في جميع المجالات ولاسيما الاقتصادية منها والتي اتاحت لهم العمل في كافة الهيئات الادارية<sup>(78)</sup>.

وقبل الحديث عن اوضاعهم في بلاد الشام لابد من الكلام قليلاً عن اوضاعهم في مركز الدولة اذ عمل قسم منهم كملتزمي ضرائب من خلال عملهم في وظائف السمسرة بين الادارة العثمانية والتجار الاجانب ولاسيما الرسوم الكمركية والضرائب التي تجبى من البضائع والسفن، كما كان قسم منهم اصحاباً للمصارف كونهم صيارفة لذا كانوا على تماس وثيق بالاجانب<sup>(79)</sup> اذ امتلك هؤلاء عدداً من المصارف الخاصة ، فقد تبين مع نهايات القرن التاسع عشر ان من بين اربعين من اصحاب المصارف الخاصة كان ثمانية من اليهود وذلك في مدينة اسطنبول وحدها<sup>(80)</sup>.

ترتب على نشاط غير المسلمين في ميدان التجارة ان انعكس ذلك على النقابات المهنية التي تعكس طبيعة النشاط التجاري ، فكان هؤلاء ناشطين في بعض النقابات المهنية في اسطنبول ولاسيما الذين تعاملوا مع التجار الاجانب ، أي عملوا في التجارة الخارجية ، فعملوا في تجارة الجلود والصوف وتجارة اللؤلؤ<sup>(81)</sup>.

لم يقتصر اثر الامتيازات على اليهود في القرن التاسع عشر فقط ، فقد ظهرت آثار ذلك من خلال الاوضاع الاقتصادية لهؤلاء في القرون السابقة ، ويمكن الاستدلال على غناهم من خلال كون تجارة الاوروبيين مع الدولة العثمانية كانت بيد النصارى واليهود ، بدليل ان تجارة البندقية في القرن الثامن عشر تتعامل مع اربع مؤسسات بندقية واربع مؤسسات يهودية في الولايات العربية<sup>(82)</sup> ، مما جعل التجار اليهود مقرضين لحكومة ولاية دمشق والحكومة المركزية في بعض الاحيان ، الى الحد الذي جعل احد الباحثين يتحدث عن كون احد اليهود الاغنياء يسمى مجازاً وزير المالية<sup>(83)</sup>.

ان هذا الدور الفاعل لغير المسلمين خاصة من الناحية الاقتصادية ، نتج عن تداعيات نظام الامتيازات الاجنبية ، بحيث كاد ان يختفي معها نظام الملة العثماني ، فنظر الاوروبيون الى غير المسلمين كأقليات تابعة او شبه تابعة لهم<sup>(84)</sup>.

ان تطور النفوذ الغربي في القرن التاسع عشر قد منح اهمية اكبر لوسطاء الاقلية ، وعزز الدور الذي أدوه وخصوصاً ان العثمانيين تحاشوا التجارة الدولية ، فظهر تبعاً لذلك تحالف بين الاقليات والدول الغربية لايذاء الدولة العثمانية<sup>(85)</sup>.

أدى اليهود دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية في مختلف ارجاء بلاد الشام ، ففي مدينة حلب كان لهم الدور الفاعل من خلال كونهم اصحاب مصارف وسماسرة بورصة<sup>(86)</sup> ، كما أدوا الدور نفسه في دمشق ، عندما عملوا صرافين ولاسيما في القرن التاسع عشر الى جانب النصارى<sup>(87)</sup> اذ ان عمليات الصرافة وعقد الديون بفوائد كبيرة احتكرها اليهود من أهالي دمشق<sup>(88)</sup> ، فضلاً عن دورهم في التجارة الخارجية من خلال كون اكثر القناصل منهم ولاسيما من عائلة مركيولي وهم قناصل اسبانيا وبعض الدويلات الايطالية وعائلة بيجوتو(قناصل النمسا) ، فاستثاروا المسلمين والنصارى وسيطروا على امور القوافل التجارية ومما يدل على ذلك النفوذ ، انهم

الاجنبية التي وفرتها القنصليات الاوربية بموجب نظام الامتيازات الاجنبية فكان من المزايا التي استفادوا منها انهم يحملون الجنسية الاوربية ، لذا لم تدقق الدولة في دخول هؤلاء اليهود واستقرارهم في فلسطين ، بمساعدة قناصل دولهم التي سهلت لهم ذلك فضلاً عن تنظيم احوالهم ورعاية مصالحهم<sup>(97)</sup> ولاسيما الانكليز الذين سهّلوا وصول هؤلاء الى فلسطين من اوربا حيث استقروا في القدس وصفد وطبريا ، مما ادى الى ارتفاع عدد المهاجرين خلال سنوات قليلة ، فاعتمد هؤلاء على انفسهم من خلال العمل بدلاً من الاعتماد على التبرعات والصدقات من اوربا<sup>(98)</sup> .

وبالرغم من ان زيادة عدد اليهود لها دلالات اجتماعية واضحة بالنسبة لهم ، الا انها تتطوي كذلك على دلالات اقتصادية في الوقت نفسه ، ففي الوقت الذي استمر فيه ثراء اليهود في دمشق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من خلال امتلاكهم فيها اربعة وعشرين بيتاً تجارياً ، بلغ مجموع راسمالها ما بين (18-26) مليون قرش ، بحيث بلغ متوسط راسمال كل تاجر ما بين (600-700) ليرة ذهبية استرلينية ، بينما كان تسعة تجار منهم يبلغ راسمال كلاً منهم ما بين مليون ومليون ونصف من القروش<sup>(99)</sup> ، مما جعلهم اصحاب نفوذ كبير في تجارة دمشق مع بريطانيا ، الامر الذي جعلهم اثرياء قياساً بالسكان المحليين من المسلمين الذين طلبوا منهم القرض لتسديد الغرامة التي فرضت عليهم في احداث 1860م في دمشق ففعلوا لكن بفوائد عالية<sup>(100)</sup>.

استغل الصرافين اليهود بالدرجة الاساس الفلاحين في سوريا عندما استدان هؤلاء الاموال منهم بفوائد عالية تراوحت ما بين 24-40% ، ولما لم يكن للفلاح القدرة على تسديد هذه الاموال فأنه اضطر الى فقدان ارضه من خلال الحجز عليها مقابل الدين فتصبح ملكاً لليهود ولاسيما ان اليهود كانوا محميين او تابعين لقنصلية اجنبية ، مما جعل موقفهم اكثر قوة من غيرهم ، ولم يقتصر تعامل اليهود مع

حملوا هذه القوافل على الاستراحة يوم السبت ، مما جعلهم اكثر قدرة على فرض الاسعار<sup>(99)</sup> .

كان للسيطرة المصرية على بلاد الشام<sup>(90)</sup> عام 1831م انعكاساً كبيراً على اوضاع غير المسلمين ، من خلال سياسة المصريين التي انصفت هؤلاء اكثر من السابق ، فأدت الى الانتعاش الاقتصادي في جميع المجالات<sup>(91)</sup> .

شهد القرن التاسع عشر تطورات جديدة في الدولة العثمانية منها حركة التنظيمات ، كخط شريف كولخانه 1839م وخط همايون 1856م واعلان الدستور العثماني 1876م ، اكدت جميعها على ضرورة المساواة بين رعايا الدولة العثمانية بغض النظر عن الدين او المعتقد<sup>(92)</sup> كما شهدت هذه المدة ضعف واضح في مؤسسات الدولة العثمانية<sup>(93)</sup> ، وقد ترافق ذلك مع الامتيازات الاجنبية ، فحدث نوع من التعارض بينهما ، اذ ان قادة الاصلاح لم يفلحوا في اقناع الاوربيين بالتنازل عن حماية الامتيازات او منع رعاياهم من غير المسلمين من الحصول على حماية القناصل الاوربيين والاعفاء من قوانين الدولة العثمانية<sup>(94)</sup> ، مما جعل غير المسلمين لا يستغنون عن اللجوء الى الحماية الاجنبية<sup>(95)</sup> الامر الذي ادى الى ابقاء اثر الامتيازات طاعياً على غير المسلمين ، ويجب ان يفهم ان المتغيرات السياسية التي تحدثت في الدولة العثمانية لم تكن تنعكس بنحو ايجابي على الاقليات بنحو دائم كما حدث بعد الانسحاب المصري من بلاد الشام ، اذ ان النظام الضريبي الجديد انعكس بنحو سلبي على اليهود وذلك عام 1840م ، مما جعل الاعتقاد القائل بان مصلحة الاقليات مرتبطة بالوجود الاجنبي في الدولة العثمانية سائداً<sup>(96)</sup> ولاسيما ان التطورات الجديدة لاطواضع اليهود في الدولة العثمانية اكدت ذلك ، اذ ان الضعف المستمر في الدولة العثمانية ادى الى حدوث هجرة واسعة النطاق لليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى فلسطين ، حيث ان هذه الهجرة ارتبطت بنظام الحماية

فلسطين ، كما ساهم يهود اوربا والدولة العثمانية والمغرب العربي الذين كانوا قد هاجروا الى فلسطين بذلك التطور من خلال اشتغال العديد منهم في الزراعة والصناعة<sup>(103)</sup> ، وقد انعكست الهجرة اليهودية على الاوضاع في فلسطين ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي صنف ارتفع عدد اليهود الى اكثر من ستة آلاف بحيث شكلوا قرابة ثلث عدد السكان هناك ، بحيث استطاعوا الاستحواذ على نسبة عالية من تجارتها ، وكذلك الحال في طبريا اذ زاد عددهم ليصل الى اربعة آلاف في مختلف نواحيها ، والذي دل على نفوذهم الاقتصادي انهم اصبحوا يملكون (110) آلاف دونما على الرغم من كونهم لايمثلون الا ربع سكان المدينة<sup>(104)</sup>.

ان هذه الزيادة الكبيرة في اعداد اليهود والمهاجرين الى فلسطين خاصة ، والذي نتج عنه زيادة نفوذهم الاقتصادي ماكان ليحدث لولا دعم الدول الاوربية ، فكان شراء الاراضي وانشاء المستوطنات وامتلاكها ، تم بموجب تشريع عثماني عام 1867م الذي اعطى الحق لهؤلاء بالتملك في جميع ارجاء الدولة العثمانية عدا الحجاز والذي صدر نتيجة الضغوط الاوربية<sup>(105)</sup> .

اما متصرفية القدس (يافا - غزة - بئر السبع - الجليل)، فقد كان عدد اليهود قليلاً في بداية القرن التاسع عشر ، الا ان عدد هؤلاء اصبح كبيراً في نهاية القرن بحيث شكلوا اكثر من نصف عدد السكان هناك<sup>(106)</sup> وقد ملكوا الكثير من الاراضي الزراعية ، فعلى سبيل المثال في يافا وفي نهاية القرن التاسع عشر كان نحو ثلث الاراضي الزراعية بأيديهم<sup>(107)</sup> ، مما ادى الى ارتفاع الاسعار نتيجة كثرة عدد المهاجرين الى فلسطين<sup>(108)</sup> .

يمكن القول ان هناك عوامل عديدة ادت الى تمركز تجارة الاوربيين بيد النصارى واليهود العثمانيين في بلاد الشام ، منذ القرن الثامن عشر منها ان الجاليات الاوربية<sup>(109)</sup> في الولايات العثمانية بدات تنكفى لعدم وجود الامان المطلوب ، فضلاً

المزارعين فقط بل تعاملوا مع التجار والكتبة واصحاب الاملاك ، فضلاً عن موظفوا الادارة العثمانية بحيث انهم حجزوا على بعض املاكهم كي يكونوا ملزمين بتسديد الديون، على ان ذلك لم يختص بالرجال فقط بل كان للمرأة اليهودية دورا عندما مارست عمليات عقد الديون في دمشق ولاهل الريف من خلال ذكر ذلك في بعض الوثائق ، فعلى سبيل المثال هناك وثيقة تقول: "مدعية استير بنت شمعون من اهالي الشام/ مدعى عليه (محمد بن عبده يحيى) من اهالي قرية دوما دين مبلغ (1725 قرش) بموجب سند للامر". وهذه المرأة نفسها هي التي وضعت اموال لها عند الصراف يوسف فارحي بغية استثمارها مدة ستة اشهر متتابعة بالفائدة ، ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الصرافون احتوى جميعهم بالدول الاجنبية وقناصلها من خلال الامتيازات اذ كان معظمهم من تبعات دول اجنبية<sup>(101)</sup>.

اما يهود لبنان ، فقد كان معظم يهود بيروت ، ولاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يعملون بالتجارة او بالمعاملات المالية ، وبذلك اندمجوا في الحياة الاقتصادية للبلاد ، في حين كان يهود شمال سوريا يعملون في تجارة النسيج المستورد من حلب ، وعملوا كذلك في الصناعات الصغيرة مثل صناعة الصابون ، وكان بعض يهود هذه المنطقة من الاثرياء يعملون بالوساطة بين الفلاحين اصحاب الاراضي والمواشي وبين تجار المدينة ، وكان هؤلاء الفلاحون يعملون في بعض الاحيان اجراء لدى هؤلاء الوسطاء<sup>(102)</sup>.

اما في فلسطين ، فقد كانت اوضاع اليهود هناك افضل من اوضاع يهود سوريا ، اذ جلبت فلسطين العديد من الاوربيين واليهود من انحاء العالم فساهمت انشطتهم الاقتصادية ، ولاسيما في ثلاثينات القرن التاسع عشر في تطور الاوضاع الاقتصادية ، كما ساهمت اموال الشخصيات اليهودية الثرية في اوربا مثل موشيه مونتيفوري وعائلة روتشيلد ودي بيجوتو وغيرهم في الارتقاء بالاوضاع الاقتصادية في



### انعكاس الامتيازات الأجنبية على اوضاع اليهود من الناحية الاجتماعية

ترتب على الامتيازات الأجنبية انعكاسات من الناحية الاقتصادية ، فكان لابد ان ينعكس الوضع الاقتصادي لليهود على الاوضاع الاجتماعية ، فكانت الهجرة اليهودية المستمرة الى اراضي الدولة العثمانية بشكل عام وبلاد الشام وفلسطين بشكل خاص تمثل احد مظاهر هذا الانعكاس الاجتماعي ، على اعتبار ان اعداد هؤلاء ستزيد ، ومن ثم سيعزز ذلك موقفهم باستمرار ، على ان هذه الهجرة بدأت منذ وقت مبكر من القرن السادس عشر، حتى وصلت اعداد هؤلاء المهاجرين الى فلسطين (130) عائلة<sup>(114)</sup> .

يرجع تاريخ الوجود اليهودي في سوريا ولبنان الى مرحلة قديمة ، وكان معظم يهود هذين البلدين من فلسطين او اليهود الذين جاءوا من اسبانيا (الأندلس) ، ولا توجد ارقام دقيقة عن اعدادهم في بلاد الشام كونها تعتمد على التقدير ، وفي كل الاحوال فإن اعدادهم قليلة قياسا بما موجود منهم في فلسطين، إذ استقر معظم يهود سوريا في دمشق وحلب وبلغ عددهم خلال القرون السادس عشر حتى القرن الثامن عشر بضعة الاف ، اما اليهود في حماه وحمص فكانت اعدادهم قليلة ، اما في لبنان فكانت هناك اعداد قليلة منهم في طرابلس وبيروت وصيدا وبعبك ، فضلا عن وجودهم باعداد محدودة في بعض المناطق الدرزية في جبل لبنان ولا سيما في دير القمر ، وظهرت بعد ذلك العديد من الارقام كتلك التي ذكرها الرحالة اليهود، فضلا عن الاعداد المذكورة من قبل القناصل الاوربيين ، وفي كل الاحوال فان اعداد هؤلاء في منتصف القرن التاسع عشر لا يتجاوز اربعة عشر الفا ، مع العلم ان هناك هجرة واسعة النطاق حدثت خلال المدة المذكورة من قبل اليهود والنصارى من سوريا تجاه الولايات المتحدة الامريكية ودول امريكا الجنوبية<sup>(115)</sup> . اما في فلسطين فالتقديرات تشير الى ان اعداد اليهود فيها حوالي اربعة الاف كان معظمهم يقيمون في القدس، اذ

عن قدرتها على تحقيق ارباح اوفر في اماكن اخرى ، فضلا عن حصول غير المسلمين على حماية القنصليات الاوربية ، وكذلك معرفتهم باللغات الاوربية واساليب التجارة ، فنشأت بذلك فئة جديدة على تماس ومعرفة بالحياة الاوربية<sup>(110)</sup> .

ان انشاء المصارف الحديثة كان له اثر سلبي على اوضاع اليهود الاقتصادية فحاولوا مسايرة التطورات الجديدة من خلال العمل في مجال الصيرفة ، ففي حلب اصبح لهم بنك صنعرا ، وفي دمشق كان لهم بنك زلخة القريب من سوق الحميدية<sup>(111)</sup> .

ومجمل القول ان التاريخ الاقتصادي للدولة العثمانية ابان القرن التاسع عشر اتسم بظاهرتين رئيسيتين ، تمثلت الاولى في ركود الوضع الاقتصادي داخل الدولة العثمانية وتدهور حجم التجارة الخارجية مع الدول الاوربية، اما الثانية فتمثلت في تحسن مكانة النصارى الاقتصادية في الدولة بعد ان عملوا تحت الحماية الاوربية ، فانعكست هاتان الظاهرتان على اليهود بنحو سلبي فالحقت اضرارا جسيمة بأوضاعهم الاقتصادية ، مما جعل انشطتهم التجارية محدودة للغاية باستثناء فلسطين التي حدثت فيها تحولات اقتصادية كبيرة كان لها اثر في تحسن اوضاعهم الاقتصادية<sup>(112)</sup> .

ان هذه الاوضاع الاقتصادية المزدهرة لتجار اليهود في بلاد الشام لا تعني ان جميع اليهود كانوا ميسوري الحال بالرغم من عمل نسبة عالية منهم بالتجارة ، كانت نسبة كبيرة منهم يعملون كباعة متجولين ، لذا فان نسبة العاملين في قطاع التجارة بلغ 75% بينما كانت نسبة 10% منهم يعملون كفنانين ومعلمين ، في حين كان 15% منهم يعيشون على التبرعات<sup>(113)</sup> .

اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع المحيط بهم طيلة الحقبة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر بقدر كبير من الاستقرار ، وكانت اماكن العمل طيلة هذه المدة تجمعهم بالنصارى والمسلمين ، وكان ابناء هذه الطوائف يلتقون معا انذاك خارج العمل ايضا ، وتجدر الاشارة هنا الى ان نتائج الابحاث الحديثة اثبتت ان يهود الدولة العثمانية تأثروا الى حد كبير بكافة فنون المجتمع الاسلامي ، كما تسلت بعض مظاهر هذا التأثير الى الممارسات الدينية اليهودية ، وكان للاستقرار الذي كانت عليه السلطة دورا في تلك العلاقات ، فقد حدث تغيرا فيها في القرن التاسع عشر عندما اهتزت علاقة هؤلاء مع المجتمع المحيط بهم<sup>(120)</sup>.

ان نفوذ اليهود ودورهم في المجتمع يتجلى كذلك في حصولهم على مكاسب لم يكونوا ليحصلوا عليها في السابق ، لولا تصاعد هذا النفوذ ، وذلك عندما قاموا في طرابلس بتحويل ارض كانت تابعة لاقواف المسلمين الى ملك لهم تابع لكنيسهم وذلك في القرن الثامن عشر<sup>(121)</sup>.

وبالرغم من كون علاقة اليهود الاجتماعية مع بقية الطوائف الاخرى في دمشق محدودة جداً ، اذ كانوا مغلقين على انفسهم<sup>(122)</sup> ، الا ان ذلك لا يمنع من وجود تواصل اجتماعي بينهم والسكان الاخرين ولاسيما المسلمين ، ففي حلب على سبيل المثال كان هناك حي باسم اليهود في القرن الثامن عشر كانوا يسكنونه ، الا ان عدداً من المسلمين كانوا يسكنونه الى جانبهم كما وجدت منازل للمسلمين بالقرب من الكنيس اليهودي ، في حين امتلك اليهود منازل في حلب على مقربة من احد مساجد المسلمين<sup>(123)</sup> ، فضلا عن الى ان بعض الطقوس الاجتماعية لليهود كالاعراس كان قسماً منها ماخوذاً من المسلمين<sup>(124)</sup>، مما يؤكد وجود التواصل بين اليهود والمسلمين. ويلاحظ نفوذ اليهود واضحاً عندما رفع اهالي دمشق شكوى ضد هؤلاء عند السلطان العثماني محمود الثاني(1808-1839م) الذي استجاب لهم عندما اصدر

وصل عددهم حوالي ثلاثة الاف، في حين سكن الباقي في الخليل وطبرية وصفد ، كما اقام قلة منهم في عكا وغزة وذلك في القرن الثامن عشر، في حين قدر عددهم في ثلاثينيات القرن التاسع عشر بعشرة الاف ، كان معظمهم في القدس ، بينما وصل عددهم عام 1880م زهاء ستة وعشرين الف اقام غالبيتهم في القدس ، ووصل عددهم قبيل الحرب العالمية الاولى الى ثمانية وثمانين الفا كان نصفهم يقيم في القدس<sup>(116)</sup> ، علما ان سكان الولايات الشامية في القرن التاسع عشر موضحة في الجدول الاتي على شكل تقديري :

السكان في سوريا مقدرة بالف نسمة في بعض الولايات<sup>(117)</sup>

الولاية	عام 1878 م	عام 1896/95م
دمشق	670	840
بيروت	30	760
القدس	240	290
حلب	800	970

وبالرغم من اهمية وجود اعداد كبيرة من جماعة معينة في مكان ما ، وهذا ما حدث لليهود في بلاد الشام ، الا ان هذه الاهمية تكتمل اذا كان لهؤلاء دور في الحياة العامة ، وهو ما فعله اليهود كذلك عندما أدوا دوراً كبيراً في الادارة المالية لبلاد الشام بنحو عام ، ولاسيما دمشق وحلب وصيدا ، وبرزت في دمشق وصيدا عائلتا فارحي والسكرج<sup>(118)</sup> .

وصل حد تسلط اليهود على الادارة المالية في الشام انهم نظموا الحسابات بطريقة لا يفهمها غيرهم كي يحافظوا على استمرار احتكارهم لهذه المهنة<sup>(119)</sup> .

الاقتصادي والاجتماعي ، فاصبحت هذه الفئة تنشط في الحياة الاقتصادية ماسكة بنحو تدريجي باسباب القوة ، وما يميز هذه الفئة عن بقية الفئات التقليدية الغنية الاخرى ، انها كانت اكثر استجابة لمتطلبات المرحلة الجديدة ، من خلال (البرغماتية) التي اتصفت بها ، فاتقنوا التعامل مع الاوربيين في بلاد الشام وتعلموا لغة هؤلاء ، وكانوا اكثر تكيفاً مع الاوضاع الاقتصادية الجديدة واحسنوا التعامل مع الرساميل الاجنبية ، مما جعل هؤلاء قادة التغيير في مجتمع بلاد الشام ، اجتماعياً وثقافياً ، لذا فان غير المسلمين سيكونون في طليعة هذه الفئة ، كونها كانت اقدر من المسلمين في التكيف مع افكار الغرب وقيمه ، وبالرغم من كون النصارى كانوا في طليعة هؤلاء ، الا ان اليهود كان لهم حظاً وافراً من هذا التغيير الاجتماعي<sup>(131)</sup> على ان هذا التكيف مع الافكار الجديدة من خلال التعليم ووسائل الاتصال الاخرى ، كان لها انعكاس سلبي على فئة الشباب اليهودي في بلاد الشام من خلال ظهور فئة جديدة من هؤلاء ابتعدت عن التقاليد اليهودية ، اذ ان اعداداً من هؤلاء الذين درسوا في المدارس النصرانية والمدارس اليهودية الحديثة ، لم تعرف شيئاً عن التعاليم اليهودية ، فكانوا منفصلين بالكامل عن عالم الفكر اليهودي<sup>(132)</sup> .

ان عدم الاستقرار الاقتصادي، ولاسيما لدى بعض الفئات في المجتمع اليهودي، كان من اهم العوامل التي ادت الى انهيار الاطر الطائفية القديمة ، والى التخلي عن اسلوب الحياة الديني التقليدي الذي كان يشكل حتى ذلك الحين عاملاً موحداً لابناء كل الطوائف اليهودية ، وكان من بين مظاهر التخلي عن التقاليد اليهودية ان اعداداً كبيرة من التجار والعمال اليهود كانت تعمل يوم السبت<sup>(133)</sup> .

اوامره بطرد اليهود من عملهم ، الا ان والي دمشق لم يستطع تنفيذ الامر لعدم استطاعة الاخرين ان يحلوا محلهم لعدم معرفتهم باللغة واسرار العمل<sup>(125)</sup> الامر الذي جعلهم في مركز اجتماعي يتناسب مع اهمية دورهم في الحياة العامة ، والذي دل على ذلك ان نفوذهم كان في تصاعد مستمر الى الحد الذي جعل الدولة العثمانية تتعامل مع اليهود المهاجرين الجدد على انهم جزء من المجتمع وان كان ذلك بموجب نظام الامتيازات الاجنبية<sup>(126)</sup> .

وبالرغم من اهمية الحرية في ممارسة النشاط الاقتصادي ، الا ان هذه الاهمية تتجلى بشكل اكثر وضوحاً عندما يحدث تغيير في بنية المجتمع ، وبقدر تعلق الامر باليهود ، فان هذه التطورات قادت الى ان تبرز فئة جديدة نافست فئة رجال الدين (الحاخامات) في قيادة المجتمع اليهودي في الدولة العثمانية ، وهي فئة العلمانيين الذين كانوا متنفذين في الشؤون السياسية والاقتصادية كالاطباء والتجار والسياسيين البارزين<sup>(127)</sup> اذ تفوق هؤلاء في القرن التاسع عشر من خلال تأديتهم دوراً كبيراً في المجتمع ، حتى ان المدارس المدنية تفوقت على المدارس الدينية التي كانت خاضعة للمؤسسات الدينية<sup>(128)</sup> .

كان اليهود اصحاب طموح غير محدود في المجالات كافة ، اذ كانوا في العهد العثماني ملزمين بارتداء زي معين رجالاً ونساءً ، لذا حاولوا استغلال التحولات الجديدة في اوضاعهم من خلال عدم تقييدهم بارتداء ملابس معينة الى ان تمكنوا من خلال وضع انفسهم تحت حماية القناصل الاجانب الذين استطاعوا بدورهم استصدار فرمان سلطاني تم بموجبه السماح لهم بارتداء الازياء الاوروبية<sup>(129)</sup> ، كما فعل الصراف اليهودي روفائيل الفارحي<sup>(130)</sup> .

ان اعمق اثر للامتيازات على الاوضاع الاجتماعية ، ظهور طبقة وسطى غنية ، نتيجة الاتصال المتنامي بين بلاد الشام واوروبا ، عندما تفاعلت عوامل التطور

### انعكاس الامتيازات الأجنبية على أوضاع اليهود الثقافية والتعليمية

كانت أوضاع اليهود الاجتماعية والقانونية بالدولة العثمانية طيلة المرحلة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر مستقرة ولم تطرأ عليها تغييرات تذكر ، وقد عاش اليهود طيلة هذه المدة بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية ، ومع المصالح العملية للحكام الذين لم يطبقوا دائماً تعاليم الشريعة الإسلامية على اليهود ، ولذلك فقد نعم اليهود من الناحية الاجتماعية طيلة هذه المدة بحرية التنقل من مدينة الى أخرى ، وباستقرار علاقاتهم مع المجتمع المحيط ، ومع هذا كانت هناك بعض الاستثناءات لهذه القاعدة فلم يسمح لليهود في بعض الأحيان بحق التنقل بين المدن ، وفيما يتعلق بأوضاعهم إبان القرن التاسع عشر ، فقد طرأت عليها تغييرات كثيرة للدرجة التي يصعب معها رسم صورة واضحة المعالم لأوضاعهم خلال هذه الحقبة ، ويمكن وجه الصعوبة في ان هذه المدة شهدت تغيرات سياسية بالغة الأهمية في تاريخ الدولة العثمانية (134) .

وفيما يتعلق بتعليم اليهود ، فلم يكن متيسراً لهم كون التعليم بنحو عام كان إسلامياً موقوفاً على المسلمين في الدولة العثمانية حتى سيطرة إبراهيم باشا على بلاد الشام ، الذي أعطى حرية أكثر للقناصل الأوروبيين للدخول الى بلاد الشام ، فكانوا غطاءاً للرساليات المختلفة من الدول الغربية الذين أخذوا يشيدون المدارس اليهودية خدمة لأغراضهم ، فدخل مدارسهم نصارى ومسلمين كذلك ، وتعلموا فيها لغات أجنبية ، وبالرغم من ان الهدف المعلن لهذه المدارس صهر أبناء مدينة دمشق في بوتقة واحدة ، الا انها اسهمت في ادخال المؤثرات الغربية الى بلاد الشام من اجل اعداد اجيال تخدم مصالح الدول التي تقيم تلك المدارس (135) .

وقد تكلفت جهود هؤلاء ولاسيما في المدة قبل صدور قانون التعليم في العام 1869م وكذلك بعده (136) . فقامت البعثات التنصيرية بنشاط بناء المدارس العديدة

التابعة لمعظم الاقليات ومنها اليهود ، ففي دمشق شيدت مدرسة للبنات عام 1840م والتي احتضنت أربعين طالبة ، ومدرسة الالانيس الفرنسية 1865م ، ومدرسة للبنين عام 1880م وللبنات عام 1883م ، ومدرسة أخرى في دمشق عام 1910م ، اذ التحق بها المئات من التلاميذ اليهود ، وقد وصلت نسبة الطلاب اليهود الدارسين في سوريا في بداية القرن العشرين الى 21% من مجموع الطلاب السوريين (137) ، اما لبنان فقد اصبح عدد المدارس اليهودية فيها ما بين الاعوام 1860-1869 ثلاث مدارس للبنين (138) .

تكمّن أهمية هذه المدارس ليس في اعدادها ، بل من حيث قدرتها على تخريج طلبة مؤهلين لتولي المناصب الحكومية المختلفة ، ويظهر ذلك جلياً من خلال اعداد غير المسلمين في وزارة الخارجية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اذ كان هناك اعداداً من اليهود وان وجود عدد اكبر من غير المسلمين في وزارة الخارجية دون غيرها من الوزارات والمؤسسات الأخرى ، يعود الى ان ثقافة غير المسلمين كانت اعلى من ثقافة المسلمين ولاسيما ان هذه الوزارة تحتاج الى معرفة باللغات الأوروبية التي كان يجيدها هؤلاء ، ويعود اثر ذلك الى ان الامتيازات الأجنبية وفرت لهؤلاء فرص التعليم من خلال انشاء المدارس الغربية لغير المسلمين حصراً ولاسيما النصارى ، حيث يظهر تخلف المجتمعات اليهودية عندما نقارنها بالمجتمعات النصرانية (139) ، الا ان ذلك لا يعني عدم وجود امكانية علمية عند اليهود انذاك ودليل ذلك وجود مجموعة من الاطباء اليهود الذين وردت اسمائهم في سجلات محاكم دمشق في أثناء القرن التاسع عشر ومنهم الطبيب يوسف اليهودي والطبيب سعد بن يوسف والمعلم هدايا الطبيب والمعلم عبد الحكيم (140) .

ان عدم وجود احتكاك بين المسلمين واليهود في بلاد الشام مثلما هو الحال مع النصارى فضلاً عن معاملة الدولة لليهود معاملة افضل ، يعود الى كونهم لا يرتبطون بروابط دينية مع الدول الاوربية المعادية للدولة العثمانية<sup>(146)</sup> .

ان دخول اليهود في الحماية الاجنبية في الدولة العثمانية ، كان لها اثر كبيراً على نفوذ اليهود السياسي ، الى الحد الذي جعل البعض لايجوز الكلام عن الحماية الدينية الا في اطار الامتيازات الناتجة عن المعاهدات مع الدولة العثمانية<sup>(147)</sup> .

ان النفوذ الكبير لليهود تجلى من خلال بعض الحوادث التاريخية ، ففي عام 1840م قام احد اليهود بقتل توما النصراني ، فما كان من السلطة المصرية في دمشق الا ان قبضت على الجاني وارادت تنفيذ حكم الاعدام به ، الا ان نفوذ اليهود لدى بريطانيا جعلت من الاخيرة تتدخل لدى محمد علي باشا الذي قام باطلاق سراحه<sup>(148)</sup> ، فضلاً عن كون الجاني نمساوي الجنسية وموظفاً في قنصلية النمسا بدمشق واستفاد من وقوعه تحت هذه الحماية بموجب الامتيازات<sup>(149)</sup> الامر الذي يؤكد مدى النفوذ الذي بلغه هؤلاء .

ان التحول الكبير لوضع اليهود وقدرتهم في الضغط على الدولة العثمانية وفي مسائل سياسية مهمة ، ماكان ليحدث لولا مساندة الدول الاوربية لهم بموجب الامتيازات الاجنبية ، وكان للامتناع السياسية في الدولة العثمانية اثر كبيراً في ذلك ، وبقدر تعلق الامر ببلاد الشام ، فان الحرية التي حصل عليها غير المسلمين ومنهم اليهود في سنوات السيطرة المصرية<sup>(150)</sup> جعلت هؤلاء اكثر جرأة من السابق مستفيدين من نظام الامتيازات ، فطلبت الحماية من القنصليات الاوربية هناك ، ولاسيما الروسية منها ، ففي عام 1841م وبعد الحاح المفوضية الروسية في الاستانة ، صدرت (فرمانات) عثمانية لحماية غير المسلمين ، والدفاع عنهم مع تأكيد جديد لتلك الامتيازات التي حصلوا عليها ابان الحكم المصري ، مما جعل القناصل الاوربيين يتمسكون بالمعنى المباشر (للفرمانات) ويقفون بحزم اكثر ضد سلطة الباب العالي ، فانعكس ذلك على اوضاع غير المسلمين بشكل عام في بلاد الشام<sup>(151)</sup> .

لم يقتصر نشاط اليهود الثقافي على المدارس بل تعداه الى انشاء المطابع التي اسسوا عدداً منها لطبع التقارير والكتب والمجلات والنشرات العبرية ، فضلاً عن تاسيس صحيفة حياصيليت في القدس عام 1870م<sup>(141)</sup> .

ان هذه المدارس التي كان لها اهمية من الناحيتين العلمية والثقافية لدى اليهود ، كانت لها ايضا اثار اجتماعية من خلال دفع المجتمع اليهودي نحو التغريب والالتصاق اكثر بأوروبا<sup>(142)</sup> .

### انعكاس الامتيازات على اوضاع اليهود من الناحية السياسية.

اخذت العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين يشوبها التوجس والحذر والسوء ، وان كان ذلك مع النصارى اكثر من اليهود ولاسيما في القرن التاسع عشر ، ويرجع ذلك الى النفوذ الاوربي الواضح في الدولة العثمانية بحيث تدخلت في الشؤون الداخلية لها ، وبالرغم من سياسة الدولة العثمانية التي اصبحت اكثر استجابة لمطالب غير المسلمين ، كما كان يسود في السابق الا ان هؤلاء لم يكن يسمح لهم بشغل المناصب العسكرية والسياسية<sup>(143)</sup> .

وقد ترافق ذلك مع التنافس على المصالح بين الدول الغربية ، فانعكس على الاقليات المختلفة من خلال محاولة كل دولة استقطاب اقلية معينة في الدولة العثمانية ، من اجل توظيف الخلافات بين المسلمين وغير المسلمين لتحقيق اهداف هذه الدول من خلال التدخل المباشر<sup>(144)</sup> .

وبالرغم من كون الخلاف لم يكن عميقاً بين المسلمين واليهود ، مثلما هو بين المسلمين والنصارى من خلال احداث الاقتتال بينهما في جبل لبنان عام 1841م وعام 1845م وعام 1860م وفي دمشق عام 1860م<sup>(145)</sup> .

## الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلنا الى النتائج الاتية:

- 1- ان نظام الملة وبالرغم من انه حاول تنظيم حياة اهل الذمة ودورهم في المجتمع الا انه ساهم في ترسيخ الفوارق بين المسلمين واهل الذمة ، فتم استغلال ذلك من قبل الدول الأوروبية فحولت نظام الملة الى نظام الحماية الأجنبية لهؤلاء .
- 2- ان السياسة التي اتبعتها الدول الأوروبية من خلال الشركات العاملة في الدولة العثمانية في اختيار موظفيها ، يعكس الاختراق الأوربي الغربي للمجتمع العثماني على جميع الاصعدة ، مما ادى الى تحولات جذرية في بنية هذا المجتمع.
- 3- ادى نظام الامتيازات الأجنبية فيما ادى اليه من نتائج على الصعيد الاقتصادي ، تم بموجبه ربط الاقتصاد العثماني بال رأسمال الأوربي ، وأحكام قبضته عليه من خلال الشركات الاستثمارية ، اذ لم يكن بإمكان العثمانيين النهوض الاقتصادي ، من دون المصانع والقوة البشرية ذات التدريب والخبرة العالين ، فضلاً عن الانظمة التجارية الاوربية ، فكان اثره ايجابياً على غير المسلمين ومنهم اليهود .
- 4- اما على الصعيد الثقافي والتعليمي ، فلم يكن هذا الأمر واضحاً على اليهود مثلما كان النشاط الاقتصادي ، ويعود ذلك الى ان الدولة العثمانية لم تهتم بالتعليم والثقافة كما ان التعليم في الفترة المبكرة كان مقتصرأ على النصارى في الوزارات العثمانية بسبب البعثات التنصيرية ، ولم يكن هذا الامر حاضراً عند اليهود ، ولم يظهر النشاط التعليمي والثقافي الا في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر ، ولكن آثاره لم تكن واضحة على المجتمع ، لان الناحية الثقافية تحتاج الى فترة زمنية طويلة حتى يظهر تأثيرها بنحو واضح على المجتمع .

ان الاضطراب الحاصل في قرارات الدولة العثمانية بسبب ضعفها ، استغلته الدول الاوربية ، من خلال تمرير مصالحها في الدولة ، فكان غير المسلمين من الادوات التي استخدمتها الدول الاوربية ، ومن الامثلة التي انعكست بنحو ايجابي على اوضاع اليهود والتي تؤكد مذهبنا اليه ، ان الدولة اصدرت قرارات لمنع اقامة اليهود والوافدين ولاسيما في القدس منذ عام 1882م حتى عام 1896م ، اذ تم ابطالها بعد اعتراض اليهود عليها وضغطهم على الحكومة العثمانية من خلال الدول الاوربية التي عدت المنع مخالف لبنود الامتيازات الاجنبية ، التي اعطت الحرية لرعايا هذه الدول في حرية التنقل والاقامة في ولايات الدولة العثمانية ، فما كان من الاخيرة الا ان اجرت تعديلات وتوضيحات قادت الى اضعاف القوة المطلقة للمنع<sup>(152)</sup>.

## الهوامش:

- (1) سورة العنكبوت ، الآية(46) .
- (2) الذمة في اللغة العهد والامان والضمان ، واهل الذمة هم المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يقيمون في بلاد المسلمين ، واطلق عليهم ذلك كونهم دفعوا الجزية واصبحوا في ذمة المسلمين ، وبذلك امنوا على ارواحهم واعراضهم واديانهم .توفيق سلطان البيوزكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق(12-247هـ) ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب (جامعة عين شمس ، 1972م) ص
- (3) ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، رقم الحديث (2995)، ط3، ج3، (بيروت، 1987). ص1155.
- (4) للتفاصيل عن هذه الطقوس والاعياد انظر: يوسف جميل نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ، ط2، ج2(دمشق ، 1994) ص ص 681-684.
- (5) نايف عبد نايف نجم الجبوري ، موقف نصارى بلاد الشام من الاصلاحات في الدولة العثمانية (1839-1914م) ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب (الموصل ، 2007م) ص3.
- (6) هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية واثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة اليهود الدونمة 1648م الى نهاية القرن العشرين ، ط1، ج1(دمشق ، 2002م) ص161.
- (7) وهو النظام الذي نظمت بموجبه الدولة العثمانية شؤون غير المسلمين ، وذلك في عهد السلطان محمد الثاني ، الذي يقضي بان ينتخب الرؤساء الدينيين من قبل افراد الملة على ان يقترن تعيينهم بصدر براءة سلطانية ومنح رؤساء الطوائف

5- اما من الناحية السياسية ، فان نظام الامتيازات الأجنبية أعطى فرصة لهجرة أعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك بموجب نظام الحماية الاجنبية ، الى الدرجة التي أصبحوا بموجبها أكثر من السكان الاصليين في بعض المناطق ، مما يدعونا الى القول بان نظام الامتيازات الأجنبية كان احد العوامل التي ادت فيما بعد الى قيام الدولة اليهودية في فلسطين.

(12) احمد نوري النعيمي ، الدور السياسي ليهود الدونمة في تركيا ، ط1(ليبيا ، 2001م) ص ص12-13.

(13) Mark .A Epstein ((The leader ship of the ottoman jews in the fifteenth and sixteenth centuries))in. Benjamin Brande and Bernard Lewis, Christians and jews in ottoman Empire, vol 19 (New York, 1982) p.104.

(14) ت.و.ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، ط3(القاهرة ، 1947) ص138.

(15) Robert mantran ((Foreign merchants and the Minorities in Istanbul during the sixteenth and seventeenth centuries)) in Benjamin Braude and Bernard Lewis, Christians and jews in the ottoman Empire, vol,1 (New York, 1982) p.129.

(16) علي ابراهيم عبدة وخيرية قاسمية ، يهود البلاد العربية(بيروت ، 1971) ص19.

(17) للتفاصيل عن السيطرة العثمانية على بلاد الشام انظر: جاسم محمد حسن العدول ، الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الاول 1512-1520م ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية(جامعة الموصل ، 2004م) ص ص 166-224.

(18) هدى علي بلال الحميد ، متصرفية القدس في العهد العثماني 1874-1917م ، دراسة في اوضاعها السياسية والادارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب(جامعة الموصل ، 2005م) ص29.

(19) برنارد لويس ، استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية ، ترجمة سيد رضوان علي (بنغازي ، 1973) ص 107.

حق رعاياهم في الشؤون العامة والشخصية ، ومما هو جدير بالذكر ان هذا التنظيم شمل اليهود في الدولة العثمانية . عبد العزيز محمد عوض ، الادارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914 ، (القاهرة ، 1969) ، ص 308.

(8) ليلي الصباغ ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني (دمشق ، 1973م) ص129.

(9) وهو كبير الحاخامات واعلى سلطة موجودة عند اليهود ، استخدمه السلطان محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية وأعطى صلاحيات كبيرة على الطائفة اليهودية ، اصبح مسؤولاً امام الدولة عنها ، واصبح ذوي صلاحيات اوسع من البطريرك كونه كان يتقدم عليه في الاحتفالات الرسمية في الدولة العثمانية . كمال السعيد حبيب ، الاقليات والسياسة في الاسلامية من بداية العهد النبوي وحتى نهاية الدولة العثمانية 622-1908م (القاهرة ، 2002م) ص328.

ويشكك البعض في كون الحاخام باشي الموجود في استانبول كان يجمع اليهود في كافة اراضي الدولة العثمانية تحت ادارته ، حيث ضعفت هذه الادارة واقتصرت حكمه على استانبول واطرافها . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، اشراف وتقدير، اكمل الدين احسان اوغلي ، ترجمة صالح سعداوي ، ج1(استانبول ، 1999م) ص502.

(10) البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م ، ترجمة كريم عزقول (بيروت ، 1968م) ص46.

(11) ضياء محمد جميل عباس علي ، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح 1451-1481م ، دراسة في التاريخ السياسي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب (الموصل ، 2002م) ص ص 223-224.



- (20) خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918م ، (بيروت ، 1973) ص11.
- (21) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية (القاهرة ، 1976م) ص73.
- (22) خليل اينالجبك، (تحرير)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة، قاسم عبدة قاسم، ط1، ج1، (بيروت، 2007)، ص321.
- (23) قاسمية ، المصدر السابق ، ص11.
- (24) هي المعاهدات المتضمنة لمبادئ القانونية لاقامة المستأمنين من رعايا الدول الأجنبية في الدولة العثمانية ، وممارسة نشاطهم التجاري المشروع فيها ، وتقرير حق رعايا الدولة العثمانية المقيمين في أراضي تلك الدول من خلال سريان هذه المبادئ عليهم . عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج2(القاهرة ، لا.ت) ص40.
- (25) مسعود ضاهر ، الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية 1697-1861م (بيروت ، 1981) ص ص 329-330 .
- (26) ماري سركو السكيف ، الامتيازات الأجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سوريا (بلاد الشام) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، (دمشق ، 2010) ، ص 58؛ وينفي احد المؤرخين ان تكون اتفاقية 1535م الاساس الذي استندت اليه الدول الاخرى في معاهداتها ، وليست نظاماً جديداً يحدد اوضاع الاجانب في الدولة العثمانية ، ويبرهن على ذلك ان الكثير من بنودها وردت في اتفاقية عام 1521م مع البندقية، بالاضافة الى تشابه العديد من بنودها مع اتفاقية 1528م مع الفرنسيين انفسهم والكتالانيين ، لذا عدت اتفاقية تجارية عادية ، واطع من وثيقة 1528م . ليلي الصباغ ،

- الجاليات الاوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ط1، ج1(بيروت ، 1989) ص209، 211.
- (27) زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، ط3(بيروت ، 1979) ص33.
- (28) ضاهر ، المصدر السابق ، ص331.
- (29) محمد السماك ، موقع الاسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد ، ط1(بيروت ، 1995م) ص ص 205-206 .
- (30) كانت الاوضاع في اوربا في بداية القرن السادس عشر عدائية ، حيث شهدت حروب طاحنة سميت بالحروب الايطالية ، كانت فرنسا احد اقطاب هذه الحرب ، ولما كانت علاقة الدولة العثمانية عدائية مع اوربا بشكل عام ، فانها ارادت استمالة فرنسا الى جانبها ، حيث يعتقد ان معاهدة 1535م كانت احدى حلقات السياسة العثمانية لتفتيت قوة اوربا ضدها ، لذا فسرت المعاهدة بانها ذات دوافع سياسية . وللتفصيل عن الاوضاع السياسية في اوربا في تلك الفترة انظر : عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار ، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا (بيروت ، 1974م) ص ص 67-84.
- (31) الصباغ ، الجاليات...، ج1، ص 198.
- (32) اميل خوري وعادل اسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي 1789-1958م ، ج1(بيروت ، 1961م) ص 19.
- (33) الصباغ ، الجاليات...، ج1، ص 98.
- (34) ضاهر ، الجذور...، ص ص 331-332.
- (35) السكيف ، المصدر السابق ، ص 61.

- (36) وليد العريض، ((الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية وآثارها)) مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، مجلد(24) ، العدد(1) ، 1997م ، ص 150.
- (37) احسان اوغلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 226.
- (38) الصباغ ، الجاليات...، ج1، ص 175.
- (39) ز.ي هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني (بيروت ، 1973م) ص 61.
- (40) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، صورة وثيقة بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة ، رقم البحث 3876، دفتر نامه همايون 11، ص 104-105، 14ذي القعدة 1245هـ ، وثيقة مصورة برسم التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص ص 2104-2105.
- (41) للتفاصيل انظر: العريض ، المصدر السابق ، ص ص 150-151.
- (42) الشناوي ، المصدر السابق ، ج2، ص 31 وما بعدها .
- (43) زين ، المصدر السابق ، ص 33.
- (44) درويش ، المصدر السابق ، ج1، ص 178.
- (45) الصباغ ، الجاليات ...، ج1، ص 196.
- (46) رفيق شاكر الننتشة ، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين ، ط1، (عمان ، 1984) ص 27.
- (47) خوري واسماعيل ، المصدر السابق ، ج1، ص 19.
- (48) احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني (بيروت ، 1982) ص 133.
- (49) درويش ، المصدر السابق ، ج1، ص 177.
- (50) السكيف ، المصدر السابق ، ص 160.

- (51) روبير مانتران (اشراف) تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط1، ج2(القاهرة ، 1993م) ص 114.
- (52) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، رقم البحث 27، دفتر مهمة 261، ص ص 118-119، اوائل رمضان 1278هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 31.
- (53) السكيف ، المصدر السابق ، ص 164.
- (54) مانتران ، المصدر السابق ، ج2، ص 114.
- (55) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث 140، دفتر مهمة ص 162، اوائل ربيع الآخر 1263هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 79 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى عدد من الولاة العثمانيين ، رقم البحث 613، دفتر مهمة 186، ص ص 190-191، اوائل ذي القعدة 1206هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص ص 259-260.
- (56) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث 173، دفتر مهمة 254، ص ص 66-68، اوائل جمادي الآخرة 1256هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 93 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث 178، دفتر مهمة 254، ص ص 99-101، واسط شوال 1256هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 95 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين ، رقم البحث

- 179، دفتر مهمة 254، ص 105-107، واسط محرم 1257هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً(العراق) ص 95.
- (57) السكيف ، المصدر السابق ، ص 164.
- (58) عبد الكريم غرابية ، سورية في القرن التاسع عشر 1840-1876م (القاهرة ، 1961م) ص 32.
- (59) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 282.
- (60) اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني . حياته واحداث عصره ، ط1(الرمادي ، 1987) ص 205.
- (61) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 283.
- (62) مانتران ، المصدر السابق ، ج2، ص 181.
- (63) السكيف ، المصدر السابق ، ص 164.
- (64) هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص 64.
- (65) من الصعوبة تحديد تعريف محدد لـ (سورية الطبيعية) من حيث ان هذا التعبير يحمل مضامين جغرافية وادارية تتباين في المراحل التاريخية المختلفة ، فمن زاوية التقسيم الاداري العثماني ، فان سورية لم تشكل وحدة ادارية واحدة ، فضلاً عن خضوع جزء من اراضيها فيما بعد لتركيا ، لذا فثمة استخدامات شتى لتعبير (سورية) وفق اعتبارات تتعلق بمصالح الدول الغربية من جهة واتجاهات القوى السياسية المحلية من جهة اخرى ، فالمصطلح انذاك عني صيغاً جغرافية وسياسية ، لذا فمن المناسب استخدام مصطلح ((بلاد الشام)) تجنباً للاشكالات التي قد يثيرها الاختلاف في استخدام تعبير ((سورية)) لذا فان هذا المصطلح يشير الآن الى الدول الاربع(سورية ، لبنان ، فلسطين ، الاردن)

- . وجيه كوثراني ، بلاد الشام ، السكان . الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، قراءة في الوثائق ، ط1(بيروت ، 1980) ص ص 17-21.
- (66) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث (دمشق ، 1985م) ص 115.
- (67) الجبوري ، المصدر السابق ، ص 33.
- (68) وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي . من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ط1(بيروت ، 1988) ص 70.
- (69) وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860-1920م (بيروت ، 1976م) ص 39، 44.
- (70) حبيب ، المصدر السابق ، ص 370.
- (71) كوثراني ، السلطة والمجتمع ...، ص 71.
- (72) محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م (القاهرة ، 1985م) ص 216.
- (73) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين في الولايات ، رقم البحث 513، دفتر مهمة 224، ص 42-43، اوائل جمادي الأولى 1221هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص 216 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين في الولايات، رقم البحث 515، دفتر مهمة 224، ص 71-72، اواخر جمادي الاولى 1221هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً (العراق) ص ص 216-217 ؛ ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، الحكم موجه الى الولاة العثمانيين في الولايات ، رقم البحث 517، دفتر مهمة 224،

- ص180-181، واسط رجب 1221هـ ، وثيقة مصورة بمركز التوثيق الاعلامي بوزارة الثقافة سابقاً(العراق) ص217.
- (74) قاسمية ، المصدر السابق ، ص11.
- (75) Charles Issawi, ((The transformation of the Economic position of the millets in the Nineteenth century)) in Benjamin Brude and Bernard Lewis, Christians and jewis in the Ottoman Empire, vol1(New York,1982)p.273.
- (76) السكيف ، المصدر السابق ، ص 283.
- (77) المصدر نفسه ، ص 78.
- (78) سمير عبدة ، اليهود السوريون ، ط2(دمشق ، 2004م) ص66.
- (79) Mantran, op.cit, p.130,134.
- (80) Issawi, op.cit, p.263.
- (81) Mantran, op.cit, p.131.
- (82) هاملتون جب وهارولد بون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، ج2(القاهرة ، 1971م) ص ص159-160.
- (83) عبدة ، المصدر السابق ، ص66.
- (84) عارف العبد ، لبنان والطائف تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل (بيروت ، 2000م) ص47.
- (85) Mantran, op.cit, p . 132.
- (86) Issawi, op.cit, p.269.
- (87) Roderic H. Davison ((The millets as agents of change in the Nineteenth century Ottoman Empire)) in Benjamin Brude and Bernard Lewis, Christians and jewis in the Ottoman Empire, vol1(New York,1982)p.326.
- (88) السكيف ، المصدر السابق ، ص 190.
- (89) غرابية ، المصدر السابق ، ص ص 81-82.

- (90) للتفاصيل عن السيطرة المصرية على بلاد الشام انظر: مجموعة باحثين، ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا، (القاهرة، 1990م)
- (91) عبدة ، المصدر السابق ، ص53.
- (92) للتفاصيل عن التنظيمات العثمانية انظر: عبد العزيز محمد عوض ، الادارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م (القاهرة ، 1969م) ص ص11-60.
- (93) للتفاصيل عن اوضاع الدولة العثمانية السياسية خلال هذه الفترة انظر: محسن حمزة حسن حسين ، الازمة البلقانية 1875-1878م . دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الاوربية ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2001م، ص؟
- (94) مالكولم ياب ، نشوء الشرق الادنى الحديث 1792-1923م ، ترجمة خالد الجبيلي ، ط1(دمشق ، 1998م) ص 132
- (95) توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908-1914م(القاهرة ، 1960م) ص ص6-7 .
- (96) عبدة ، المصدر السابق ، ص67.
- (97) محمود الشناق ، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين 1293-1333هـ/ 1876-1914م ، ط1، الكتاب الاول(فلسطين ، 2005م) ص111.
- (98) (Moshe Maoze, Ottoman Reforms in Syria and Palestine 1840-1867(Oxford,1968)p.257.
- (99) عبدة ، المصدر السابق ، ص66.
- (100) غرابية ، المصدر السابق ، ص129.
- (101) السكيف ، المصدر السابق ، ص ص 94-95، ص ص 289-291.

- (102) صموئيل انتجر (تحرير)، اليهود في البلدان الاسلامية، 1850-1950، ترجمة، جمال احمد الرفاعي (الكويت، 1995م) ص190.
- (103) المصدر نفسه ، ص 191.
- (104) غرابية ، المصدر السابق ، ص ص93-94.
- (105) الشناق ، المصدر السابق ، ج1، ص111.
- (106) عبدالله ابو رضوان ((التسلل اليهودي والصهيوني الى القدس من بدايةالفتح العربي حتى قيام اسرائيل )) في ندوات القدس((5000)) عام من الحقوق العربية ، الندوة الثالثة ، جامعة اليرموك (اريد ، 1997م) ص11.
- (107) شارل عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800-1914 ترجمة رؤوف عباس حامد ، ط1 ، (بيروت ، 1990)، ص417.
- (108) عبد العزيز محمد عوض ، ((فلسطين في اواخر العهد العثماني .ملامح اجتماعية واقتصادية)) مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، 1975-1976م ، ص33.
- (109) للتفاصيل عن الجاليات الاوربية ، انظر: الصباغ ، الجاليات ....، ج2
- (110) حوراني ، المصدر السابق ، ص79.
- (111) عبدة ، المصدر السابق ، ص68.
- (112) انتجر ، المصدر السابق ، ص 191.
- (113) المصدر نفسه ، ص69.
- (114) حبيب غانم ، القدس تاريخياً وقضية ، ط1(بيروت ، 2002م) ص39.
- (115) انتجر ، المصدر السابق ، ص ص 171-173.
- (116) المصدر نفسه ، ص ص 174-175.
- (117) السكيف ، المصدر السابق ، ص 247.

- (118) ضاهر ، المصدر السابق ، ص339.
- (119) عبد الكريم غرابية ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ، ج1(دمشق ، 1960م) ص65.
- (120) انتجر ، المصدر السابق ، ص ص 208-209.
- (121) فاروق حلبص ((العلاقة بين النصارى واليهود والمسلمين في طرابلس في القرنين 17-18م)) في مجموعة باحثين ، الاقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516م (لبنان ، 2001م) ص415.
- (122) نعيصة ، المصدر السابق ، ج1، ص346.
- (123) دونالد كواثرث ، الدولة العثمانية 1700-1922م ، تعريب انجي الارمنازي ، ط1(الرياض ، 2004م) ص316.
- (124) نعيصة ، المصدر السابق ، ج2، ص706.
- (125) المصدر نفسه، ج1، ص349.
- (126) الشناق ، المصدر السابق ، ج1، ص52.
- (127) Mark .A Epstein ((The leader ship of the ottoman jews in the fifteenth and sixteenth centuries))in. Benjamin Brande and Bernard Lewis, Christians and jews in ottoman Empire, vol1(New York, 1982)p.101
- (128) Kemal H. Karpat ((Millet and Nationality : the roots of the incongruity of nation and state in the post ottoman Era)) in Benjamin Braude and Bernard Lewis Christians and jews in ottoman Empire, vol1(New York, 1982)p.157.
- (129) سهام محمد هنداوي ، تاريخ دمشق في عهد السلطان العثماني عبد الحميد ، ط1(دمشق ، 2009م) ص ص 156-157.
- (130) نعيصة ، المصدر السابق ، ج2، ص631.

- (131) احمد طربين ، ملامح التغيير الاجتماعي في بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، ط1 (بيروت ، 1983م) ص 13.
- (132) عبدة ، المصدر السابق ، ص 72.
- (133) انتجر ، المصدر السابق ، ص ص 182-183.
- (134) المصدر نفسه ، ص 193.
- (135) يوسف نعيسه ، يهود دمشق ، ط 2 ، (دمشق ، 1994) ، ص 33.
- (136) المصدر نفسه ، ص 193.
- (137) هندايي ، المصدر السابق ، ص ص 158-159.
- (138) عيساوي ، المصدر السابق ، ص 108.
- (139) Carter v. Findly ((The Acid test of Ottomanism : The Acceptance of Non-Muslims in the late Ottoman Bureaucracy)) in Benjamin Braude and Bernard Lewis Christians and jews in ottoman Empire, vol1 (New York, 1982) pp.343-348.
- (140) نعيسه ، المصدر السابق ، ص 35.
- (141) غرابية ، سورية في ... ، ص 180، 245.
- (142) مهنا يوسف حداد ، الرؤية العربية لليهودية ، ط1 (الكويت ، 1989) ص 82.
- (143) كواترت ، المصدر السابق ، الصفحات 306-307 ، 310 ، 314.
- (144) السماك ، المصدر السابق ، ص 208.
- (145) للتفاصيل عن هذه الاحداث انظر: محمد كرد علي ، خطط الشام، ط 2، ج 3 (بيروت، 1970)، ص ص 73-93.
- (146) نعيسه ، المصدر السابق ، ج 1، ص 349.

- (147) انطوان حكيم ((الحماية الفرنسية للاقليات غير المسلمة في السلطنة العثمانية)) في مجموعة باحثين ، الاقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516م ، ط 1 (لبنان ، 2001م) ص 33.
- (148) نعيسه ، المصدر السابق ، ج 1، ص 349.
- (149) السكيف ، المصدر السابق ، ص 123.
- (150) للتفاصيل عن اوضاع غير المسلمين ابان السيطرة المصرية انظر : خالد بن هاني ، تاريخ دمشق وعلماءها خلال الحكم المصري 1831-1840م (دمشق ، 2007م) ص ص 116-120.
- (151) عبدة ، المصدر السابق ، ص ص 61-62.
- (152) الشناق ، المصدر السابق ، ج 1، ص 119.

## ABSTRACT

This paper deals with the effects of foreign privilege on the Jews ' conditions in Syria in the 19 th century . within the Ottoman Empire , the Jews' conditions are discussed here especially the way in which they were treated and the treaties .that the Ottoman Empire held with European states. These treaties in clouded description of the non\_ Muslim Ottoman subjects' rights and the reflections of these privileges on the Jews' conditions economically , culturally , socially and politically .This was manifested through changes that inflicted their conditions in all the above respects whether negatively or positively .

## العلم والعلماء

### في سيرة الحاج بن يوسف الثقفي

م. سعدون عبد المنعم جميل الحديثي

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

اعتمد الخلفاء الامويون في إدارة دولتهم على ولاة أكفاء تميزوا بعقلية إدارية رائعة مكنتهم من ضبط الدولة والارتقاء بمؤسساتها المتعددة السياسية، والعسكرية، والثقافية، والخدمية، وكان من بينهم الوالي الحاج بن يوسف الثقفي الذي تولى العراق عشرين عاماً منذ سنة 75هـ وحتى وفاته سنة 95هـ، ولكن توخيت هنا ان اعالج الجانب العلمي في حياة هذا الوالي بعيداً عن السياسة والادارة، وقد تبين ان للحاج بن يوسف الثقفي نصيب وافر من العلم، وكان يُجلُّ العلماء ويحفظ لهم مكانتهم، كما وينقاد لقول الحق وكلمة الصدق، فضلاً عن انه قدّم خدمة جليلة للمسلمين وهي تنقيط المصحف نقاط اعجاب لتميز الحروف المتشابهة في القرآن مما سهل على الناس قراءة المصحف بالشكل الصحيح وتوحيد الامة على قراءة موحدة.

## المطلب الأول

### سيرته

هو الحاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن سعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف<sup>(1)</sup>، واليه تنسب القبيلة<sup>(2)</sup>. لم يكن الحاج بن يوسف من أسرة غير معروفة أو ذات شأن قليل، ففي عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان جدّه معتب بن مالك بن كعب صحابي اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام وبعثه الى قومه داعية للإسلام<sup>(3)</sup>، وأبوه كان رجلاً فاضلاً<sup>(4)</sup>، وكان من أشرف القرينين (مكة والطائف) ذو شأن في أهلهم<sup>(5)</sup>، وقد امتحن تعليم الغلمان في مدينته الطائف<sup>(6)</sup>، أما بالنسبة للحجاج فكان مولده "في سنة تسع وثلاثين، وقيل: في سنة أربعين، وقيل: في سنة إحدى وأربعين، ثم نشأ شاباً ليبياً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن"<sup>(7)</sup>، "... وكان ذا شجاعة وإقدام ومكرٍ ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن"<sup>(8)</sup>، بل كان يتصف بشهامة عظيمة<sup>(9)</sup>، وقد اشتهر الحاج بفصاحته وحسن بيانه حتى شهد له بذلك علماء اللغة في عصره، يقول أبو عمرو بن العلاء<sup>(\*)</sup>: "ما رأيت أفصح من الحاج ومن الحسن<sup>(\*)</sup>"، وكان الحسن أفصح منه<sup>(10)</sup>، وقال مالك بن دينار<sup>(\*\*)</sup>: "... سمعت الحاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوق في نفسي انهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجج"<sup>(11)</sup>، وذكر ابن كثير<sup>(12)</sup> أن "عقول الناس قريباً بعضها من البعض، إلا الحاج وإياس بن معاوية<sup>(\*\*\*)</sup>"، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس".

يتبين من ذلك أن الحاج بن يوسف الثقفي اتم بصفت علمية رصينة كالفصاحة وحسن البيان وسعة الافق وسمو العقل، فضلاً عن ذكاء خارق تراكت فيه التجارب بعضها وراء بعض، فأنتجت فكراً وذهناً يتفقت عنه حلول وأنظمة

## مقدمة

الحمد لله الذي به تتم النعم والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.  
أما بعد:

لقد اعتمد الخلفاء الامويون في ادارة دولتهم على ولاة أكفاء تميزوا بعقلية ادارية رائعة مكنتهم من ضبط الدولة والارتقاء بمؤسساتها المتعددة السياسية، والعسكرية، والثقافية، والخدمية، وكان من بينهم الحاج بن يوسف الثقفي الذي تولى العراق عشرين عاماً، منذ سنة 75هـ وحتى وفاته سنة 95هـ، ولم يختلف المؤرخون في ذكر شخصيته كما اختلفوا في ذكر سيرة الحاج بن يوسف ما بين مادح لها وقادح لما تميز به من عقلية ادارية نيرة وارادة صلبة في مواجهة الأزمات، ولكن توخيت في بحثي هذا ان أعالج الجانب العلمي في حياة هذا الوالي بعيداً عن الإدارة والسياسة، وقد تمحور بحثي في خمسة مطالب؛ تناول المطلب الأول سيرته، وتحدثت في المطلب الثاني عن منزلة العلماء عند الحاج، وبينت في المطلب الثالث صوراً عن اذعانه لكلمة الحق، بينما كرّس المطلب الرابع شغفه بالقرآن الكريم ودوره في تنقيطه، ثم ذكر وفاته في المطلب الخامس.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل . . .



وبالاتجاه نفسه يروي ابن كثير<sup>(18)</sup>: "...أن الحجاج أطل الخطبة، فجعل ابن عمر يقول: الصلاة الصلاة مراراً، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس، فصلى الحجاج بالناس فلما انصرف قال لابن عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنما نجيء للصلاة فصل الصلاة لوقتها"، وحتى العلماء الذين خرجوا عليه كان موقفه منهم يختلف عن موقفه من عامة الناس وكان يتمنى أن يعتذر له هؤلاء العلماء بالعدر المناسب فيتخلص من أمرهم ولا يقتص منهم، فعندما جيء له "... بسعيد بن جببر<sup>(\*)</sup>، قال: لعن الله ابن النصرانية - قال: يعني خالد القسري، وهو الذي أرسل به من مكة أما كنت أعرف مكانه! بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة، ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ما أخرجك علي<sup>(19)</sup>، فقال: أصلح الله الأمير إنما أنا مروء من المسلمين يُخطئ مرة ويُصيب مرة، فطابت نفس الحجاج، وتطلق وجهه، ورجا أن يتخلص من أمره، فعاوده في شيء، فقال له: إنما كانت له بيعة في عني، فغضب [الحجاج] ... فقال: يا سعيد ألم أقدم مكة... ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة، فأخذت بيعتك له ثانية؟ قال: بلى، قال: فتتكت بيعتين لأمير المؤمنين، وتقي بواحدة<sup>(20)</sup>.

ونستشف من هذه الرواية أن الحجاج قد جاهد مستبشراً بانتزاع العذر الذي يمكن معه أن يعفو عن سعيد بن جببر، ولكن الأخير قد أسمع الحجاج ما حال دون ذلك.

ولم يأتي احترام الحجاج بن يوسف للعلماء وحفظ مكانتهم من فراغ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليه بنصيب وافر من العلم حتى أن العلماء أنفسهم كانوا يسمعون كلام الحجاج بن يوسف ويتأثرون بموعظته، فقد روي عن "... الحسن البصري يقول: وقفتني كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول على هذه

عملية مبنية على تجارب<sup>(13)</sup>، أهله لإدارة ولايته الكبيرة، وامتدت عقدين من الزمن.

ومما يذكر في هذا المقام عن سيرة الوالي الحجاج بن يوسف هو تدينه، فقد كان للحجاج بن يوسف جانباً كبيراً من التمسك بالدين وتعاليمه الخالصة<sup>(14)</sup>، فيروى "... انه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطيخ بالفروج<sup>(15)</sup>، بل كان متشدداً بهذا الجانب يحذر الناس في قوله من التعرض للأعرض والأنساب أو التغرير بالنساء، أو دخول رجل بيت امرأة متوعدة من يفعل ذلك بالقتل، ووصفاً نفسه بالغيور<sup>(16)</sup>.

## الطلب الثاني

### منزلة العلماء عند الحجاج

حظي العلماء بإجلال وتقدير الحجاج حيث لم تمنعه مسؤولياته من حفظ حق العلم وأهله فكان يحترمهم ويقربهم ويستجيب لهم، فيروى في هذا الصدد: "... أن الحجاج بن يوسف صلى مرةً بجانب سعيد بن المسيب<sup>(\*)</sup> وذلك قبل أن يلي شيئاً فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه وكان له ذكرٌ بقوله بعد الصلاة فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه الصلاة! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك فلم يرد عليه، ثم مضى الحجاج الى الحج، ثم رجع فعاد الى الشام، ثم جاء نائباً على الحجاز، فلما قتل ابن الزبير كرّ راجعاً الى المدينة نائباً عليها، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب فقصد الحجاج فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه، فقال له: انت صاحب الكلمات، فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم، قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً، ما صليت بعدك صلاةً إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى<sup>(17)</sup>.

توضح هذه النصوص الجانب الآخر من شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي وهو العلم الذي أصابه، حتى شهد له بذلك كبار علماء عصره، ولم يستطع الطاعنون بشخصه أن يحجبوا هذه الميزة لديه، وذلك لأن الحجاج كان إذا تكلم أخذ يلب العقول بياناً وفصاحة وبالقلوب والأنفس موعظةً وإرشاداً.

### الطلب الثالث

**اذعانه لكلمة الحق وسماعه لقول الصدق**

لم يكن الحاج بن يوسف الثقفي بضخامة ما اشتهر عنه من العنف والشدة والتسرع في سفك الدماء، وأنه لا يروي مكانة لعالم أو متحدث وان نطق بالحق وبكلمة الصدق، بل كان يسمع كلام الناس في أحلك الظروف حتى عندما يكون الذي يسمعه ممن خرج عليه وحمل السلاح بوجهه، فيذعن له لا سيما عندما يحتاج المتكلم بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية المطهرة، "... جاء رجل الى الحاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الأشعث، فضرب على اسمي في الديوان، ومنعت العطاء، وقد هدمت داري، فقال الحاج: أما سمعت قول الشاعر:

**جانبك من يحنى عليك وقد تُعدي الصّحاحَ مباركُ الجُرب**

وفضلاً عن ذلك كان الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي يسمع لمن يقول الصدق ويقدّر له صدق قوله فعندما "... انهزم اصحاب عبد الرحمن بالجماجم، نادى منادي الحجاج: من لحق بقتيبة بن مسلم [فهو آمن] وكان ولاء السري وسار إليه، فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبي، فذكره الحجاج يوماً فسأل عنه، فقال له يزيد بن أبي مسلم: إنه لحق بقتيبة بالري، فكتب الحجاج الى قتيبة بأمره بإرسال الشعبي فأرسله، قال الشعبي: فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن ابي مسلم وكان صديقاً لي فاستشرته، فقال: اعتذر مهما استطعت واثار بمثل ذلك اخواني ونصحايتي، فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا لي، فسلمت عليه بالإمرة وقلت: أيها المير إن الناس قد أمروني أن اعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، قد و الله مرّدتاً عليك وحرّضنا وجهنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فيذنوبنا وما جرت اليه ابيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا، فقال الحجاج: أنت والله احب اليّ قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دماننا، ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت... قال: انصرف يا شعبي، فانصرفت<sup>(28)</sup>،

وزيادة على ذلك فقد "أتي الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهما، فقال أحدهما: إن لي عندك يداً، قال: وما هي؟ قال: ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه، فقال: ومن يشهد بذلك؟ قال: صاحبي هذا فسأله، فقال: نعم، فقال: ما منعك أن تفعل كما فعل؟ قال: بغضك، قال: أطلقوا هذا لصدقه، وهذا لفعله، فأطلقوهما" (29).

يتضح لنا مما ورد أن الحجاج بن يوسف ليس يصغي لقول الصدق فحسب بل يجازي القائل بالحسن حتى إذا كان هذا القول في ذمه أو في غير ما يريده كما في مقولة هذا الأسير له.

#### المطلب الرابع

#### شغفه بالقرآن الكريم ودوره في تنقيطه

لا يخفى على الباحث الحبيب أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان من قلائد الرجال الذين من الله عليهم بعلم ومعرفة رصينة بالقرآن وكيفية قراءته، ومحبه والإحسان إلى أهله، وهو ما أوردته المصادر جلياً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، "... قال ابن عوف(\*) : كنت إذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت أنه طالما درس القرآن" (30)، و "... قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن في كل ليلة" (31)، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه ما حسد الحجاج بن يوسف على شيء مثلهما حسده "... على حبه القرآن واعطائه أهله، وقوله حين احتضر: اللهم اغفر لي، فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل" (32)، فضلاً عن أنه "... كان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن كثيراً" (33).

ونتيجة لذلك تميز الحجاج بن يوسف بهذه السمة السامية حيث وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة في فضل القرآن الكريم وتعلمه، وإخلاق أهله، وأجر من يقرأه بمهارة وتدبر (34).

وأما دور الحجاج بن يوسف في تنقيط المصحف فيذكر القرطبي (35) رحمه الله "... أن الحجاج تجرد لذلك وجد فيه"، وذلك بعد أن كثرت التصحيف وانتشر في العراق بعد مرور أكثر من أربعين سنة على الناس وهم يقرؤون بمصحف الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (36)، "... ففرع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات" (37)، فيقال إن "... أول من نقط المصحف نصر بن عاصم الليثي (\*) (38)، والمقصود "... أن نصر بن عاصم الليثي البصري هو الذي نقط المصحف نقط اعجام وأزال التشابه الحاصل بين الحروف" (39)، وذلك بعدما انبسط بهذه المهمة الرائدة بتكليف من والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، فميز العالم نصر بن عاصم بين الحروف المتشابهة كالسدال، والذال، والراء، والزاي (40)، وكذلك بين الباء، والتاء، والثاء، والخاء، والجيم، والحاء، وزيادة على ذلك كان للحجاج بن يوسف الثقفي دور ملحوظ في احتساب عدد حروف القرآن، فيروي "... أن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكتاب، فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ (41)، فحسبوا حروفه بحبات الشعير وقد استغرقت هذه المهمة أربعة أشهر (42).

لقد كان الحجاج بن يوسف متضلّعاً في قراءات القرآن عارفاً بأصولها حتى روي "... أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً" (43)، وقد وضع الدكتور غانم قدوري مضمون هذه الرواية بقوله: "وإذا نظرنا في نص الرواية نجد أنها تذكر لفظ (غير) أي بطل، ولا يشترط أن يكون التغيير من الصواب إلى الخطأ بل قد يكون من الخطأ إلى الصواب، ويكون الخطأ دافعاً للتغيير إلى الصواب، والخطأ المتوقع في هذه الحالة هو أن بعض المصاحف كتبت فيها حروف على نحو ما يوجد في قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) مما يخالف المصحف العثماني، ويكون الصواب هنا تغييرها إلى مثل ما هي عليه في مصاحف

## الخاتمة:

تبين من خلال دراستي ان للحجاج بن يوسف الثقفي نصيب وافر من العلم وكان يجل العلماء ويحفظ لهم مكانتهم، وينقاد لقول الحق ولكلمة الصدق، ولا يرغب في مواجهة العلماء الذين خرجوا على الدولة هرباً من معاقبتهم، كما ورد عند مجيئه بالعالم سعيد بن جبير .

وفضلاً عن ذلك قد تبين من خلال البحث ان الحجاج بن يوسف قدّم خدمة جليلة للمسلمين وهي تنقيط المصحف نقط اعجام لتميز الحروف المتشابهة في القرآن مما سهل على الناس قراءة المصحف بالشكل الصحيح وتوحيد الأمة على قراءة موحدة.

وأخى دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ...

الأمة<sup>(44)</sup>، ويرى الدكتور صبحي الصالح: انه بعد تغيير الحجاج اصبحت هذه المواضيع أوضح قراءة وايسر على الفهم<sup>(45)</sup>.

وزبدة القول ان الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي كان يهدف الى ايجاد قراءة ميسرة وموحدة للقرآن الكريم، فاهتم بتنقيطه واعجامة واحتساب حروفه ووضع اقسامه ليسهل على الناس قراءة القرآن الكريم بالشكل الصحيح، وهو بهذا قدّم خدمة جليلة عظيمة لا سبيل الى انكارها او التغاضي عنها ما عاقب الليل النهار .

## الطلب الخامس

### وفاته

"... كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فانهم يزعمون انك لا تفعل"<sup>(46)</sup>، "... لما حضرت الحجاج الوفاة انشأ يقول:

يا ربّ قد حلف الأعداء واجتهدوا      بأنني رجلٌ من ساكني النارِ  
أحلفون على عميةٍ ويحهم      ما علمهم بعظيم العفو غفار<sup>(47)</sup>

توفي الحجاج بن يوسف في شهر رمضان سنة خمس وتسعين للهجرة وكان عمره ثلاث وخمسون سنة وقيل أربع وخمسون سنة وهو الأصح<sup>(48)</sup>، ولم يترك الا ثلاثمائة درهم، ومصحفاً، وسيفاً، وسرجاً، ورحلاً، ومائة درع موقوفة<sup>(49)</sup>.

### قائمة الهوامش:

- (1) ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط4، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2007)، ص 267.
- (2) محمود، ابو عبد الرحمن جمال بن محمد: سيرة الحاج بن يوسف الثقفي ما له وما عليه، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2004)، ص13.
- (3) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص267.
- (4) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 2005)، 3 / 125.
- (5) محمود: سيرة الحاج بن يوسف، ص13.
- (6) ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل و مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية (بيروت: 1998)، 2 / 21، ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرون، دار البيان العربي، (مصر: 2006)، 5 / 241.
- (7) ابن كثير: المصدر نفسه، 5 / 242.
- (8) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، 5 / 294.
- (9) ابن كثير، البداية والنهاية، 5 / 242.

- (\*) واسمه زبّان بن العلاء بن عمار وكان من أهل الفضل ممن عني بالأدب والقراءة حتى صار إماماً يرجع إليه فيها ويقتدى باختياره منها توفي سنة ست وأربعين ومائة بالبصرة (ابن حبان، ابو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي: مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت: 1995)، ص183).
- (\*\*) هو ألحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار مولى زيد ابن ثابت الأنصاري من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم، مات سنة عشر ومائة (البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص113).
- (10) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شحيا، ط2، دار المعرفة (بيروت: 2007)، 4 / 233.
- (\*\*\*) من زهاد التابعين وعبادهم ممن يصبر على الفقر الشديد والورع الجهد، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة (البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص115).
- (11) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 2 / 30.
- (12) البداية والنهاية، 5 / 242.
- (\*\*\*\*) اياس بن معاوية بن قرة المزني أبو وائلة، كان على القضاء بالبصرة وكان من دهاة الناس، مات سنة اثنين وعشرين ومائة (البستي: مشاهير علماء الامصار، ص182).
- (13) العث، يوسف: الدولة الاموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، ط2، دار الفكر، (دمشق: 1985)، ص220.
- (14) محمود: سيرة الحاج بن يوسف، ص35.
- (15) ابن كثير: البداية والنهاية، 5 / 252.
- (16) محمود: سيرة الحاج بن يوسف، ص34.

- (\*\*) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، من الفقهاء في الدين وجلة التابعين، مات سنة خمس ومائة، وقد ادرك خمسين ومائة من الصحابة ( البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص127).
- (22) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 246.
- (23) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3/ 130.
- (\*\*\*) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب الثوري، من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين ممن لزم الحديث والفقه وواظب على الورع والعبادة ولم يبال بما فاتته من حطام هذه الفانية الزائلة مع سلامة دينه له حتى صار علماً يرجع إليه في الامصار ويقتدى به في الأقطار مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ( البستي: مشاهير علماء الامصار، ص201).
- (24) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 256.
- (25) سورة يوسف، الآية: 78 - 79.
- (26) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 247.
- (27) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/ 28.
- (28) الطبري: تاريخ، 6/ 374 - 375؛ ابن الاثير: الكامل، 4/ 155.
- (29) ابن الاثير: الكامل، 4/ 154، ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 248، شعوط، ابراهيم علي: باطليل يجب ان تمحي من التاريخ، ط5، المكتب الاسلامي (بيروت: 1983)، ص 271.
- (\*) لم أحصل على ترجمة له على قدر اطلاعي وذلك لذكره بكنيته، والظاهر من قوله انه ذو علم في قراءة القرآن.
- (30) ابن الاثير: الكامل، 4/ 233.
- (31) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 242.

- (\*) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، من سادات التابعين فقهاً وورعاً وعبادة وفضلاً وزهادة وعلماً، مات سنة ثلاث وتسعين ( البستي: مشاهير علماء الامصار، ص81).
- (17) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3/ 125؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 243.
- (18) البداية والنهاية، 5/ 244.
- (\*) هو سعيد بن جبير بن هشام، من عباد المكيين وفقهاء التابعين قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين صبراً وله تسع واربعون سنة ( البستي: مشاهير علماء الامصار، ص106).
- (19) كان سعيد بن جبير قد اشترك بحركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وهي تمرد كبير استمر عدة سنوات منذ عام 80هـ حتى عام 83هـ، بعدما كان عبدالرحمن بن الاشعث قائداً لجيش كبير أرسله الحجاج بن يوسف لمقاتلة ملك الترك (رتبيل) في سجستان، فاختلف الحجاج مع قائده عبد الرحمن بن الاشعث فاعلن الاخير تمرده على الحجاج بن يوسف وكان بينهما معارك عدة انتهت بانتصار الحجاج بن يوسف سنة 83هـ ومن ثم مقتل عبد الرحمن بن الاشعث سنة 85هـ (الدينوري، ابو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق: الدكتور عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية (بيروت: 2001)، ص462-472، ابن الاثير: الكامل، 4/ 123 - 124، 129 - 132، 134 - 138، 143 - 154).
- (20) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط4، دار المعارف (مصر: د.ت)، 6/ 490؛ ابن الاثير: الكامل، 4/ 229، ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 224.
- (21) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 247.

- (44) الحمد، غانم قدوري: رسم المصحف (العراق: 1982)، ص714.
- (45) طه: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، هامش ص148.
- (46) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3/ 130؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 258
- (47) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 2/ 41؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 258؛ الصلابي، علي محمد: الدولة الاموية، دار المعرفة (بيروت: 2005)، 1/ 682.
- (48) خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1995)، ص 197؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 2/ 41.
- (49) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 259.

- (32) الذهبي: تاريخ الاسلام، 3، ص130.
- (33) شعوط: اباطيل، ص271.
- (34) البغدادي، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري: اخلاق حملة القرآن، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، دار الأنبار (بغداد: 1998)، ص 47 - 52.
- (35) أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، (بيروت: 2002)، 1/ 54.
- (36) ابن خلكان: وفيات الاعيان، 2/ 23.
- (37) ابن خلكان: المصدر نفسه، 2/ 23.
- (\*\*) هو نصر بن عاصم الليثي النحوي، كان فقيهاً، عالماً بالعربية من فقهاء التابعين، مات سنة تسع وثمانين (ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم الادباء، ط2، دار احياء التراث العربي (بيروت: 2009)، 10/ 83.
- (38) الداني، ابو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، ط2، دار الفكر (دمشق: 1407هـ)، 1/ 7.
- (39) المبارك، عبد الحسين و الياسري، عبد الجبار ناجي: من مشاهير أعلام البصرة (البصرة: 1983)، ص52، طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة بسام ، (الموصل: 1985)، ص147.
- (40) الحمد، غانم قدوري: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، (الأردن: 2001)، ص84.
- (41) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 1/ 55.
- (42) طه: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص148.
- (43) السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الاشعث: كتاب المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، ط2، الفاروق الحديثة (القاهرة: 2003)، ص 157 - 158.

## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً: المصادر الأولية:

#### ❖ القرآن الكريم

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ):
- 1 - الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط2، دار المعرفة(بيروت: 2007).
- البغدادي، أبو بكر محمد بن الحسين الأجري (ت360هـ):
- 2 - أخلاق حملة القرآن، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، دار الانبار (بغداد: 1989).
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي (ت354هـ):
- 3 - مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت: 1995).
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت456هـ):
- 4 - جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط4، دار الكتب العلمية (بيروت: 2007).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 681هـ):
- 5 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية (بيروت: 1998).
- خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي (ت240هـ):
- 6 - تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب فواز و حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية (بيروت: 1995).

- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد:

7 - المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، ط2، دار الفكر (دمشق: 1407هـ).

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ):

8 - الأخبار الطوال، تحقيق: الدكتور عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية (بيروت: 2001).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ):

9 - سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية (القاهرة: د. ت).

10 - تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: 2005).

- السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت316هـ):

11 - كتاب المصاحف، تحقيق: محمد عبده، ط2، الفاروق الحديثة (القاهرة: 2003).

- الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ):

12 - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف (مصر: د. ت).

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري (ت671هـ):

13 - الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي (بيروت: 2002).

- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ):

14 - البداية والنهاية، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرون، دار البيان العربي (مصر: 2006).

- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ):

15 - معجم الأدباء، ط2، دار احياء التراث العربي (بيروت: 2009).



### ثانياً: المراجع الثانوية:

- الحمد، غانم قدوري:
- 1 - رسم المصحف (العراق: 1982).
- 2 - محاضرات في علوم القرآن، دار عمار (الأردن: 2001).
- شعوط، ابراهيم علي:
- 3 - اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ، ط5، المكتب الاسلامي (بيروت: 1983).
- الصلابي، علي محمد:
- 4 - الدولة الاموية، دار المعرفة (بيروت: 2005).
- طه، عبد الواحد ذنون:
- 5 - العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة بسام (الموصل: 1985).
- العشي، يوسف:
- 6 - الدولة الاموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، ط2، دار الفكر (دمشق: 1985).
- المبارك، عبد الحسين والياسري، عبد الجبار ناجي:
- 7 - من مشاهير اعلام البصرة (البصرة: 1983).
- محمود، ابو عبد الرحمن جمال بن محمد:
- 8 - سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ما له وما عليه، دار الكتب العلمية (بيروت: 2004).

### Abstract

Amawian caliphs has depended on competent rulers in the admini stration of their state who have been distinguished with abrilliant administrative men talality that has enabled them to control the state and rise its vanous institutions like politics, militansm, culturalistic, and the social service.

The ruler Al- Hajaj bin Yousif Al- Thaqafi Who has mled Iraq for twenty years 8 ince 75 A-H- till his death in the year of 95 A-H- is one of them. Here the researcher aims at dealing with the scientific side in Al- Hajaj,s life far of politics and administration. It has been discovered that Al- Hajaj bin yousif Al- thaqafi has abundant share of education and science؛ he has con sidered the scientists, preserved their status, and been with the right utterance and truth word. Besides, he has in traduced a solemn service for muslims that is the punctuaion of the Holly Qura,an with Ijam pun ctuation marks to differentiate the similar letters in Qura,an which facilitates its reading for people in the right way and unifies the nation with a unified reading.

## أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء

أ.م.د.رائد ادريس محمود

جامعة تكريت / كلية التربية

### ملخص البحث

هدف البحث تعرف أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء. ولتحقيق هذا الهدف تم تقسيم عينة البحث إلى مجموعتين إحداهما ضابطة درست بالطريقة السائدة، وعدد طلابها (30) طالبا من طلاب الصف الثاني المتوسط ، ومجموعة تجريبية درست المادة التعليمية باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة، وكان عدد طلابها (30) طالبا. وقد تم تطبيق البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (2010-2011).

اعد الباحث دليلا للمعلم يوضح كيفية تدريس موضوعات الكيمياء باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة. و دليلا للطلاب وهو عبارة عن توجيه للطلاب لكيفية تنفيذ الإستراتيجية من خلال أوراق العمل التي تم تقديمها في كل درس من الدروس.

أما بالنسبة إلى أداتي البحث فتمثلت في اختبارين : اختبارا تحصيلياً تكون بصورته النهائية من (40) فقرة بعد التأكد من صدقه وثباته وحساب مستوى صعوبة فقراته وقوى تمييزها ، و اختبارا للتفكير العلمي تكون من (5) مجالات ويضم كل مجال (8) فقرات .

### مشكلة البحث

يتميز عصرنا الحالي بكونه عصر التفجر المعلوماتي والتقني ، وهذا يتطلب من الفرد في مجتمعاتنا مواكبة هذا التسارع العلمي من اجل اللحاق بركب المجتمعات المتقدمة ، وهذه العملية بدورها تتطلب من الفرد استخدام مهارات عقلية عالية المستوى تمكنه من حل المشكلات التي يواجهها والتي أصبحت معقدة أكثر بسبب المتغيرات الحياتية المعاصرة .

وهنا يأتي دور مؤسسات التربية والتعليم ، والتي تعد مراكز لإكساب الفرد لهذه المهارات من خلال ما تتضمنه من برامج وأنشطة تعليمية وتربوية . ولهذا فان النظام التربوي بحاجة ماسة الى استخدام طرائق وإستراتيجيات تدريس معينة تؤدي دورا فاعلا في تنمية المجالات المعرفية والانفعالية و المهارية في إنسان اليوم ، ولعل إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة إحدى هذه الاستراتيجيات .

أن المشكلة التي يعاني منها التعليم المدرسي بشكل عام ، في الجانب المتعلق بالتدريس وأساليبه واستراتيجياته ، فهي ما يلاحظ عليه من الابتعاد عن عالم المتعلمين ، فالمواد التعليمية تُقدم في أغلب الأحيان بطرائق جافة ومملة دون مراعاة بيئة المتعلمين وحاجاتهم فضلاً عن أنها لا تعير اهتماماً لمداركهم وقدراتهم العقلية

### أهمية البحث والحاجة إليه

إن الانفجار المعلوماتي والتقني في الوقت الراهن أدى الى تقليص دور المدرسة في تزويد المتعلمين بالمعلومات والخبرات والحقائق العلمية , واصبح دور المدرسة يتركز في تدريب المتعلمين على كيفية التعلم الفردي واستثارة تفكيرهم وجعلهم مستقلين في التعلم والتفكير . ( ابو جادو و محمد , 2010 : 290).

إن الاهتمام بالطالب كمحور لعملية التعلم والتعلم , جعل القائمين على التعليم يقومون بالبحث عن استخدام استراتيجيات وأساليب مختلفة لتحسين عملية التعلم وتسخير الميول الطبيعية النشطة لدى الطالب بالكامل في عمله , وقد تنوعت الأساليب ومن أهمها إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة (النادي , انترنت ).

وتعد هذه الإستراتيجية من ضمن التحولات الحديثة في النظرة إلى تدريس العلوم والكيفية التي تقدم للمتعلمين (إبراهيم، 2004 : 4). ويرى بينتلي وواتس (Bently and Watts, 1991) أن هذا النوع من التعلم يزداد انتشارا مع الزمن؛ وذلك لأنه يقدم للطالب مواقف للتعلم المفتوح تخلص من القيود التي تفرضها المناهج وأساليب التدريس التقليدية (Bently and Watts, 1991: 34).

ويرى الباحث إن التعلم الحديث يتضمن مهارات عدة يجب إكسابها للطلبة مثل مهارات حل المشكلات ومهارات الاتصال ومهارات التعلم ذي المعنى، ومهارات عمليات العلم ، والتفكير العلمي , وهذا ما نجده متوافرا عند تطبيق إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة، لأن هذا النوع من التعلم يعمل على تقديم المادة العلمية لدى الطلبة في صورة مشكلات علمية تؤدي إلى بعث الحيوية والنشاط لدى الطلبة داخل الصف .

تعود جذور إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة الى المرابي جون ديوي (John Dewey) والذي يرى ان دور المعلمين يتمثل في استثارة دافعية البحث

والمعرفية المختلفة وما تقتضيه من تنوع أساليب التدريس لمخاطبة كل فئة بما يناسب طريقته او أسلوبها في التعلم، الشيء الذي جعل أغلب المتعلمين يحصلون على نتائج متدنية في اختبارات التحصيل وجعل المعلومات والحقائق التي يدرسونها محصورة في المؤسسة التعليمية وعدم توظيفها في الحياة العامة ، وهذا الأمر ولد لدى بعضهم النفور والملل وجعلهم يكونون اتجاهات سلبية نحو المدرسين والمدرسة والمواد الدراسية بشكل عام .

ومن خلال خبرة الباحث ميدانيا في التدريس ومجال الإشراف على تطبيق طلبة المرحلة الرابعة في كليات التربية , لمس الباحث عدم إعطاء الاهتمام الكافي في إعداد الفرد القادر على حل المشكلة والاهتمام بمتغير التفكير العلمي مما يؤدي إلى تخريج أجيال تنقصها القدرة على مواجهة المشكلة بالطريقة العلمية .

كما وجد الباحث ان طرائق واستراتيجيات تدريس العلوم (ومن ضمنها مادة الكيمياء) المستخدمة حاليا في مدارسنا تتم بطريقة مشابهة لتدريس المواد الادبية او الانسانية كالتاريخ واللغات , اذ تعد الطريقة الالقائية الوسيلة الوحيدة لتدريس هذه المادة في المدارس المتوسطة والاعدادية .

وفي هذا البحث سيحاول الباحث تجربة استخدام إستراتيجية تدريسية حديثة نسبيا هي إستراتيجية العلم المبني على المشكلة للكشف عن أثرها في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء .

وفي ضوء ما سبق فإن البحث الحالي يسعى للإجابة عن السؤالين التاليين:

- 1- ما أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في التحصيل الدراسي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء ؟
- 2- ما أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في التفكير العلمي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء ؟

## هدف البحث

يهدف البحث الحالي تعرف اثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط وتفكيرهم العلمي في مادة الكيمياء .

## فرضيتا البحث

في ضوء هدف البحث صاغ الباحث الفرضيتين الصفريتين الاتيتين :-

1- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة ومتوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة الاعتيادية .

2- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا باستخدام الطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير العلمي .

## حدود البحث

اقتصر البحث الحالي على ما يأتي :-

- 1- طلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية التابعة لمديرية تربية محافظة نينوى (الموصل المركز) .
- 2- الفصول الاربعة (الثاني والثالث والرابع والخامس) من كتاب الكيمياء المقرر تدريسه لطلاب الصف الثاني المتوسط .
- 3- العام الدراسي 2010 - 2011 م .

والاكتشاف لدى المتعلمين , اضافة الى دور الخبرات التي يتعرض لها المتعلمون في حياتهم خارج المدرسة لما لها من دور في موازنة وتصحيح وتعديل المعلومات والمفاهيم التي تعلموها في المدرسة . ( ابو جادو و محمد , 2010 : 290).

إن الاهتمام بإستراتيجية التعلم المبني على المشكلة لم يأت من فراغ , إنما نتيجة ما تقدمه هذه الإستراتيجية من مساعدة الطلبة على تنمية تفكيرهم وقدرتهم على حل المشكلة في الحياة الواقعية , كما أنها تتميز بمجموعة من المميزات في تنمية تفكير الطلبة وقدرتهم على حل المشكلة وتنمية المهارات الفكرية. (ديسيل , 2001 : 56).

ويرى كل من (Awest, 1992) و (Yaman, 2003) ان إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة تقوم بالوظائف الاتية :-

- 1- تزيد من قدرة المتعلمين على تطبيق المعلومات وتوظيفها في مواقف حياتية جديدة خارج المدرسة وحل المشكلة العرضية التي تواجههم في حياتهم العملية.
- 2- تثير دافعية الطلبة واستماعتهم بالعمل.
- 3- تزيد من قدرة الطلبة على الاستفادة من مصادر التعلم المتنوعة .
- 4- تنمي الاتجاهات العلمية وحب الاستطلاع والمواظبة على العمل.
- 5- تزيد من فهم الطلبة للمعلومات وبقاء أثرها لأطول فترة ممكنة.
- 6- تنمي المهارات الضرورية لحل المشكلة كجمع البيانات وتحليلها والوصول للنتائج.
- 7- تنمي تفكير ما وراء المعرفة لدى المتعلم.
- 8- لها دور في تنمية مهارات عمليات العلم الأساسية والتكاملية. (Awest , 1992, 54), (Yaman, 2003 , Internet).

### تحديد مصطلحات البحث

إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة (Problem –Based Learning Strategy) عرفها كل من :

1- (عبد الحميد, 1999) بأنها "إستراتيجية يتم فيها عرض مواقف مشكلة على الطلبة تكون ذات معنى وحقيقية بحيث يمكن أن تكون نقطة انطلاق للبحث والاستقصاء" (عبد الحميد , 1999 : 135).

2- سكوارتزل وآخرون (Schwartzl et al., 2000) بأنها "طريقة للتعلم يواجه فيه المتعلمون بمشكلات يتبعه استقصاء الطلبة ذاتيا لحل هذه المشكلة بأسلوب منظم" (Schwartzl et al., 2000, 55).

3- مفوضية التربية في كوينزلاند (Education Queensland, 2003) بأنها "إستراتيجية تتطلب من المتعلم التعامل مع مشكلة حقيقية وواقعية لتوليد حلول معتمدة على المعرفة المتوفرة في المنهج" (Education , Internet , 2003, Queensland).

4- أيدا وآخرون (Uyeda et al., 2003) أنها "تصميم مناهج قائمة على مشكلات حقيقية بحيث يحدث استقصاء للمعرفة لدى المتعلم لحل هذه المشكلة . (Uyeda et al., 2002:5)

ويعرف الباحث إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة إجرائيا بأنها إستراتيجية تدريسية يتعلم فيها طالب الصف الثاني المتوسط موضوعات مادة الكيمياء المقررة من خلال عرض مواقف مشكلة واقعية ومحاولته مع مجموعة من زملاءه لحل هذه المواقف المشكلة وفق خطوات منظمة بإشراف وتوجيه من قبل مدرس المادة .

### التحصيل (Achievement) عرفه كل من :

1- (أبو جادو، 2003) بأنه: محصلة ما يتعلمه الطالب بعد مرور مدة زمنية معينة ويمكن قياسه بالدرجة التي يحصل عليها باختبار تحصيلي وذلك لمعرفة مدى نجاح الإستراتيجية التي يضعها المدرس ويخطط لها لتحقيق أهدافه وما يصل إليه. (أبو جادو، 2003، 469).

2- (ناصر، 2003) بأنه: المعلومات التي يكتسبها الطالب خلال المهارات التي تعلمها من البرنامج في الفصل الدراسي ويقاس عن طريق الاختبارات المدرسية. (ناصر، 2003، 34).

3- (بركات، 2005) بأنه: قدرة معرفية للمتعلم على موضوع معين بأدائه على اختبار يتضمن مجموعة من الأسئلة لقياس هذا الموضوع . (بركات، 2005، 108).

4- (جاسم، 2006) بأنه: ما تجمع وتثبت عند الطلاب من معلومات في مادة دراسية معينة، نتيجة اطلاعهم وإدراكهم بوساطة مدرس تلك المادة. (جاسم، 2006: 33).

5- (الكبيسي، 2010) بانه : فلسفة ومنهج واسلوب في التفكير يقوم على امتزاج وتداخل المعرفة العلمية من اجل تقديم رؤية كلية شاملة تأخذ في الاعتبار جميع العوامل . (الكبيسي , 2010 : 13) .

أما التعريف الإجرائي للتحصيل: فهو (الدرجة التي يحصل عليها طالب الصف الثاني المتوسط من خلال إجابته على فقرات الاختبار التحصيلي البعدي في مادة الكيمياء الذي أعده الباحث لأغراض البحث والذي طبقه في نهاية التجربة).

### التفكير العلمي :- (Scientific Thinking) عرفه كل من :

- 1- باير (Beyer , 2001) بأنه عملية عقلية يستطيع المتعلم عن طريقها عمل شيء ذي معنى من خلال الخبرة التي يمر بها " (Beyer , 2001 : 13) .
  - 2- (عبيدات , 2003) بأنه طريقة في النظر الى الامر وتعتمد اساسا على العقل والبرهان وبالتجربة وبالدليل " (عبيدات , 2003 : 248).
  - 3 - (القرشي , 2008) بأنه "تشاط عقلي منظم يعتمد على الدليل والتجربة والبرهان المفضيين الى اليقين يمارسه الانسان في حياته العامة ويستطيع من خلال ذلك التفكير معالجة المشكلات والوقائع والسيطرة عليها" (القرشي , 2008 : 22).
- التعريف الاجرائي " هو مقدار ما يحصل عليه طالب الصف الثاني المتوسط في اختبار التفكير العلمي المعتمد من قبل الباحث " .

### خلفية نظرية

#### أولا : إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة

ويطلق على هذه الإستراتيجية عند بعض الباحثين ايضا بإستراتيجية التعلم المستند الى المشكلة (Problem based learning Strategy) , و يعد العالم "باروز" من جامعة ماك ماستر (McMaster) هو من ابتدع هذا النوع من التعلم في منتصف الستينيات من القرن الماضي، ثم بدأ في الانتشار بعد ذلك إلى مجالات عديدة ومنها مجال تدريس العلوم. وقد استخدمه باروز كأحد الطرق البديلة لإعداد طلبة كلية الطب عن طريق تعريضهم لمواقف ومشكلات حقيقية وواقعية يبحث الطلبة عن حلها (Rankin , 1992 : Internet).

وفي نظر رواد النظرية البنائية تتكون هذه الإستراتيجية من ثلاثة عناصر رئيسة هي المهام المقدمة للطلاب في المشكلة، والمجموعات المتعاونة، أي قيام الطلبة

بحل المشكلات بشكل تعاوني، وأخيرا المشاركة وهي ضرورية لحل المشكلات المقدمة للطلبة (زيتون ، 2007 : 462).

ولكي يحقق التعلم المبني على المشكلة الهدف منه، فلا بد أن تكون هناك مواصفات للمشكلات المقدمة للطلبة، والتي يجب على المدرس مراعاتها عند صياغة المشكلات، وهذه المواصفات هي:

- 1- تكون متلائمة مع المرحلة العمرية وغير بالغة التعقيد.
  - 2- ذات صلة بتجربة الطالب وخبراته.
  - 3- مستندة إلى المنهج المدرسي.
  - 4- متناسبة مع إمكانيات وظروف المدرسة .
  - 5- تكون قابلة للتوسع والامتداد , وتفتح المجال امام الطلبة لتوليد الافكار والاسئلة.
  - 6- تشجع الطلبة على اتخاذ القرارات . (زيتون , 2007 : 463)
- ويتم تنفيذ إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في الغرفة الصفية وفق مراحل يقوم المدرس بإعدادها والتخطيط لها مسبقا ومن ثم يتبع خطوات منظمة لتنفيذها داخل الغرفة الصفية، وذلك حتى يمكنه تحقيق الأهداف المنشودة ، و يمكن تحديد مراحل تنفيذ إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في أربع خطوات رئيسة وهي:

أولا : الإعداد لإجراء التعلم المبني على المشكلة , وهي تتضمن:-

- 1- اختيار و تحديد مشكلة واقعية أو موقف قد حدث في ميدان معين.
- 2- صياغة المشكلة، وتوجد مصادر مختلفة لصياغتها ومنها : مقالات من الجرائد والمجلات - الإذاعة والتلفاز - تجارب الآخرين - مواقف صحية - مواقف من الأدبيات - المنهج المدرسي - دليل المنهج - المواقع العالمية - التجارب الشخصية.

3- تحديد الأهداف والمخرجات.

4- اختيار مصادر ملائمة تساعد الطلبة على جمع المعلومات.

5- إعداد خطة لسير عمل الطلبة.

## الفرق بين إستراتيجية أو طريقة حل المشكلة وإستراتيجية التعلم

### المبني على المشكلة

تختلف إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة عن إستراتيجية حل المشكلة المعروفة في عدد من الأمور. فإستراتيجية حل المشكلة يمكن استخدامها دون أن يتطلب ذلك تصميم المناهج (والوحدات التدريسية) كما يتطلبه التعلم المبني على المشكلة. وأن في إستراتيجية حل المشكلة يتم في الأغلب تعلم المفاهيم والمبادئ باستراتيجيات وطرائق مغايرة ، ويأتي دور إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في استخدام المفاهيم والمبادئ المتعلمة وتوظيفها في حل مشكلات تطبيقية: أكاديمية وحياتية (إبراهيم، 2004: 22). ويمكن تلخيص هذه الفروق بالمخطط الآتي :-

طبيعة المشكلة	حل المشكلات	التعلم المبني على المشكلة
المعرفة	سؤال استقصائي	مشكلة واقعية
عمل الطالب	تقدم للطالب	يبحث عنها الطالب
مصادر المعلومات	فردية	جماعي
التعلم	الكتاب المدرسي	الكتاب المدرسي ، كتب خارجية ، مقالات من الصحف والمجلات ، الإنترنت
المعلم	موجه من قبل المعلم	موجه ذاتيا من قبل المتعلم
	مقدم للمشكلة والمعرفة	موجه ومرشد للطالب

(البلوشي ، 2008 : 139)

ثانيا: توجيه المتعلمين للتعلم المبني على المشكلة .وهي تتضمن :-

- 1- تقديم المشكلة وتوجيه الطلبة نحو الموقف المشكل.
- 2- تحديد وتعريف المخرجات والأهداف التعليمية للطلبة.
- ثالثا: تنفيذ التعلم المبني على المشكلة ، وهي تتضمن :-
- 1- تحديد خطة العمل وتنظيم الطلبة للدرس.
- 2- تنظيم الطلبة بصورة مجموعات .
- 3- توزيع الأدوار .
- 4- عمل الطلبة ومساعدتهم على البحث المستقل والبحث الجماعي.
- 5- التوصل إلى النتائج وعرضها.

رابعا: تقويم التعلم المبني على المشكلة

وفيها يتم تحليل عملية حل المشكلة وتقويمها من خلال تلخيص ما تعلمه الطلبة وتحديد ما تحقق من الأهداف وتقويم إنجاز الطالب والمدرس. ويشترط في تقويم التعلم المبني على المشكلة أن:

- 1- يقوم الأهداف الموضوعية.
- 2- يتصف بالموضوعية (الصدق والثبات).
- 3- يقوم نواتج عمل الطلبة وإنجازاتهم.
- 4- يقوم إنجاز المدرس. (Awest , 1992 : 50-53).

كما يرى (زيتون ، 2007 ) ان التدريس وفق هذه الإستراتيجية يبدأ بعرض موقف مشكل يجعل الطلبة يشعرون بوجود مشكلة او تناقض تتطلب البحث والتقصي من خلال تكوين مجموعات صغيرة ، بحيث تتم عملية مشاركة فاعلة لكل اعضاء المجموعة في البحث لحل هذه المشكلة ويتوجيه وارشاد من قبل المدرس (زيتون ، 2007 : 460) .

## مهارات التفكير العلمي :-

- ان التفجر المعلوماتي المستمر يجعل من المستحيل على المعلمين او المدرسين تقديم كل المعرفة الى الطلبة في كل المراحل الدراسية، وبهذا ينبغي على المعلم او المدرس تزويد طلبته بمهارات التعلم والتفكير لكي يكونوا مستقلين في تعلمهم وتفكيرهم، والتفكير عملية عقلية معقدة تتكون من العديد من المهارات، ومن اهم هذه المهارات:-
- 1- تحديد المشكلة :- وتتمثل بالقدرة على ادراك النقاط والجوانب المهمة في المشكلة.
  - 2- اختيار الفروض :- وتتمثل بالقدرة على التمييز بين عدد من الفروض المتاحة لحل تلك المشكلة .
  - 3- جمع المعلومات :- وتتمثل بالقدرة على اختيار المعلومات المناسبة للوصول الى حل المشكلة .
  - 4- اختبار صحة الفروض :- وتتمثل بالقدرة على التمييز بين عدد من الطرق التي يمكن استخدامها لاختبار صحة فرض ما .
  - 5- استخلاص النتائج :- وتتمثل بالقدرة على اختيار انسب النتائج التي يتم التوصل اليها (كلنتن وعبد الناصر ، 2000 : انترنت) .

## ثانيا : التفكير العلمي

### مُكْرَمَات

لقد استمرت محاولات الإنسان تفسير الأحداث والظواهر من حوله بقصد تفسيرها والتنبؤ بها والسيطرة عليها او ضبطها وتأمين حياته وتحسين مستوى معيشته ، مستخدماً أنماطاً مختلفة من التفكير مثل التفكير الخرافي ، الاعتماد على الخبرة الشخصية ، الخضوع للتقاليد والأفكار السائدة ، كذلك التفكير المنطقي المكون من التفكير الاستقرائي والتفكير الاستنباطي كلاً على حدة وخلال هذه العصور عُرف العلم على أنه مجموعة من المعارف التي توصلت إليها البشرية في مجالات مختلفة وعندما عجزت تلك الطرائق عن تفسير ما حوله من الظواهر ، تغيرت النظرة إلى العلم واكتُشف التفكير العلمي الذي من خلاله استطاع تفسير ما يجري من حوله من ظواهر بل وإمكانية التحقق من تلك التفسيرات ، وأصبح العلم لا يتضمن المعرفة العلمية فحسب بل يشتمل أيضاً على طريق للحصول على المعرفة او طريق للتفكير . ويرى (Beyer , 2001) ان التفكير هو عملية عقلية يستطيع الفرد من خلالها عمل شيء ذي معنى من خلال الخبرة التي يمر بها ، وهو ( التفكير ) يتكون من ثلاثة مكونات هي :-

- 1- العمليات : وهي تقسم الى ثلاثة انواع : عمليات معقدة مثل حل المشكلات ، عمليات اقل تعقيداً مثل الاستيعاب او التطبيق او الاستدلال ، عمليات توجيه وتحكم فوق معرفية كالنخطيط والمراقبة والتقويم .
- 2- المحتوى :- ويقصد به المعرفة العلمية المتعلقة بالمشكلة او الموضوع او الظاهرة .
- 3- الاستعدادات الوراثية والمتغيرات النفسية :- مثل الاتجاهات والميول والقيم والقدرات العقلية المعرفية . (Beyer , 2001: 33)



## دراسات سابقة

### 1- دراسة (البوشي ، 2008)

هدفت الدراسة الحالية الكشف عن أثر استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل مادة الأحياء واكتساب مهارات حل المشكلة لدى طالبات الصف العاشر بمدارس التعليم العام التابعة للمديرية العامة للتربية والتعليم بمسقط .

اقتصرت الدراسة الحالية على الفصلين الرابع والخامس من وحدة تصنيف الكائنات الحية في كتاب الأحياء للصف العاشر من التعليم العام. وتم تطبيقها خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي 2004/2005م .

شمل مجتمع البحث كافة طالبات الصف العاشر بمدارس التعليم العام التابعة للمديرية العامة للتربية والتعليم بمسقط .

قسمت عينة الدراسة الى مجموعتين , تجريبية درست باستخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة ومجموعة ضابطة درست باستخدام الطريقة التقليدية . كما تم اعداد اداتين :اختبار تحصيلي واختبار لمهارات حل المشكلة , تم التأكد من صدقهما وتمييز فقراتهما وثباتهما باستخدام معمل كرونباخ الفا . وبينت نتائج الدراسة عما يأتي :

1- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في الإختبار التحصيلي لصالح المجموعة التجريبية.

2- وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في إختبار مهارات حل المشكلة لصالح المجموعة التجريبية.

3- نمو مهارات حل المشكلة للمجموعتين الضابطة والتجريبية ، إلا أن هذا النمو في المهارات لدى المجموعة التجريبية كانت بنسبة أكبر عن المجموعة الضابطة.

ووصت الباحثة بتشجيع معلمي العلوم والأحياء على إستخدام التعلم المبني على المشكلة في التدريس. فضلا عن تدريب الطلبة من خلال استراتيجية التعلم المبني على المشكلة على حل مشكلاتهم بالطريقة العلمية ، وعدم التخبط والتسرع في الحل، والبحث عن المعلومات بطرق علمية صحيحة في المشكلات التي تواجههم للتوصل إلى الحل الأفضل. (البوشي ، 2008) .

### 2- دراسة (أمبو و خديجة ، 2009)

هدفت الدراسة إلى تقصي أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف العاشر (الأول الثانوي) في مادة الأحياء.

ولتحقيق هذا الهدف تم تقسيم عينة الدراسة إلى مجموعتين إحدهما ضابطة درست بالطريقة السائدة، وعدد طالباتها (62) طالبة من طالبات الصف العاشر (الأول الثانوي)، ومجموعة تجريبية درست المادة التعليمية باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة، وكان عدد طالباتها (62) طالبة. وقد تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي (2005/2006).

أما مواد الدراسة، فقد شملت دليلا للمعلم ودليلا للطالب، يوضح دليل المدرس كيفية تدريس الوحدة المختارة من كتاب الصف العاشر في مادة الأحياء باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة. أما دليل الطالب فعبارة عن توجيه للطالبة لكيفية تنفيذ الإستراتيجية من خلال أوراق العمل التي تم تقديمها لكل درس من الدروس.

أما بالنسبة إلى أداة الدراسة فعبارة عن اختبار عمليات علم مكون من (31) فقرة وموزع على (9) عمليات هي: الملاحظة، والتصنيف، والتنبؤ، والاستدلال، والاستنتاج، واستخدام الأرقام، والتفسير، وفرض الفروض، وضبط المتغيرات. وقد تم

تطبيق الاختبار قبل الدراسة وبعدها على مجموعتين؛ التجريبية والضابطة. ولقد بلغ معامل ثبات الاختبار باستخدام ثبات الاتساق الداخلي (0.80) .

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى تفوق أداء المجموعة التجريبية التي درست باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة السائدة في معظم عمليات العلم، وفي الاختبار ككل. كما أشارت نتائج الدراسة إلى نمو في بعض عمليات العلم لدى طالبات المجموعة التجريبية مقارنة بالمجموعة الضابطة، وإلى نمو لدى المجموعتين في عمليات العلم بين التطبيقين القبلي والبعدي، وكان أكبر لدى طالبات المجموعة التجريبية التي درست باستخدام التعلم المبني على المشكلة.

وخلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات والمقترحات في ضوء ما أسفرت عنه من نتائج من ضمنها تشجيع المدرسين على استخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تدريسهم، وتدريبهم عليها، والقيام بمزيد من الدراسات والبحوث في هذا المجال على مناهج مواد العلوم الأخرى، ومتغيرات تعليمية - تعليمية أخرى. (امبو و خديجة, 2006) .

### 3- دراسة (الباوي وهدي ، 2009)

هدف هذا البحث إلى معرفة اثر أنموذج التدريب على التساؤل في التحصيل وتنمية التفكير العلمي لطالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء. ولتحقيق هدفي البحث، وضعت الباحثتان فرضيتين صفريتين، ثم عملتا على التحقق من صحتها بإجراء تجربة استغرقت فصلاً دراسياً كاملاً. أعدت الباحثتان نفسيهما مستلزمات وأدوات التجربة والمتمثلة بالخطط التدريسية للمجموعتين التجريبية والضابطة، واختبار التفكير العلمي والاختبار التحصيلي اللذين تم حساب الصدق والثبات ومعامل التمييز والصعوبة وفعالية البدائل لكل منهما. وقد اختيرت مجموعتي

البحث اختياراً عشوائياً وبلغ عددها (55) طالبة من طالبات الصف الثاني المتوسط في إحدى المدارس التابعة لمديرية تربية بغداد/ الرصافة الأولى، وقد اختيرت شعبة (و) اختياراً عشوائياً لتدرس على وفق أنموذج التدريب على التساؤل. وشعبة (هـ) لتدرس على وفق الطريقة الاعتيادية. وتم التأكد من التكافؤ بين المجموعتين من خلال المتغيرات: (العمر بالأشهر، درجة العلوم والرياضيات للصف الأول المتوسط، التحصيل الدراسي للوالدين، المعلومات السابقة، التفكير العلمي والذكاء). وبعد انتهاء الطالبات من دراسة جميع مفردات الفصول الخمسة الأخيرة من كتاب الفيزياء المقرر للصف الثاني المتوسط، اختبرت المجموعتان بالاختبار التحصيلي واختبار التفكير العلمي. وعند تحليل البيانات باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تبين للباحثتين تفوق طالبات المجموعة التجريبية على طالبات المجموعة الضابطة في متوسط درجات التحصيل وتنمية التفكير العلمي وبذلك رفضت الفرضيتين الصفريتين. إن أهم ما توصلت إليه الباحثتان في هذه الدراسة هو إن استخدام أنموذج التدريب على التساؤل كان فعالاً في تنمية التفكير العلمي، إضافة إلى فعالية الأنموذج في رفع مستوى التحصيل الدراسي لطالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء. وتم في ضوء البحث صياغة عدد من التوصيات والمقترحات. (الباوي وهدي ، 2009).

### إجراءات البحث

#### مجتمع البحث وعينته:

تكون مجتمع البحث من جميع طلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية الصباحية التابعة لمديرية تربية محافظة نينوى (الموصل المركز) للعام الدراسي 2010 - 2011م ، اختار الباحث ثانوية البراء بن مالك وثانوية النعمانية بطريقة عشوائية بسيطة كميدان لتطبيق التجربة ، اذ اختار بطريقة عشوائية شعبة (ب) في ثانوية البراء بن مالك كمجموعة تجريبية ضمت (30) طالبا والتي

متكافئتان في متغيرات التحصيل الدراسي السابق في الكيمياء والعمر الزمني بالشهور والتفكير العلمي .

### مستلزمات البحث

أ. دليل المدرس: والذي اشتمل على:

- 1) مقدمة نظرية عن إستراتيجية التعلم المستند إلى المشكلة، من حيث ماهيتها، وفوائدها، والفلسفة التدريسية المرتبطة بها، وكيفية تنفيذها داخل الغرفة الصفية.
- 2) دروس قائمة على إستراتيجية التعلم المستند إلى المشكلة . وقد اشتملت الدروس على أهداف، وأنشطة ومقالات علمية، وأساليب تقييم ومعينات تدريس.
- 3) مراجع وعناوين لمواقع في الإنترنت يمكن للمعلم الاستفادة منها.

ب. دليل الطالب:

والذي تم إعداده ليساعد الطالب على دراسة الموضوعات باستخدام إستراتيجية التعلم المستند إلى المشكلة، إذ اشتمل الدليل على خلفية نظرية مبسطة جداً، وعلى أوراق عمل لكل درس من دروس المادة باستخدام الإستراتيجية. وقد اشتملت أوراق العمل على مخطط لسير عمل الطلبة في التعلم المستند إلى المشكلة. تم عرض الدليلين (دليل المدرس ودليل الطالب) بعد الانتهاء منها على عدد من المحكمين في مجال الكيمياء وطرائق تدريس العلوم ) ، وقد هدف التحكيم بالأساس إلى مراجعة الدليل من الجوانب العلمية والتربوية والفنية . وقد أعطى المحكمون آراء واقتراحات ساعدت الباحث في تقديم الدليلين بصورة علمية وتربوية وجماالية جيدة.

درست باستخدام إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة ، كما اختار شعبة (أ) في ثانوية النعمانية كمجموعة ضابطة ضمت (30) طالبا والتي درست باستخدام الطريقة الاعتيادية .

### تكافؤ المجموعتين

تم التأكد من تكافؤ مجموعتي البحث في متغيرات (التحصيل الدراسي السابق في مادة الكيمياء و العمر الزمني بالشهور و التفكير العلمي ) ، والجدول (1) يوضح نتائج تكافؤ المجموعتين .

جدول (1)

نتائج تكافؤ مجموعتي البحث

المتغير	المجموعة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	قيمة ت الجدولية	الدلالة عند مستوى 0,05
التحصيل الدراسي السابق في مادة الكيمياء	التجريبية	66,70	11,10	0,30	2,00	غير دالة
	الضابطة	67,63	12,62			
العمر الزمني بالشهور	التجريبية	201,25	4,6	0,19		غير دالة
	الضابطة	201,01	4,7			
التفكير العلمي	التجريبية	20,97	4,77	0,12		غير دالة
	الضابطة	21,13	5,76			

يتضح من الجدول أعلاه أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات كل من المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية، وبالتالي فإن المجموعتين

### أداتا البحث

قام الباحث بأعداد اداتين من اجل قياس التحصيل والتفكير العلمي للطلاب ,  
هما :-

#### 1- الاختبار التحصيلي :

تمت عملية اعداد الاختبار التحصيلي على وفق الخطوات الاتية :

#### أ - صياغة الاغراض السلوكية :

تمت صياغة الأغراض السلوكية اعتماداً على محتوى المادة العلمية إذ بلغ عددها (76) غرضاً على وفق ثلاث مستويات من مستويات (بلوم Bloom) المعرفية وهي: (التذكر، والفهم، والتطبيق) وقد عرضت الأغراض السلوكية بصورتها الاولى مع المحتوى المادة على مجموعة من الخبراء (المحكمين) لبيان آرائهم في سلامتها ومدى استيفائها لشروط صياغة الأهداف السلوكية وملامتها مستوياتها المعرفية لمستويات طلاب العينة . وقد تم إجراء بعض التغييرات المقترحة لبعض الفقرات على وفق ما اقره الخبراء وتم الإبقاء على جميع الأغراض السلوكية . والجدول (2) يوضح توزيع الاغراض السلوكية على فصول الكتاب ومستويات الاغراض :

#### جدول (2)

الأغراض السلوكية للفصول الاربعة موزعة على مستويات ( التذكر، والفهم، والتطبيق)

المجموع	عدد الأغراض في كل مستوى			الموضوع	الفصل
	التطبيق	الفهم	التذكر		
26	8	8	10	المادة	الثاني
25	8	8	9	بناء المادة	الثالث
15	4	5	6	التفاعل الكيميائي والمعادلة الكيميائية	الرابع
10	2	2	6	الأوكسجين	الخامس
76	22	23	31	المجموع	

### ب- إعداد الخارطة الاختبارية :

فقد تم إعداد الخارطة الاختبارية لمحتوى الفصول الاربعة من كتاب الكيمياء، وحسب المستويات الثلاثة للأغراض السلوكية(التذكر، والفهم، والتطبيق)، وقد حددت أوزان المحتوى الدراسي في ضوء عدد الصفحات لكل فصل، كما حددت أوزان الأغراض السلوكية حسب مستوياتها الثلاثة ، أما عدد الأسئلة فقد حددت بـ (40) فقرة موضوعية ، والجدول (3) يوضح الخارطة الاختبارية للاختبار التحصيلي :

#### جدول (3)

الخارطة الاختبارية الخاصة بالاختبار التحصيلي

المحتوى التعليمي	عدد الاغراض السلوكية	وزن المحتوى	مستويات الأغراض وأوزانها			المجموع
			المعرفة	الفهم	التطبيق	
			40%	30%	30%	100%
الفصل الثاني	26	34%	6	4	4	14
الفصل الثالث	25	33%	6	4	4	14
الفصل الرابع	15	20%	3	2	2	7
الفصل الخامس	10	13%	2	2	1	5
المجموع	76	100%	17	12	11	40

### ب . إعداد فقرات الاختبار التحصيلي:

بعد اعداد الخارطة الاختبارية قام الباحث بصياغة الفقرات الاختبارية من الاغراض السلوكية , وقد قرر ان تكون فقرات الاختبار موضوعية من نوع (اختيار من متعدد وملئ الفراغات واسئلة ذات اجابات قصيرة ) , وقد راعى الباحث مواصفات

الفقرات الموضوعية الجيدة في فقرات هذا الاختبار من حيث طول الفقرة وصياغتها اللغوية وعدد البدائل وطريقة الاجابة .

تكون الاختبار من (20) فقرات من نوع ملئ الفراغات و (20) من نوع الاختيار من متعدد .

### ج . صدق الاختبار Test Validity:

ومن أجل التحقق من صدق الاختبار عمد الباحث إلى التحقق من صدق المحتوى وكما يلي :-

### صدق المحتوى Content Validity:

إنَّ الاختبار الذي يتصف بصدق المحتوى هو ذلك الاختبار الذي تُعدُّ فقراته عينة ممثلة لنطاق السلوك المراد قياسه ، وبالتالي اختيار عدد من الأسئلة يفترض بها أن تمثل هذا النطاق تمثيلاً صحيحاً .

تم التأكد من ذلك من خلال إعداد الخارطة الاختبارية والالتزام بأوزان أعداد الفقرات كما قام الباحث بعرض الاختبار والأغراض السلوكية والخارطة الاختبارية فضلاً عن المحتوى على عدد من الخبراء (المحكمين) لتقرير مدى تحقيق فقرات الاختبار للصفة المراد قياسها، وبعد الأخذ بأرائهم تم تعديل بعض الفقرات ولم تحذف أية فقرة وبذلك بلغ عدد فقرات الاختبار (40) فقرة وكان نسبة الاتفاق بين الخبراء والمختصين (80%) فأكثر وبذلك تحقق الصدق الظاهري وصدق المحتوى.

### د . تطبيق الاختبار وتحليل فقراته:

#### 1. التجربة الاستطلاعية للاختبار التحصيلي:

من أجل التأكد من وضوح فقرات الاختبار وحساب الزمن المستغرق للإجابة عليه، طبقَ الباحث الاختبار التحصيلي على عينة من (50) طالباً من طلاب الصف الثاني المتوسط في ثانوية اليمن للبنين اختبروا بصورة عشوائية، وقد طبق الاختبار

تحت إشراف الباحث وبمساعدة مدرس الكيمياء في تلك المدرسة ، وقد وجد أن فقرات الاختبار كانت واضحة وتعليمات الإجابة مفهومة وإن متوسط الوقت الذي استغرقه الطلاب في الإجابة (40) دقيقة.

### 2. تحليل فقرات الاختبار التحصيلي:

إنَّ تحليل فقرات الاختبار من العمليات المهمة في بناء الاختبارات الجيدة، إذ تعمل على تحديد العلاقة بين ما تقيسه المفردات وبين استجابات الأفراد لها، وذلك للتعرف على المفردات الغامضة أو التي توحى بالاجابة، والمفردات بالغة السهولة أو الصعوبة، التي لا تميّز بين الأفراد، وهي بذلك تفيد في مراجعة المفردات وتحسينها بحيث تسهم كل مفردة إسهاماً ايجابياً فيما يقيسه الاختبار .

ولأجل تحليل مفردات الاختبار صُحِّحت إجابات العينة الاستطلاعية ثم رُتبت الدرجات تنازلياً. وقسمت العينة إلى قسمين مجموعة عليا عدد أفرادها (25) طالباً ومجموعة دنيا عدد أفرادها (25) طالباً، ثم حسب مستوى الصعوبة وقوة التمييز لكل فقرة من فقرات الاختبار على النحو الآتي:

### أ - القوة التمييزية للفقرات (Item Discrimination Power):

وهي حساب مدى قدرة الفقرة على تمييز الفروق الفردية بين أفراد العينة الاستطلاعية وبعد أن حسب الباحث القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (0.33) و (0.53) والأدبيات تشير إلى أن الفقرة التي يقل معامل قوتها التمييزية عن (20%) ينبغي حذفها أو تعديلها (عبيدات , 1988 , 223 ). لذا أبقى الباحث على جميع الفقرات من دون حذف أو تعديل.

### ب- معامل صعوبة الفقرات (Item Difficulty):

يعرف معامل الصعوبة بأنه نسبة الطلبة الذين أجابوا عن الفقرة إجابة صحيحة. ويفيد حساب معامل صعوبة الفقرة في إعطاء مستوى معين من الصعوبة

والسهولة لفقرات أي اختبار ، إذ يمكن أن تستبعد الفقرات التي تنطرف في السهولة أو الصعوبة أو تستبدل بغيرها، وبعد أن حسبت معاملات صعوبة فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (0.32) و (0.64)، وتعد الفقرات الاختبارية مقبولة إذا كان معدل صعوبتها بين (0.20) و (0.80). وهذا يعني ان فقرات الاختبار جميعاً تُعد مقبولة. **ثبات الاختبار (Test Reliability):**

اختار الباحث طريقة التجزئة النصفية لحساب ثبات الاختبار التحصيلي، إذ تم تقسيم فقرات الاختبار الي قسمين فقرات فردية وفقرات زوجية باستخدام معامل ارتباط (بيرسون Pearson) بين درجات الفقرات الفردية والفقرات الزوجية، اذ بلغت قيمته (0.80) وبعد تصحيحه باستخدام معادلة سبيرمان براون وجد ان قيمته تساوي (0.89) وتدل هذه القيمة على ان الاختبار يتميز بثبات جيد . **تصحيح الاختبار التحصيلي:**

تم إعداد أنموذج خاص بالاجابات النموذجية لفقرات الاختبار التحصيلي ، كما تم إعطاء مثال يوضح طريقة الإجابة عنه في تعليمات الاختبار ، اذ أعطيت درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة الخاطئة. **الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية:**

اشتمل الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية على (40) فقرة موضوعية من نوع اختيار من متعدد وملئ الفراغات ، وقد خصص لكل فقرة درجة واحدة، أي أعلى درجة هي (40) وأدنى درجة هي (صفر) .

## 2- اختبار التفكير العلمي

لقياس التفكير العلمي اعتمد الباحث مقياس التفكير العلمي الذي اعدده بنفسه في بحث سابق عام 2009 - 2010 (محمود ، 2010) ، تكون هذا الاختبار بصورته النهائية من (5) مجالات او مهارات هي (تحديد المشكلة ، صياغة او

اختيار الفرضيات ، اختبار صحة الفرضيات ، القدرة على التفسير ، القدرة على التعميم ) ، ويضم كل مجال (8) فقرات ، وان الوقت اللازم للإجابة تراوح ما بين (30-40) دقيقة.

## تصميم الدراسة

قامت هذه الدراسة على التصميم التجريبي الذي يتكون من المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة.

خطوات تدريس المجموعة التجريبية (إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة)

تم تدريس طلاب المجموعة التجريبية كآلاتي:

- 1- تقسيم الطلاب إلى مجموعات تعاونية (كل مجموعة تتكون من 4-6 طلاب)؛ وذلك لضبط أثر التعلم التعاوني ، علما ان طلاب كل مجموعة غير متجانسين في التحصيل الدراسي والذكاء .
- 2- بعد تمهيد الدرس، تعطى مقدمة بسيطة من قبل المدرس عن المشكلة المطروحة التي لها علاقة بالدرس.
- 3- يتم توزيع ورقة العمل للطلاب بها خطوات حل المشكلة ، والمصادر المتنوعة من مجلات أو كتب أو مراجع أو من شبكة المعلومات الدولية.
- 4- يحدد المدرس الوقت اللازم لانجاز المهمة، ويكون دوره في هذه المرحلة تيسير عملية التعلم وأحيانا طرح مداخلات للمجموعات لإثارة تفكير الطلاب ودافعتهم للتعلم.
- 5- يقوم الطلاب بمناقشة المشكلة المطروحة والتوصل إلى حل لها، اذ يقوم المدرس بمناقشة المجموعات في الحلول التي توصل اليها، ويؤكد على أفضل الحلول ثم يقدم المعلومات التي لم تتم مناقشتها.
- 6- يوضح المدرس النقاط التي لم تتعرض لها المجموعات، فيمكنه مثلا عرض لوحة أو مجسم، أو عرض مقطع من فلم تعليمي.

## نتائج الدراسة ومناقشتها

### عرض النتائج

بعد معالجة البيانات إحصائياً أظهر البحث النتائج الآتية :-

#### 1. الفرضية الأولى:

" لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات تحصيل طلاب المجموعة الضابطة " .

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة استخدم الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين , اذ وجد أن القيمة التائية المحسوبة (2,14) وهي أعلى من القيمة الجدولية البالغة ( 2,00) عند مستوى دلالة ( 0.05) ودرجة حرية (58) مما يدل على أن استخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة له أثر واضح في زيادة تحصيل طلاب المجموعة التجريبية مقارنة بتحصيل طلاب المجموعة الضابطة وبذلك ترفض الفرضية الصفرية الأولى. وكما في الجدول (4) .

#### جدول (4)

القيمة التائية المحسوبة لدرجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في

الاختبار التحصيلي

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	30	74,33	11,64	2,14	2,00	دال
الضابطة	30	67,63	12,62			

## 2. الفرضية الثانية

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة على اختبار التفكير العلمي .

ولمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي الدرجات على اختبار التفكير العلمي للمجموعتين التجريبية والضابطة، استخدم الباحث الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين، وقد تبين ان القيمة التائية المحسوبة (2,09) عند درجة حرية (58) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (2,00) عند مستوى دلالة (0.05). وبذلك ترفض الفرضية الصفرية الثانية وكما في الجدول (5).

جدول (5)

القيمة التائية لدرجات طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في اختبار التفكير العلمي

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
التجريبية	30	24,67	4,45	2,09	2,00	دال
الضابطة	30	21,13	5,76			

## تفسير النتائج

ويمكن أن تعزى النتيجة السابقتين إلى أن طلاب المجموعة التجريبية (الذين درسوا عن طريق إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة) اكتسبوا مهارات التفكير العلمي أثناء ممارستهم لهذا النوع من التعلم، إذ إن المشكلات التي اتصلت بمواضيع الكيمياء التي درستها الطلاب لم يكتسبوا فيها المحتوى فقط، وإنما اكتسبوا مجموعة من المهارات العقلية والعلمية كالتحليل، والتفسير، والاستنتاج وفرض الفروض. ويرى تشان يان وباروفدي (Chun-Yen and Barufaldi, 1999) كما جاء في إبراهيم

(2004) إلى أن التعلم المبني على المشكلة تعلم لا يركز فقط على المعارف والمعلومات "معرفة ماذا" ولكن يتعدى ذلك بالتركيز أيضا على الإجراءات المعرفية أي "معرفة كيف" حيث إن "معرفة ماذا" تمكن المتعلمين من اكتساب المعرفة النظرية فقط، بينما "معرفة كيف" تمكن المتعلمين من تطبيق المعرفة والمفاهيم في مواقف جديدة، وأن هذا التطبيق يتطلب استخدام مجموعة من المهارات العقلية . كما أكد ديش (Duch, 1996) أن الطلبة في إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة يمرون بخبرة ما يعرف بـ"ممارسة العلم" الذي يعني استخدام مهارات التفكير العلمي المختلفة المشار إليها سابقا في الحصول على المعلومة.

كما أنه في هذا النوع من التعلم لا يتم تقديم المعلومة جاهزة للطلبة، بل يقوم المتعلم بنفسه بالبحث عنها والوصول إليها من خلال المصادر المتعددة كالكتب العلمية، والموسوعات، والمصادر الإلكترونية كالإنترنت. ولكي يتم ذلك فإن المتعلم يستخدم مجموعة من المهارات كالملاحظة، والتنبؤ، والاستنتاج، والاستدلال، والتحليل، وبالتالي يكتسبها الطالب وتنمو عنده، وهذا ما لم يتوافر لدى طلاب المجموعة الضابطة. وقد أشار سونمز (Sonmez, 2003) إلى أن المشكلات التي تقدم للطلبة في التعلم المبني على المشكلة تؤكد وتعمل على إكساب وتنمية مهارات التفكير المختلفة ومهارة التحليل.

فضلا عما سبق فإن الباحث يرى أن إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة تتضمن العديد من الاستراتيجيات التدريسية مثل التعلم التعاوني وحل المشكلات والاكتشاف والتي أثبتت فاعليتها في تنمية مهارات التفكير العلمي في كثير من الدراسات والبحوث التربوية .

وبشكل عام يمكن القول إن نتائج هذه الدراسة تتفق في كليتها أو بعض من أجزائها مع الدراسات التي أشارت إلى أثر إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة في إكساب المهارات العقلية والعلمية ومهارات البحث وحل المشكلات مثل دراسة إبراهيم (2004)، وبانج وآخرين (Pang et al, 2002)، و نادي وآخرين (2000)، (Nadi et al.



### الاستنتاجات :

- 1- في ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث ، يمكن استنتاج ما يلي :  
1- ان لاستراتيجية التعلم المبني على المشكلة اثر دال احصائيا في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء .
- 2- ان لاستراتيجية التعلم المبني على المشكلة اثر في تنمية التفكير العلمي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط .

### التوصيات :

- 1- في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فإن الباحث يوصي بما يلي:  
1- حث مدرسي مادة الكيمياء ومدرساتها على استخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تدريسهم .
- 2- تدريب مدرسي ومدرسات مادة الكيمياء قبل الخدمة وأثناءها على كيفية استخدام استراتيجية التعلم المبني على المشكلة .
- 3- قيام واضعي منهج الكيمياء بجعل منهج الكيمياء مبني على شكل مشكلات واقعية قريبة من الطالب حتى يمكنه استيعابها بشكل جيد .

### المقترحات :

- 1- إجراء دراسات على إستراتيجية التعلم المبني على المشكلة على مناهج العلوم الطبيعية الاخرى (الفيزياء وعلوم الحياة ) وفي مراحل دراسية اخرى ، وعلى متغيرات أخرى مثل الاتجاهات العلمية، والتفكير الناقد والتفكير الابتكاري.
- 2- اجراء دراسات لمقارنة هذه الاستراتيجيات مع استراتيجيات تدريسية اخرى من حيث اثرها في متغيرات تربوية معينة كالتحصيل او الاتجاهات او التفكير بانواعه .

### المصادر :

- 1- إبراهيم، بسام (2004). أثر استخدام التعلم القائم على المشكلات في تدريس الفيزياء في تنمية القدرة على التفكير الإبداعي والاتجاهات لدى طلاب الصف التاسع، مجلة المدرس/الطالب، العددان الأول والثاني: 4-22.
- 2- ابو جادو ، صالح محمد علي (2003) ، علم النفس التربوي ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان .
- 3- ابو جادو صالح محمد ومحمد بكر نوفل (2010) تعليم التفكير (النظرية والتطبيق) ، ط3 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الاردن .
- 4- امبو ، عبد الله خميس و خديجة بنت احمد البلوشي (2009) ، اثر استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تنمية عمليات العلم لدى طالبات الصف العاشر ( الاول الثانوي) في مادة الاحياء ، سلطنة عمان ، بحث منشور في شبكة الانترنت .
- 5- الباوي ، ماجدة ابراهيم و هدى كريم الخفاجي (2009) ، اثر انموذج التدريب على التساؤل في التحصيل وتنمية التفكير العلمي لطالبات الصف الثاني المتوسط في مادة الفيزياء ، مركز المنشاوي للدراسات والبحوث ، <http://www.minshawi.com/node/686>
- 6- بركات، زياد حسين (2005)، العلاقة بين التفكير التأملي والتحصيل لدى عينة من طلبة الجامعة، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، كلية التربية، جامعة البحرين، المجلد (6)، العدد (4)، ديسمبر.
- 7- البلوشي ، خديجة بنت احمد (2008) ، اثر استراتيجية التعلم المبني على المشكلة في تحصيل مادة الاحياء واكتساب مهارات حل المشكلة لدى طالبات

- الصف العاشر من التعليم العام ، كلية التربية ، جامعة السلطان قابوس ، رسالة ماجستير غير منشورة .
- 8- جاسم، صفاء محمد (2006)، أثر أسلوب قصص السُّنة النبوية في تحصيل طلاب الإعدادية الإسلامية في مادة الحديث الشريف، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية التربية (أبن رشد).
- 9- ديسيل، روبرت (2001). كيف تستخدم التعلم المستند إلى مشكلة في غرفة الصف، ترجمة مدارس الظهران الأهلية، الدمام، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع .
- 10- زيتون ، عايش محمود (2007) ، النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم ، دار الشروق ، القاهرة .
- 11- عبد الحميد، جابر (1999). استراتيجيات التدريس والتعلم ، ط1 ، القاهرة ، دار الفكر العربي.
- 12- عبيدات ، سليمان احمد ، القياس والتقويم التربوي (1988) ، ط11 ، عمان ، المطابع التعاونية .
- 13- عبيدات ،ذوقان واخرون (2003) ،البحث العلمي مفهومه وادواته واساليبه ،دار مجدلوي ، عمان .
- 14- القرشي ، هدى بنت عبد ربه بن حميد (2008) ،اساليب تنمية التفكير العلمي لطفل المرحلة الابتدائية وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية ،(رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية .
- 15- الكبيسي ، عبد الواحد حميد (2010) ، التفكير المنظومي ، توظيفه في التعلم والتعليم واستنباطه من القرآن الكريم ، ط1، دار ديونو للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .

- 16- كلنتن ، عبد الرحمن و عبد الناصر فخرو (2000) ،تنمية مهارات التفكير المنهجي لدى طلاب المرحلة المتوسطة ، مكتب التربية لدول الخليج: <http://www.dahsha.com/old/viewarticle.php?id=10694>
- 17- محمود ، رائد ادريس (2010) ، اثر استخدام المدخل المنظومي في تحصيل طلاب الصف الخامس العلمي في مادة الكيمياء وتفكيرهم العلمي ، بحث مقبول للنشر في المؤتمر العالمي للتعليم في عمان ، الاردن .
- 18- النادي ،محمد رجا عباس (انترنت)، استخدام التعلم المستند الى مشكلة في الصفوف ، مجلس ابو ظبي للتعليم ، المنطقة الغربية التعليمية .
- 19- ناصر، كريمة كوكز خضر (2003)، أثر برنامج مهارات الإدراك والإبداع في تنمية التفكير الإبداعي بحسب مستويات الذكاء والتحصيل لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد (أبن رشد).
- 20- Awest .S (1992). Problem – based learning viable addition for secondary school science School Science Review (SSR) 73 (265), 47-55.
- 21- Bentley, D. and Watts, M. (1991). Learning and Teaching in School Science, Buckingham, Open University Press.
- 22- Beyer ,Barry K (2001) , What Research Suggests About Teaching Thing Skills " In Costa ,Arthur L . (Editor ) .Developing Minds : A resource Book For Teaching , Alexandria : ASCD.
- 23- Duch, B. (1996). Problem based learning in physics: the power of students teaching students, Journal of College Science Teaching, March/April issue: 326-329.
- 24- Education Queensland (2003) Integrating curriculum planning through problem based learning Retrieved April, 5, 2006, From World Wide Web. [www.education.qld.gov.au/curriculum/area/technology/pbl.pdf](http://www.education.qld.gov.au/curriculum/area/technology/pbl.pdf)

## الضغوط النفسية وعلاقتها بالثقة بالنفس

### لدى طلبة الجامعة

م.م. حسام محمود صبار

جامعة تكريت / كلية التربية / قسم العلوم التربوية والنفسية

### المستخلص

يعد مصطلح الضغوط النفسية الذي شاع استخدامه في علم النفس والطب النفسي من المصطلحات التي اهتم بها الكثير من علماء النفس كونها تسبب للإنسان اضطرابات فسيولوجية ونفسية تؤثر فيه وتؤرقه وتفقد الثقة بنفسه إذا ما ازدادت هذه الضغوط عن المستويات الطبيعية .

وهدف البحث الحالي التعرف على مستوى الضغوط النفسية ومستوى الثقة بالنفس ، وكذلك الكشف عن العلاقة بين هذين المتغيرين لدى عينة من طلبة كلية التربية .

بلغت عينة البحث (75) طالب وطالبة .

قام الباحث ببناء مقياس للضغوط النفسية وهو جزء من المتطلبات الأساسية للبحث الحالي اذ تكون المقياس بصورته الأولية من (64) فقرة ، تم التحقق من الصدق الظاهري للمقياس من خلال عرض فقراته على مجموعة من المحكمين ، وكذلك استخراج معامل الارتباط بين درجة كل فقره مع الدرجة الكلية للمقياس ، وبذلك أصبح المقياس مكون من (60) فقرة بعد ان تم حذف أربع فقرات كان ارتباطها ضعيفا ، وقد تم حساب ثبات المقياس بطريقة إعادة الاختبار فبلغ (0,88) ويعد هذا معامل ثبات جيد ، هذا بالنسبة لمتغير البحث الأول ، أما المتغير الثاني فلقد تبني

- 25- Nadi, P. , Chan, J. , Chan, C., Chan, P.& Chan, L. (2000). Comparison of problem – based learning and conventional teaching, HKMJ, 6(3) : 301-306 .
- 26- Northern Territory University NTU, (2002), Problem – based learning, Retrieved July, 30, 2006, From World Wide Web: <http://www.ntu.au/education/oll/pbl/step2.htm>
- 27- Pang, S., Wong, T. Dorcas, A., Lai, C. , Lee, R. , Lee, W. , Mock . E & Wong . F (2002). Evaluating the use of developmental action inquiry in constructing a problem based learning curriculum for pre – registration nursing education in Hong Kong: A Student Perspective, Blackwell Science Ltd , 40 (2) , 230 – 241.
- 28- Rankin, J. (1992). Problem-based medical education: effect on library use, Retrieved June 8 .2006 from World Wide Web <http://www.pubmedcentral.nih.gov/pagerender.fcgi?artid=25613&pageindex=1>
- 29- Schwartz. P; Mennin, S. and Webb.G (2000). Problem Based Learning: Case Studies Experience and Practice , London , Kogan Page.
- 30- Sonmez, D. (2003). Problem based learning in science, ERIC Digest, Retrieve July, 8, 2006 from World Wide Web: <http://edweb.sdsu.edu/clrit/learnintree/PBL/PBLadvantages.html>.
- 31- Uyeda . S; Washburne, J Madden .J; Brigham .L and Luft .J (2002). Solving authentic science problems. The Science Teacher. 69 (1): 24 – 29
- 32- Yaman .S (2003). Effectiveness on learning outcomes of problem based learning in science education , Retrieved June ,29 , 2006, From World Wide Web : <http://darkwing.uoregon.edu/~moursund/SPSB>.

الباحث مقياس الثقة بالنفس الذي أعده ( البياتي : 2006 ) وقام الباحث بعرضه على مجموعة من المحكمين لاستخراج الصدق الظاهري ، وبلغ معامل الثبات عن طريق إعادة الاختبار (0,81) وهو معامل جيد للمتغير الثاني.

وبعد استخراج الصدق والثبات للمتغيرين (الضغوط النفسية والثقة بالنفس ) قام الباحث بتطبيق المقياسين على عينة البحث الأساسية ، وبعد جمع استمارات المعلومات تم معالجة البيانات إحصائياً باستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة ومعامل ارتباط ، وقد توصل الباحث الى النتائج التالية :

- 1- مستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة مرتفع .
- 2- مستوى الثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة ايجابي .
- 3- وجود علاقة دالة إحصائياً بين متغيري البحث .

ومن خلال هذه النتائج توصل الباحث الى عدد من التوصيات والمقترحات .

## الفصل الأول

### أولاً: مشكلة البحث :

تهتم معظم دول العالم المتقدمة منها والنامية في العصر الحالي بالعملية التربوية والتعليمية اهتماماً متزايداً ، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في تقدم المجتمع وتحقيق أهداف التنمية القومية ، فهي أداة فعالة في بناء الإنسان وتطوير شخصيته وتقدير طاقاته وقدراته العلمية .(الحبيب : 1981 : 21)

إذ كان الإنسان في كل الثقافات وعلى مر العصور هو نقطة البدء وهو الهدف فقد أصبح طلبة الجامعة أمل الأمم والمجتمعات الإنسانية في البناء والتطور ، وإنجاح الخطط التنموية الشاملة لنهضتها ورفقها ، وغدت التربية إلى جانب التعليم من وسائل الأمم الحية الصاعدة في السعي إلى صقل مواهب أبنائها ورعايتهم ، وتنمية استعداداتهم ، وميولهم ، وقدراتهم والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وخير مجتمعاتهم ، وإحداث التغيرات المرغوبة اجتماعياً وروحياً في سلوكهم ، وإعدادهم للحياة الاجتماعية الناجحة والانتفاع من طاقاتهم وإمكاناتهم والعمل على استثمارها على أفضل وجه ، فهم ثروة الأمة وعامل من عوامل تطورها وإن الاهتمام بهم والكشف المبكر عن حاجاتهم ومشكلاتهم مسألة تربوية في غاية الأهمية ، وهي هدف أسمى من أهداف التربية والتعليم فطلبة الجامعة هم ركائز أساسية وضرورية لكل مجتمع ينظر لمستقبل زاهر متقدم .(الشيباني: 1985 : 71)

وللضغوط النفسية تأثيرات على النشاط الإنساني لما يستنزفه من طاقات نفسية تنعكس على شخصية الطالب وإنجازاته لذلك تتجسد مشكلة البحث الحالي بالإجابة عن السؤال الآتي :

ما أهم الأحداث والمشكلات والصعوبات التي تواجه طلبة الجامعة التي تشكل ضغوطاً نفسية لديهم والتي من المحتمل أن تؤثر في نشاطاتهم المختلفة ومنها ثقتهم

بأنفسهم ، فالتعرف على الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة وعلاقتها بالتثقة بالنفس تعد مشكلة أساسية تستحق الدراسة العلمية إذ استدل الباحث من خلال معاشته لهذه الفئة من إن الطلبة يعانون من ضغوط نفسية مختلفة وسببها خصوصية هذه المرحلة من الدراسة وطبيعة الظروف الاستثنائية التي يعيشها مجتمعنا العراقي ، خاصة الأحداث الأليمة التي عصفت بالبلد من احتلال بغيض وظروف معاشية وأمنية مرهقة .

### ثانياً : أهمية البحث :

لقد أدركت المجتمعات المتقدمة حاجتها لطلبة الجامعة لاستثمار إمكاناتهم والإفادة منهم في مختلف المجالات (جلجل : 2000 : 254 ) . وعالمنا المعاصر باتجاهاته المادية وصراعاته يدفع الإنسان ليعيش تحت وطأة ضغوط كثيرة ، حيث التعب والإرهاق وسرعة التغيرات التي تنعكس على ببنته النفسية . (الإمارة : 1992:25) . وتؤكد الكثير من الدراسات إن الضغوط النفسية لها تأثير سلبي ومباشر على الجهاز العصبي المركزي أو الهرمونات التي يفرزها الجسم عندما يكون الفرد تحت وطأة الضغوط النفسية المختلفة ، الأمر الذي يجعله أكثر عرضة للإصابة بالأمراض . (المحارب: 1993 : 373) . ويمكن للعديد من الاحباطات ومصادر الضغوط التي تواجهنا في حياتنا الاجتماعية والشخصية والعملية إن تسبب لنا الضغط ، وسبب التقدم العلمي السريع والبيئة سريعة التغير فقد أصبح الضغط جزءا من مؤثرات نشعر بآثارها ، وقد درس الضغط باحثون في مجالات علم النفس وعلم الاجتماع والطب وأصبح الناس مهتمين بشكل كبير بموضوع الضغوط وآثاره والسيطرة عليه. (Adams:1999:3)

إن الضغوط الخارجية منها والداخلية قد اكتسبت أهميتها من طبيعة كونها حالة نفسية مستمرة يصعب تحاشيها ، لأنها تحدث تفاعلا عند الكائن الحي استجابة

لحاجاته ، لاسيما إن الحياة تستلزم ولا سيما إن الحياة تستلزم ثقة بالنفس تدفع الإنسان للإحساس بمستويات منخفضة من الضغط (السلطاني : 1994 : 4) وإذا كانت الضغوط النفسية تترك آثارها في مجالات الحياة جميعها في المراحل العمرية المختلفة ، فإنها تكون بدرجة أكبر على طلبة الجامعة لذلك يتطلب منهم أن يمتلكوا ثقة عالية بالنفس لمواجهة تلك الضغوط .

يهدف التعليم العالي إلى أعداد جيل قوي في بنيته وشخصيته وأخلاقه ، يعي تراثه الحضاري ويتسلح بمنجزات العصر العلمي الواسعة ، كما يهدف إلى إعداد مفكرين وأساتذة جامعيين وخبراء في مجال اختصاصهم وذلك لتحقيق التربوية والثقافية والاقتصادية والعلمية وما تحتاجه من كفاءات وخبرات في جميع مرافق القطر وقطاعاته المتنوعة . (العناد: 1999 : 864)

لذا فان دراسة الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة له ما يبرره للأسباب التالية :-

- 1- الوقوف على الضغوط النفسية ومعرفتها يسهم في التخفيف منها .
- 2- هذه الشريحة المهمة لم تتل من الباحثين الاهتمام الكافي .
- 3- إن التعرف على الضغوط التي يواجهها طلبة الجامعة وعلاقتها بالتثقة بالنفس يساعد على بناء مجتمع حضاري ومتناسك .
- 4- إن التغيرات المتسارعة في عصرنا الحاضر وما يعيشه مجتمعنا في العراق تجعل موضوع الضغوط متغيرا يستحق الدراسة بشكل متتابع ومستمر وخاصة في الظروف الراهنة .
- 5- أهمية هذه المرحلة في إعداد كوادر علمية واجتماعية فعالة .

تؤدي سمات الشخصية والمفاهيم الخاصة عن الآخرين دورا كبيرا في ازدياد القدرة على الإيضاح وانخفاضها ، فالأشخاص الذين يفقدون إلى الثقة بالنفس وعدم

الإحساس بالأمان غالبا ما يتعرضون للضغوط أكثر من غيرهم ممن يتميزون بقدر من ارتفاع الثقة بالنفس والمركز الاجتماعي .(إبراهيم : 1987 : 177)

### ثالثاً : أهداف البحث :

- 1- التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة .
- 2- التعرف على مستوى الثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة .
- 3- الكشف عن العلاقة بين الضغوط النفسية والثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة .

### رابعاً : حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على طلبة الدراسات الأولية في كلية التربية جامعة تكريت للعام الدراسي 2010 - 2011 .

### تحديد المصطلحات :

#### أولاً: الضغوط النفسية Psychological Stresses

##### 1- تعريف شوبر 1995 :

هي تلك العوامل الخارجية والداخلية الضاغطة على الفرد ككل ، أو على أي عضو فيه ، الامر الذي يؤدي الى الشعور بالتوتر والاختلال في تكامل شخصيته ، وعندما تزداد شدة هذه الضغوط فان ذلك يفقد الفرد قدرته على التوازن ويغير نمط سلوكه .(شوبر : 1995 : 3)

##### 2- تعريف العجيلي والحلو 1997 :

هي الأحداث النفسية التي يحس معها الفرد بالتحدي والتهديد .(العجيلي

والحلو : 1997 : 48)

##### 3- تعريف المدرس 2000 :

الاحداث المؤلمة المزعجة التي يتعرض لها الافراد وتسبب شعورا بالضيق والتوتر وتبعدهم من حالة التوازن النفسي ، تنشأ عن مصادر اما داخلية (داخل الفرد

نفسه ) أو خارجية (بيئة الفرد) والتي يشعر بها الافراد بأنها تشكل عبئا عليهم.  
(المدرس : 2000 : 14)

##### 4- تعريف الربيعي 2001 :

الاحداث والمشكلات والصعوبات التي يدركها الطلبة وتشعرهم بالخوف والقلق وعدم الاتزان ، مما يتطلب منهم جهدا اضافيا لاعادة التوازن . (الربيعي : 2001:9)

ويعرفها الباحث نظريا بأنها :

مجموعة من المواقف والاحداث الاجتماعية والاكاديمية التي ينجم عنها اعراض سلبية كالغضب والاكتئاب والقلق ، والتي تحدث نتيجة عوامل قد تكون خارجية او داخلية ، تهدد دوافع الفرد وترهق قدراته وقابليته على التعايش والتكيف .

اما التعريف الاجرائي :

فهو الدرجة التي يحصل عليها الطلبة من خلال استجاباتهم على فقرات مقياس الضغوط النفسية والمعد لاغراض البحث الحالي .

#### ثانياً: الثقة بالنفس :

##### 1- تعريف النعيمي 1999 :

سمة من سمات تكامل الشخصية بواسطتها يستطيع الفرد مواجهة الآخرين والاعتماد على نفسه وعدم التواني بالبداية بممارسة أعماله دون خوف أو تردد وعدم الشعور بالنقص أو الخجل من الآخرين .(النعيمي : 1999 : 22)

##### 2- تعريف البيرقدار 2004 :

سمة شخصية ايجابية تظهر من خلال تعرف الفرد على قدراته وامكاناته وتساعد في استثمارها في مختلف مجالات الحياة .(البيرقدار : 2004 : 18)

## 3- تعريف البياتي 2006 :

وهو ما تعكسه إمكانيات الفرد وقدراته في الاعتماد على نفسه من أجل تدبير أموره وتحقيق احتياجاته ، وتقبله لذاته كما هي ، وعدم الشعور بالدونية أمام الآخرين .(البياتي : 2006 : 21)

## أما التعريف النظري للباحث :

الشعور بتحقيق الذات وتقبل الآخرين والقدرة على مواجهة المواقف الصعبة والظروف المختلفة دون خوف أو تردد وعدم بالدونية مع الآخرين .

## أما التعريف الاجرائي :

هي الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب جراء استجابته لفقرات مقياس الثقة بالنفس الذي تبناه الباحث .

## الفصل الثاني

## الإطار النظري

## أولاً: الضغوط النفسية : Psychological Stresses

## أ- مفهوم الضغط :

يعتبر مصطلح الضغط الذي يشاع استخدامه في علم النفس والطب النفسي ، مستعار من الدراسات الفيزيائية والهندسية ، حيث كان يشير الى الاجهاد والضغط والعبء ، وقد تناوله الافراد والجماعات بتسميات مختلفة تبعاً لاختصاصاتهم وموضوعاتهم فتحدث عنه الاطباء في اطار الفسيولوجيا ، والمهندسون للإشارة الى مدى التحمل الخرساني ، أما علماء النفس فتناولوا المصطلح احياناً في ضوء تغير سلوكي . (الزبيدي : 2000 : 22 )

ويشير الخولي (1976) الى كلمة (Stress) بانها تعني الضغط أو الشدة أو المحنة ، وتشير الى كل ما يسبب اجهاداً للفرد مثل القوة التي تضغط شيئاً او تجذبه ، وفي علم وظائف الاعضاء تفيد الكلمة احداث توتر لدرجة الاجهاد او الاحساس بهذا التوتر ومن الناحية المرضية تستخدم الكلمة (Stress ) لكل ما يسبب اجهاد او توتراً نفسياً شديداً . ( الخولي : 1976 : 426-428 )

ويمكن توضيح المواقف الاساسية ازاء استعمال الكلمة (Stress) :

الاول: تعبر عن عوامل الموقف الضاغط ( المتطلبات والقيود والصعوبات والمشكلات الموقفية ) .

الثاني : تستخدم Stress للدلالة على ردود الافعال المتمثلة في التغيرات النفسية والانفعالية والتغيرات الفسيولوجية والسلوكية ، وهو يتناقض والموقف الاول .

الثالث : يطالب باستبدال لفظة Stress واحلال ألفاظ اخرى أكثر وضوح .

**الرابع :** يفضل استعمال لفظة Stress لكونه مفهوماً جامعاً للعوامل الموقفية الضاغطة والانعكاسات النفسية والسلوكية . ( الزبيدي : 2000 : 23-25 )

**ب- أنواع وأصناف الضغوط النفسية :**

**وكذلك تصنف الضغوط النفسية الى تصنيفات عديدة منها :**

**الصنف الاول :** الضغوط الفيزيائية : ومسبباتها خارجية كالتلوث الكيميائي والاشعاعات والضوضاء التي تسبب ضرراً للفرد اذا تعرض لها بقوة كافية ربما يؤدي الى الموت .

**الصنف الثاني :** الضغوط الاجتماعية : وتحدث نتيجة التفاعل بين الفرد والبيئة .

**الصنف الثالث :** الضغوط النفسية :وهي أكثر أنواع الضغوط اضراراً بسبب طبيعتها التوتيرية .

**(السلطاني : 1994 : 20 )**

وصنف سكواب وريتشارد (Schwab & Pritchard) الضغوط تبعاً لشدتها:

**الضغوط الخفيفة :** ويستمر تأثيرها من ثواني الى ساعات ، كما يحدث في الظهور أمام جمهور كبير من الناس .

**الضغوط المتوسطة :** ويستمر تأثيرها من ساعات الى ايام كتغيب احد افراد الاسرة عن البيت لمدة طويلة او الاستمرار في العمل الإضافي .

**الضغوط الشديدة :** ويستمر تأثيرها لاسباب او اشهر أو حتى سنوات مثل موت شخص عزيز او التعرض لخسارة فادحة . ( الربيعي : 2001 : 14 )

**ج- مصادر الضغوط النفسية :**

تؤكد الدراسات النفسية ان مصادر الضغوط النفسية متباينة ومتداخلة في آن واحد ، ويمكن ان تتمثل في اضطرابات العلاقات الانسانية وتهديد الانسان لآخيه

الانسان كما بينت دراسات عديدة ودراسات اخرى تحدثت عن ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة ، وتفتي المكروبات من الاعراض الفسيولوجية للضغوط المهددة للجسم التي تنشط على اثرها الاليات الدفاعية المقاومة للفيروسات والمحافظة على الحياة .

**(الموسوي : 1998 : 103)**

وتمثلت مصادر الضغوط في دراسة جارييس (Charies 1987) في الاصدقاء والوالدين والخوف من الفشل وابلاغ الآباء بسلوك ابنائهم والتأنيب المنفرد وخضم الدرجات وتكليف الطالب باعمال اضافية وطرده من الفصل وحرمانه من الانشطة الاجتماعية والعقاب أمام زملائه والعقاب البدني وعدم معرفة اساليب المذاكرة وعدم المام المعلم بالسبل التربوية وعدم احترام مشاعر الطالب وعدم مساعدته في حل مشكلاته والمعاملة السيئة ، كما ان المتغيرات الاجتماعية والشخصية تعد عوامل اساسية في الضغط الأكاديمي . ( Schwab & Pritchard :1987 : 20 )

**ثانياً : الثقة بالنفس :**

**طبيعة الثقة بالنفس :**

يعرف ( جيلفورد) الثقة بالنفس بأنها عامل يمثل اتجاه الفرد نحو ذاته ونحو بيئته الاجتماعية ويرتبط بميل الفرد الى الاقدام على البيئة أو التراجع عنها ، كما لخص مظاهر مشاعر نقص الثقة بالنفس بالتمركز حول الذات والشعور بعدم الرضا عن الاحوال والخصائص الشخصية ويؤدي الاحساس بالكفاية النفسية والاجتماعية الى الشعور بالامن أثناء مواجهة التحديات في مواقف الحياة الاعتيادية . (أسعد : 1987 : 43-54 )

ان الاشخاص الذين يتمتعون بثقة في النفس يميلون الى استكشاف الخبرات المهددة والتعرض لها ، أما الافراد الذين لا يتمتعون بهذه الثقة فانهم يميلون الى الابتعاد عن مثل هذه الخبرات .



والافراد يتوصلون الى فهم ذاتهم من خلال الطرائق التي يعاملهم بها غيرهم  
اثناء فترات نموهم وتطورهم.

ان عملية بناء الثقة بالنفس وتكوين الشخصية هي عملية متطورة تنمو  
باستمرار تبعا لعوامل فسيولوجية وللظروف والمواقف والخبرات الشخصية التي يمر بها  
الفرد ، وان حصيلة كل موقف من المواقف يضيف الى ادراك الفرد ادراكا جديدا  
وصورة عن نفسه .(أبو عطية : 1988 : 164-165)

ونسنتج من ذلك ان الثقة بالنفس مفهوم نفسي يتكون من مجموعة خبرات  
الفرد وادراكه لنفسه ومن تفاعله المستمر مع بيئته وخصوصا والديه والافراد المحيطين  
به ، ولها دور مهم في تكوين شخصيته فهي :

- 1- توفر الإحساس بالقوة نحو انجاز الاعمال .
- 2- تقود الى الاقدام والمبادرة ومواجهة التحديات .
- 3- تقود الى الشعور بالامان .
- 4- ترتبط الثقة بالنفس بالصحة العقلية والتحصيل اذ تعد شرطا اساسيا في نجاح  
الفرد .
- 5- لديه مفهوم ذات ايجابي ويستطيع التعبير عن مشاعره الايجابية والسلبية .

النظريات التي فسرت الضغوط النفسية :

#### 1- نظرية أعراض التوافق العام :

يعتبر (هانز سيللي) من أشهر الباحثين الذين ارتبطت أسمائهم بموضوع  
الضغوط ونجاحه في المجال الطبي بتأثير الضغوط على الانسان وقد جاء اكتشافه  
للضغط بالصدفة خلال بحوثه على الهرمونات الجنسية في العشرينات ، فقد لاحظ  
بعد حقن فئران تجارية بأنسجة غددية غير معقمة لاحظ ردود فعل غير واضحة منها

تضخم في الغدة الادرالية ، تضاعل وضمور في بعض الحالات للغدة التيموسية  
وظهور قرحة في الجهاز الهضمي .

وقسم سيللي مجموعة الاعراض التكيفية للضغط او ردود الفعل تجاه المصدر  
الضاغط الى ثلاث مراحل :-

#### أولا : مرحلة الانذار او التنبيه Hanns Selye :

تمثل مرحلة الانذار ورد الفعل الاول للموقف الضاغط عندما يدرك الفرد  
التهديد الذي يواجهه عن طريق الحواس التي تنتقل منها اشارات عصبية ، أي الدماغ  
وبالتحديد الى الغدة النخامية . وهذا بدوره يرسل رسائل عصبية وكيميائية للجهاز  
المعنية في الجسم حيث يفرز هرمون الادرالين ، مما يؤدي الى زيادة التنفس وزيادة  
السكر والدهون في الدورة الدموية ، وتشتد العضلات لينتهي الجسم لعملية المواجهة  
وتعرف هذه التغيرات بالاستثارة العامة . (جان : 1997 : 76 )

#### 2- مرحلة المقاومة :

اذ تنتقل مقاومة الجسم من المقاومة العامة الى مقاومة الاعضاء الحيوية  
المعينة ، حيث تكون قادرة على الصمد لمصدر التهديد ، كما ان الكائن الحي يتكيف  
مع مصدر الضغط ، ومع ذلك هناك حدود لعملية المقاومة من جانب الجسم .(علي  
: 2000 : 35)

#### 3- مرحلة الاستنزاف :

تبرز هذه المرحلة اذا استمر التهديد واستنزفت الاعضاء الحيوية قواها اللازمة  
للمصمود ، كما ان هناك ادلة علمية تبين ان استمرار الضغط يمكن ان يؤدي الى  
ضعف جهاز المناعة في الجسم وفي الحالات القصوى يؤدي الى الموت .(الزيود :  
1998 : 248 )

## ثانياً: نظرية موس وشيفر Moos &amp; Shafer :

تقدم هذه النظرية نموذجاً توضح فيه استجابات الفرد للضغوط تمر بثلاث مراحل بحسب قوة الحدث الضاغط .

## المرحلة الأولى :

العوامل الديمغرافية والشخصية للفرد ، وعوامل تتعلق بالخبرات الضاغطة ، كنوع الحدث ومدى وقوع الحدث وإمكانية مواجهة الحدث ، وعوامل تتعلق بالبيئة الاجتماعية حيث تتفاعل هذه العوامل وتؤثر على إدراك الفرد للحدث الضاغط وأساليب مواجهته وقدرة الفرد على التحمل .

## المرحلة الثانية :

1- إدراك الفرد لمعنى الحدث الضاغط ، وهذا الإدراك يبدأ بعد صدمة الحدث الضاغط بصورة غامضة .

2- الأعمال التي تهيئ الفرد للتوافق مع الحدث الضاغط لمحاولة الفرد الاحتفاظ بتوازنه ، والتحكم بمشاعره السلبية التي خلفها هذا الحدث ان يشعر بقدرته وكفاءته على التحكم والسيطرة على الموقف .

3- محاولة الفرد اتخاذ أسلوب لمواجهة الموقف بهدف استعادة توازنه النفسي ، وهي بشكل عام عمليات مختلفة هدفها حشد طاقات الفرد المعرفية والوجدانية لمواجهة الموقف .

## المرحلة الثالثة :

تعد محصلة نمائية لتفاعل جميع العناصر السابقة بهدف مواجهة الموقف ، وقد تكون المواجهة في صورة توافق ناجح وبالتالي يستطيع الفرد مواصلة حياته، وقد يخفف الفرد تحقيق التوافق فتظهر عليه الاضطرابات النفسية.(السلطاني:1994: 25)

## الاتجاهات والنظريات التي فسرت الثقة بالنفس Self-Confidence

## 1- نظرية اريكسون Erik Erikson :

يرى اريكسون ان النمو الانساني يمر عبر مراحل متسلسلة ولكل مرحلة اهدافها وخصائصها ، وان هذه المراحل متكاملة اذ ان النجاح في اجتياز المهام النهائية المرتبطة بالمرحلة النمائية التي سبقتها ، أذ يواجه الطفل في كل مرحلة من هذه المراحل مشكلة واطلق عليها اريكسون ازمة (Crisis) ، وعليه ايجاد الحل المناسب ليجتاز هذه المشكلة بطريقة ايجابية حتى يستمر بالنمو السوي .(ابو جادوا : 1998 : 2000 : 246)

## 2- وجهة نظر كل من دولارد 1900 Dollard وميللر 1909 Miller :

يشيران الى أهمية تعديل العادات والسلوكيات غير المرغوبة في الشخصية من خلال تقديم مثيرات او خلق مواقف جديدة تساعد الفرد على ترك العادات السيئة والتي من ضمنها ( ضعف الثقة بالنفس ) ، وبالتالي سوف يتكون السلوك السوي المتكيف مع البيئة.(جابر : 2004 : 232 )

## 3- رأي ماسلو Maslow 1908-1970 :

يعد مازلو من المنظرين الذين اعطوا أهمية كبيرة للحاجات من خلال وصفها على شكل هرمين ، وتبدأ من أكثر الحاجات أهمية والاحا على الفرد في درجة اشباعها وهي الحاجات الفسيولوجية الى اقل الحاجات الاحا على الفرد وهي الحاجات الجمالية والتذوقية ، والتي يسعى الانسان لتحقيقها بعد اشباع الحاجات الفسيولوجية او التي اطلق عليها (بالحرمانية ) في الوقت الذي اطلق على الحاجات الثلاثة الاخيرة بالنمائية .(الازيرجاوي : 1991 : 57 )

ثالثا : الدراسات السابقة :

اولا: الدراسات التي تناولت الضغوط النفسية :

#### 1- دراسة الأميري (1998) :

((الضغوط النفسية لدى طلبة جامعة تعز وعلاقتها بتحصيلهم الدراسي))

هدفت الدراسة الى التعرف على مستوى الضغوط لدى طلبة جامعة تعز ، وهدفت الى ايجاد العلاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي لدى افراد العينة . تكونت عينة الدراسة من (308) طالب وطالبة وتبنى الباحث مقياس العبادي الذي بلغ عدد فقراته (113) فقرة بعد تكييف المقياس على البيئة اليمنية ، استخدم الباحث معمل ارتباط بيرسون والاختبار التائي لعينتين مستقلتين ومعادلة الفا كرونباخ كوسائل احصائية .

وتوصلت نتائج الدراسة الى ان الطلبة يعانون من ضغوط نفسية مختلفة منها اسرية ومنها اجتماعية وصحية ، اقتصادية ، عاطفية ، ولا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات الذكور والاناث في مقياس الضغوط النفسية أي ان الاناث يعانين من هذه الضغوط بدرجة اعلى من الذكور ، كما لا توجد علاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل تبعاً لمتغيرات البحث .(الأميري : 1998 : 5-67 )

#### 2- دراسة الربيعي (2001) :

((الضغوط النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلبة الدراسات العليا في

جامعة بغداد))

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد ، وهل هناك فروق فردية في الضغوط لدى طلبة الدراسات العليا ، وهل توجد فروق في الضغوط بين افراد العينة تبعاً لمتغيرات

(المرحلة / ماجستير ، دكتوراه ، والتخصص / علمي ، انساني والجنس ) وهل توجد هناك علاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي تبعاً للمتغيرات المذكورة آنفا . تكونت عينة الدراسة من (167) طالب وطالبة يمثلون نسبة (10%) من مجتمع البحث تم اختيارهم بالطريقة الطبقيّة العشوائية .

قام الباحث ببناء مقياس للكشف عن الضغوط التي يواجهها طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد .

استخدم الباحث مجموعة من الوسائل الاحصائية لمعالجة البيانات بغية التحقق من اهداف البحث مثل (ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان براون ، الاختبار التائي لعينة واحدة ولعينتين مستقلتين ، تحليل التباين الثلاثي ، الاختبار الزائي ) . وتوصلت الدراسة الى ان طلبة الدراسات العليا يعانون من ضغوط نفسية مختلفة (أسرية ، اجتماعية ، اقتصادية ، دراسية ، صحية ، نفسية وعاطفية ) وبدرجة فوق المتوسط المعياري .

- وجود فروق ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط النفسية تبعاً لمتغيري المرحلة .  
-توجد فروق ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط تبعاً لمتغيري التخصص .  
-لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط النفسية في تفاعلات المرحلة والتخصص والجنس .

-لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية في درجة الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي .  
-لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي تبعاً لمتغيرات المحلة والتخصص والجنس .(الربيعي : 2001 : 6-57)

ثانيا : الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس :

### 1- دراسة الركابي (2000) :

((مستوى الطموح وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلبة كلية التربية في الجامعة

المستنصرية ))

هدفت الدراسة التعرف على مستوى الطموح والثقة بالنفس ومعرفة الفروق في مستوى الطموح والثقة بالنفس وفق متغيرات البحث ( الجنس ، التخصص ، السنة الدراسية ) إذ طبقت الباحثة المقاييس على عينة مكونة من (277) طالب وطالبة من طلبة كلية التربية في الاقسام العلمية والانسانية ، لقد استخدمت الباحثة لقياس مستوى الطموح مقياس رسول المعد سنة (1984) ، ومقياس الثقة بالنفس الذي اعده الباحثة ، واستخدمت كذلك الوسائل الاحصائية التالية ( الاختبار التائي ، تحليل التباين ، معامل ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان التصحيحية ، مربع كاي ) وظهرت النتائج ان الطلبة يتمتعون بدرجة عالية من مستوى الطموح والثقة بالنفس كذلك وجود علاقة ايجابية دالة احصائيا بين مستوى الطموح والثقة بالنفس ، وان هناك تأثيرا لمتغير الجنس على كل من مستوى الطموح والثقة إذ ان الذكور يتمتعون بدرجة عالية من الثقة بالنفس ، واما الاناث فيتمتعن بدرجة عالية من مستوى الطموح ، وانه ليس هناك تأثيراً لكل من التخصص الدراسي والسنة الدراسية على كل من مستوى الطموح والثقة بالنفس .(الركابي : 2000: 1-31)

### 2- دراسة فتوح (2006) :

((الثقة بالنفس وعلاقتها بتعلق المراهقين بوالديهم))

هدفت الدراسة التعرف على مستوى الثقة بالنفس لدى المراهقين ومستوى تعلق المراهقين بوالديهم والعلاقة بين الثقة بالنفس وتعلق المراهقين بوالديهم وفقا لمتغير الجنس (ذكور ، إناث) ، وقد بلغت عينة البحث (600) طالب وطالبة من

المدارس الثانوية والمتوسطة في مركز محافظة نينوى ( مدينة الموصل ) ، قام الباحث ببناء مقياس الثقة بالنفس وتبنى مقياس تعلق المراهقين بوالديهم الذي أعده ( الحديثي 2002) في رسالته الموسومة ((تعلق المراهقين بوالديهم وعلاقته بتعلقهم باصدقائهم)) ، استخدم الباحث الوسائل الاحصائية الآتية لقياس متغيري البحث ( الاختبار التائي لعينة واحدة ولعينتين مستقلتين ، الاختبار التائي ، معامل ارتباط بيرسون ، معادلة سبيرمان براون ، وأظهرت النتائج ان هناك فروق دالة احصائيا بين المتوسط المتحقق للثقة بالنفس وهو مؤشر سليم على نمو الشخصية السوية لدى المراهقين ، وهناك فروق دالة احصائيا بين المتوسط الفرضي للمقياس ولصالح المتوسط المتحقق ، وهذا يدل على ان المراهقين والمراهقات ابدوا تعلقا عاليا بوالديهم كما تبين عدم وجود علاقة احصائية بين الثقة بالنفس وتعلق المراهقين بوالديهم ، وعدم وجود علاقة احصائية دالة بين الثقة بالنفس وتعلق المراهقين بوالديهم وفقا لمتغير الجنس .(البياي : 2006 : 19-88 )

رابعا: مناقشة الدراسات السابقة :

بعد أن تم عرض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث الحالي يمكننا مناقشة ما ورد في تلك الدراسات ، وعيناتها وادوات القياس المستخدمة فيها ، الوسائل الاحصائية والنتائج التي توصلت اليها .

### 1- الاهداف :

تباينت اهداف الدراسات السابقة التي تناولت الضغوط النفسية تبعا للمتغيرات التي تناولتها كل دراسة وقد ركزت دراسة (الاميري :1998) الى التعرف على مستوى الضغوط لدى طلبة جامعة تعز ، وإيجاد العلاقة بين الضغوط النفسية والتحصيل الدراسي لدى أفراد عينة البحث ، أما دراسة (الربيعي : 2001 ) فقد هدفت التعرف على مستوى الضغوط لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد وهل هناك فروق

في الضغوط تبعا لمتغيرات (المرحلة ، التخصص والجنس ) وهل توجد علاقة بين الضغوط والتحصيل .

اما الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس فقد هدفت دراسة (الركابي : 2000) ودراسة (فتوحي : 2006) الى التعرف على مستوى الثقة بالنفس لدى أفراد عينة البحث وعلاقة الثقة بالنفس ببعض المتغيرات .

## 2- العينات :

تراوحت عينات الدراسات السابقة بين ( 600 ) الى ( 167 ) لأقل عينة في الدراسات التي تناولت الضغوط والثقة بالنفس .

## 3- الوسائل الإحصائية :

اختلفت الوسائل الإحصائية التي استخدمت في الدراسات السابقة تبعا لاهداف كل دراسة فمنها ما استخدم الانحدار المتعدد او معادلات الارتباط او مربع كاي او الاختبار التائي والانحراف المعياري وتحليل لبائين ومعادلة سبيرمان براون التصحيحية .

## 4- النتائج :

اما اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسات السابقة ، ان الطلبة يعانون من ضغوط نفسية مختلفة ( اسرية ، اجتماعية ، اقتصادية ، دراسية ، صحية ، عاطفية ) كما في دراسة (الاميري 1998) و (الربيعي 2001) ، كما توصلت دراسة (الاميري) الى ان الاناث يعانين من الضغوط أكثر من الذكور وان العلاقة غير دالة احصائيا بين الضغوط والتحصيل العلمي تبعا لمتغيرات البحث .

اما في الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس فقد اظهرت النتائج ان الطلبة يتمتعون بدرجة عالية من مستوى الطموح والثقة بالنفس ووجود علاقة دالة احصائيا بين متغيري البحث كما في دراسة (الركابي 2000) وعدم وجود علاقة احصائية دالة بين الثقة بالنفس وبعض المتغيرات كما في دراسة (فتوحي 2006) .

## الفصل الثالث

### منهجية البحث وإجراءاته

لغرض تحقيق أهداف هذه الدراسة لابد من تحديد مجتمع البحث واختيار عينة مناسبة له وإعداد مقياس يتسم بالصدق والثبات ومن ثم استعمال الوسائل الإحصائية المناسبة لتحليل البيانات ومعالجتها ، وسوف نستعرض هذه الإجراءات وكما يأتي :-

## 1- مجتمع البحث :

يتحدد مجتمع البحث الحالي بطلبة كلية التربية جامعة تكريت والذي تضمن أقسام ( علوم القرآن ، اللغة الانكليزية والكيمياء ) والبالغ عددهم ( 288 ) طالب وطالبة والجدول رقم (1) يوضح ذلك .

جدول (1) اعداد الطلاب والطالبات في الأقسام المختارة من كلية التربية

الكلية	القسم	عدد الطلاب	عدد الطالبات
التربية	علوم القرآن	35	43
	اللغة الانكليزية	87	82
	الكيمياء	22	42
المجموع		293	

## 2- عينة البحث

تألفت عينة البحث من ( 75 ) تم اختيارهم بطريقة عشوائية .

## 3- أدوات البحث :

لتحقيق أهداف البحث تطلب توافر أداتين واحدة لقياس الضغوط النفسية والأخرى لقياس الثقة بالنفس وقد تبنى الباحث مقياس (البياتي : 2006 ) أداة لقياس الثقة بالنفس بعد ان استخرج صدقه وثباته ، ووجد انه من الأفضل بناء مقياس للضغوط النفسية يتلاءم وطلبة الجامعة .

## - تصحيح الاختبار :

بما ان كل فقرة من فقرات المقياس تنظم ثلاث بدائل ( تنطبق علي دائما ، تنطبق إلى حد ما ، لا تنطبق ) لذا اعطيت الأوزان (3) للبدل تنطبق علي دائما و (2) للبدل تنطبق الى حد ما و (1) للبدل لا تنطبق ، وبذلك حسب الدرجة الكلية على أساس مجموع أوزان الإجابة على الفقرات ن أي ان أعلى درجة هي (150) و اقل درجة هي (50) درجة .

## - وضوح التعليمات :

من اجل التحقق من وضوح التعليمات وفقرات الاختبار من حيث صغتها أو لغتها وكذلك بغية تحديد الوقت الكافي للإجابة ، قام الباحث باختيار عينة عشوائية بلغت (30) طالب وطالبة من طلبة أقسام (علوم القرآن ، اللغة الانكليزية والكيمياء ) وتم تطبيق المقياس عليهم وطلب منهم تحديد كل ما يجدونه غامضا وغير مفهوم سواء كانت تعليمات الاختبار أو مواقفه ، فكانت نتيجة التجربة وضوح التعليمات والفقرات وطريقة الإجابة ، وتراوح وقت الإجابة بين (15-25) دقيقة وبمتوسط مقداره (20) دقيقة .

## - التحليل الإحصائي للفقرات :

استخدم الباحث في حساب القوة التمييزية للفقرات المكونة للمقياس أسلوب علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس ، وفيما يلي توضيح للإجراءات المتبعة في هذا الأسلوب .

## - أسلوب علاقة الفقرة بالدرجة الكلية :

من مؤشرات صدق بناء ارتباط كل فقرة في المقياس بمحك داخلي وهو درجة المقياس الكلي ، إذ يستخدم معامل الاتساق الداخلي لتحديد مدى تجانس الفقرات في قياسها للظاهرة السلوكية ، وتمتاز هذه الطريقة بعدة ميزات فهي تقدم لنا مقياسا

## أولاً: مقياس الضغوط النفسية :

لبناء مقياس الضغوط النفسية توجب على الباحث الاطلاع على مقاييس الضغوط النفسية ، وقد أطلع الباحث على عدد من هذه المقاييس منها :

1- مقياس (السلطاني : 1992) للضغوط النفسية التي تعرض لها المراهق العراقي . (السلطاني : 1994: 87-94)

2- مقياس (علي : 2000) لضغوط الحياة ومواجهتها . (علي : 2000: 79-84)

3- مقياس (الربيعي : 2001) للضغوط النفسية لدى طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد . (الربيعي : 2001 : 75-81)

وبعد الاطلاع على هذه المقاييس ودراسات أخرى مماثلة لم يجد الباحث مقياس حديث يلاءم البحث الحالي ، وعليه قام الباحث ببناء مقياس للضغوط النفسية وفقا للخطوات الآتية .

## - إعداد الصيغة الأولية للمقياس :

بعد الاطلاع على الدراسات والبحوث ذات العلاقة توصل الباحث إلى ان هناك سبعة مجالات للضغوط النفسية هي :

مجال الضغوط الأسرية      مجال الضغوط الصحية      مجال الضغوط الاجتماعية  
مجال الضغوط العاطفية      مجال الضغوط النفسية      مجال الضغوط الدراسية  
مجال الضغوط الاقتصادية

وللتعرف على مدى تمثيل المقياس للمجالات المطلوب قياسها وأهميتها النسبية تم عرض مجالات المقياس على مجموعة من الخبراء والمختصين في التربية وعلم النفس (\*) وذلك لتحديد الأهمية النسبية . وتكون مقياس الضغوط النفسية في صيغته النهائية من ( 60 ) فقرة ملحق رقم (1) .

1-أ.د. واثق عمر موسى 2-أ.د. حسام طه محمد 3-أ.م.د. صباح مرشود منوخ 4-أ.م.د. حميد

سالم خلف 5-أ.م.د. أديب محمد نادر 6-أ.م. طارق عبد الوهاب القيسي .

متجانسا في فقراته لتقيس كل فقره البعد السلوكي نفسه الذي يقيسه المقياس ككل ، وقدرته في إظهار الترابط بين الفقرات ، واعتمد الباحث في التحليل الإحصائي للفقرات على إيجاد معامل الارتباط بين الفقره والدرجة الكلية للمقياس فبعد ان تم تصحيح استجابات أفراد العينة البالغة (75) طالب وطالبة الذين طبق عليهم مقياس الضغوط النفسية لأغراض حساب تمييز الفقرات ، واستخدم الباحث معامل ارتباط بيرسون لحساب العلاقة ، فتبين ان جميع فقرات المقياس دالة إحصائيا باستثناء أربع فقرات غير دالة وهي الفقرات ( 4 ، 18 ، 44 ، 57 ) بعد معالجتها بالاختبار التائي لمعاملات الارتباط وان القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (298) تساوي (0,195) والجدول رقم (2) يوضح ذلك .

جدول (2) نتائج تمييز الفقرات باستخدام أسلوب المجموعات المتطرفة

رقم الفقره	معامل الارتباط	القيمة التائية	رقم الفقره	معامل الارتباط	القيمة التائية	رقم الفقره	معامل الارتباط	القيمة التائية
1	0,388	4,351	22	0,285	4,007	44	0,96	1,327
2	0,652	5,16	23	0,625	5,765	45	0,520	5,762
3	0,461	5,187	24	0,4765	5,12	46	0,395	6,812
4	0,127	1,713	25	0,421	4,349	47	0,543	5,832
5	0,533	4,173	26	0,304	4,410	48	0,441	4,763
6	0,652	5,332	27	0,332	6,51	49	0,876	3,328
6	0,375	4,638	28	0,654	5,654	50	0,654	4,423
7	0,432	5,122	29	0,439	3,765	51	0,391	5,735
8	0,508	3,840	30	0,521	4,65	52	0,328	4,487
9	0,680	5,147	31	0,540	4,754	53	0,537	5,431
10	0,198	3,682	32	0,650	5,76	54	0,333	3,874
11	0,578	4,661	33	0,328	4,543	55	0,871	4,723
12	0,322	3,12	34	0,743	5,765	56	0,432	6,361
13	0,336	4,123	35	0,754	6,812	57	0,112	1,37
14	0,299	4,148	36	0,285	3,765	58	0,487	4,321
15	0,782	6,15	37	0,543	4,65	59	0,336	4,725
16	0,612	5,294	38	0,793	4,654	60	0,564	6,723
17	0,218	4,126	39	0,734	5,721			

18	0,73	1,152	40	0,328	4,871
19	0,590		41	0,652	4,921
20	0,733		42	0,853	6,729
21	0,545		43	0,376	5,485

- صدق الاختبار :

الصدق من العوامل الأساسية التي ينبغي على واضع المقياس او مستخدمه التأكد منه وصدق المقياس هو قدرته على قياس ما وضع من أجله .

- الصدق الظاهري :

يرى المختصون انه من الضروري التحقق من صدق المقياس مهما كان الغرض من قياسه ، وقد تحقق هذا النوع من الصدق بعرضه على مجموعة من الخبراء (\*) .

- الثبات :

ثبات الاختبار يعني ان يشير الى مدى الارتباط بين أداء المفحوص في الاختبار وأدائهم للاختبار نفسه في مناسبة أخرى أو في اختبار مشابه له . والثبات يعني ان يعطي نفس النتائج إذا ما أعيد على نفس الأفراد في نفس الظروف .

- إعادة الاختبار :

لتحقيق ذلك قام الباحث بتطبيق المقياس على عينة بلغت (40) طالب وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية وذلك بإعادة تطبيق الاختبار بفارق أسبوعين على العينة نفسها بعد الحصول على الاستمارات واستخراج الدرجات في كلا التطبيقين واستخدام الباحث معامل ارتباط بيرسون بين درجات الاختبار وكان معامل الارتباط (0,83) .

## - الصيغة النهائية للمقياس :

تكون المقياس بصورته النهائية من (60) فقرة ملحق (1) .

## - التطبيق النهائي :

بعد ان استكمل الباحث الإجراءات الضرورية لبناء مقياس الضغوط النفسية ، والتحقق من صدق وثبات مقياس الثقة بالنفس ، قام الباحث بتطبيق المقياسين خلال شهري آذار ونيسان على عينة بلغت (75) طالب وطالبة ، وقد قام الباحث بتوزيع الاختبارين بالتناوب على أفراد العينة لتجنب الملل الذي يحصل عند الطالب .

## - الوسائل الإحصائية :

استخدم الباحث الوسائل الإحصائية بما يتلاءم مع طبيعة وأهداف البحث بعد ان استشار بعض المختصين في مجال الإحصاء وشملت الوسائل الإحصائية الآتية :  
1- معامل ارتباط بيرسون . 2- الاختبار التائي لعينة واحدة .

1-أ.د.وائل عمر موسى 2-أ.د. حسام طه محمد 3-أ.م.د. صباح مرشود منوخ 4-أ.م.د. حميد سالم خلف 5-أ.م.د. أديب محمد نادر 6-أ.م.د. كاظم علي أحمد 7-أ.م. طارق عبد الوهاب القيسي .

## الفصل الرابع

## عرض النتائج ومقارنتها

سيتمضمّن الفصل الحالي عرضاً للنتائج وتفسيرها في ضوء أهداف البحث

وكما يأتي :

## أولاً : بناء مقياس للضغوط النفسية :

لقد تحقق الهدف الأول من خلال الإجراءات التي اتبعها الباحث في بناء المقياس والتي تم الإشارة إليها في الفصل الثالث .

## ثانياً: قياس الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة :

بعد ان تم معالجة البيانات إحصائياً يوضح الجدول (3) ان المتوسط الحسابي لأفراد العينة على الاختبار كان (132,76) والمتوسط النظري (128) ودرجة الانحراف المعياري تساوي (18,4) والقيمة التائية المحسوبة (2,94) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (1,96) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0,05) .

## جدول (3)

المتوسط الحسابي والمتوسط النظري والقيمة التائية لأفراد العينة على مقياس الذكاء العاطفي

المتوسط الحسابي	المتوسط النظري	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية
132,76	128	18,4	2,94	1,96

ويتبين من النتائج الموضحة في جدول (3) ان أفراد عينة البحث يعانون من ضغوط نفسية فوق المتوسط المعياري للمقياس ، ويمكن ان يعزى ذلك إلى الأوضاع الاقتصادية والأمنية المتدهورة ، وقلة المصادر والمواد العلمية ، وانفقت هذه الدراسة مع دراسة ( الأميري : 1998 ) ودراسة (0 الربيعي : 2001 ) .



## ثالثاً: قياس الثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة :

يوضح جدول (4) ان المتوسط الحسابي لأفراد العينة (127,6) والمتوسط النظري (102) ودرجة الانحراف المعياري (11,2675) والقيمة التائية المحسوبة (13,260) وهي دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) والتي تبين ان مستوى الثقة بالنفس ايجابيا لدى طلبة الجامعة واتفقت هذه الدراسة مع دراسة ( الركابي :2000) .

جدول (4)

المتوسط الحسابي والمتوسط النظري والقيمة التائية لأفراد العينة على مقياس الثقة بالنفس

المتوسط الحسابي	المتوسط النظري	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	مستوى دلالة
127,6	102	11,2675	13,260	0,05

## رابعاً: قياس العلاقة بين الضغوط النفسية والثقة بالنفس لدى طلبة الجامعة .

ولمعرفة فيما اذا كانت هناك علاقة بين متغيري الدراسة ، قام الباحث باستخدام معامل ارتباط بيرسون لكشف العلاقة وقد بلغ (0,42) والقيمة التائية المحسوبة (3,95) وقد أظهرت هذه النتيجة وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين المتغيرين عند مستوى دلالة (0,05) وجدول (5) يوضح ذلك .

## جدول (5)

معامل الارتباط والقيمة التائية والقيمة الجدولية ومستوى الدلالة بين الضغوط النفسية والثقة بالنفس

معامل الارتباط	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
0,42	3,95	2,00	0,05

ويعزى ذلك الى ان طلبة الجامعة هم في مرحلة المراهقة المتأخرة وهذه المرحلة تكون عادتا قبل مرحلة الرشد وتحمل المسؤولية ومواجهة الضغوط المختلفة، وهذه النتيجة تؤكد على ضرورة وضع علاجات آنية لمواجهة المشاكل التي تشكل ضغوطا نفسية ترهق المنظومة النفسية لطلبة الجامعة وسبباً لفقدانهم ثقتهم بأنفسهم وعدم القدرة على مواجهة المشاكل والتحديات التي تواجههم .

## الاستنتاجات :

- 1- يعاني الطلبة من ضغوط نفسية مختلفة ( أسرية ، اجتماعية ، اقتصادية ، أمنية ، عاطفية ) .
- 2- يتمتع الطلبة بمستوى مقبول من الثقة بالنفس .
- 3- وجود علاقة ذات دلالة إحصائية في درجة الضغوط النفسية والثقة بالنفس .

## التوصيات

- 1- فتح مراكز إرشادية لتقديم الخدمات التربوية والنفسية للطلبة .
- 2- عقد ندوات ولقاءات إرشادية جماعية داخل الجامعة ، تطرح فيها مشاكل وضغوطات الطلبة أمام هيئة إرشاد مختصة .
- 3- تزويد المكتبات بالمصادر والمجلات العلمية الحديثة .
- 4- زيادة الاهتمام بالأقسام الداخلية لطلبة الجامعة .

## الافترحات

- 1- إجراء دراسات أخرى مشابهة حول الضغوط النفسية وربطها بمتغيرات اجتماعية ونفسية مثل مفهوم الذات ، التكيف الاجتماعي ، سمات الشخصية والصحة النفسية .
- 2- بناء برامج إرشادية وعلاجية لخفض حدة الضغوط النفسية التي يتعرض لها الطلبة .

**المصادر :**

- 1- إبراهيم ، عبد الستار (1987) : أسس علم النفس ، دار المريخ للنشر ، الرياض .
- 2- أبو جادو ، صالح محمد علي (1998) : علم النفس التربوي ، ط1 ، ط2 ، دار الميسرة للنشر والطباعة والتوزيع والطباعة ، عمان الأردن .
- 3- أبو عطية ، سهام درويش (1988) : نظريات الإرشاد والتوجيه التربوي ، ط2 ، مطبعة القادسية .
- 4- أسعد ، يوسف ميخائيل (1978) : الثقة بالنفس ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة .
- 5- البياتي ، محاسن أحمد حسين (2006) : الثقة بالنفس وعلاقتها بتعلق المراهقين بالديهم ، كلية التربية ، جامعة الموصل (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .
- 6- البيرقدار ، تهديد عادل فاضل (2004) : اثر برنامج تعليمي لرفع الروح المعنوية لدى طلاب كلية التربية الرياضية في جامعة الموصل ، كلية التربية (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .
- 7- جابر ، جودت (2004) : علم النفس الاجتماعي ، ط1 ، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- 8- جان ، بنجامان ستورة (1997) : الإجهاد أسبابه وعلاجه ، تعريب أنطوان الهاشم عويدات ، بيروت ، لبنان .
- 9- جلجل ، نصرة عبد المجيد (2000) : الموهوبين ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، مكتبة النهضة ، العراق .

- 10- الحبيب ن مصدق جميل (1981) : التعليم والتنمية الاقتصادية ، دار الرشيد ، بغداد .
- 11- الخولي ، وليم (1994) : الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي ، ط1 ، القاهرة ، دار المعارف ، مصر .
- 12- الربيعي ، فاضل جبار (2001) : الضغوط النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلبة الدراسات العليا ، كلية التربية ابن الهيثم ، جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .
- 13- الركابي ، نضال عبد الحسن (2000) : مستوى الطموح وعلاقته بالثقة بالنفس لدى طلبة كلية التربية في جامعة المستنصرية ، (رسالة ماجستير غير منشورة) . العراق .
- 14- الازيرجاوي ، فاضل محسن (1991) : علم النفس التربوي ، ط1 ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق .
- 15- الزبيدي ، كامل علوان (2000) : الضغوط النفسية وعلاقتها بالرضا المهني والصحة النفسية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة ، كلية الآداب جامعة بغداد (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .
- 16- الزيود ، نادر فهمي (1998) : نظريات الإرشاد والعلاج النفسي ، دار الفكر ، عمان .
- 17- السلطاني ، ناجح كريم (1994) : الضغوط النفسية التي يتعرض لها المراهق العراقي ، ومفهوم الذات ومركز السيطرة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .

- 18- شوبر ، عبدالله طاهر (1995) : الأفكار اللاعقلانية لدى طلبة الجامعات وعلاقتها بالضغوط النفسية وأساليب التعامل معها ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة ) ، العراق .
- 19- الشيباني ، عمر محمد (1988) : فلسفة التربية الإسلامية ، المكتبة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس .
- 20- العجيلي ، صباح حسين وحكمت الحلو (1997) : قياس الضغوط النفسية التي يتعرض لها التلاميذ بطيئوا التعلم ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة ) ، العراق .
- 21- عدس ، محمد عبد الرحمن (2000) : تربية المراهقين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة.
- 22- علي ، عسكر (2000) : ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها ، الصحة النفسية والبدنية في عصر التوتر والقلق ، دار الكتب الحديث ، القاهرة .
- 23- العناد ، مجذاب بدر (1999) : الدراسات العليا وأثرها في تطوير التعليم العالي في الوطن العربي ، بحث منشور ، مجلة الأستاذ ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، العدد (15) الجزء (2) ، العراق.
- 24- الإمارة ، اسعد شريف (1995) : علاقة الضغوط والتعامل معها بالخصائص العصابية لدى طلبة الجامعة ، كلية بناء برنامج إرشادي لمعالجة الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة التربية ، الجامعة المستنصرية (أطروحة دكتوراه غير منشورة ) العراق .
- 25- المحارب ، ناصر إبراهيم (1993) : الضغوط النفس اجتماعية والاكنتاب وبعض جوانب المناعة عند الإنسان ، تحليل جمعي ، مجلة دراسات نفسية ، عدد يونيو ، رابطة الأخصائيين النفسيين ، القاهرة .

- 26- المدرس ، رنا موفق محمود (2000) : بناء برنامج إرشادي لمعالجة الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الجامعة ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .
- 27- الموسوي ، حسن (1998) : الضغوط النفسية لدى العاملين في مجال الخدمة النفسية ، المجلة التربوية ، العدد (47) ، مجلد (12) ، جامعة الكويت .
- 28- الاميري ، احمد علي محمد (1998) : الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة جامعة تعز وعلاقتها بتحصيلهم الدراسي ، كلية التربية ن الجامعة المستنصرية ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، العراق .
- 29- النعيمي ، ليلي احمد عزت (1999) : الثقة بالنفس والتكيف الاجتماعي المدرسي والتحصيل الدراسي للأطفال المساء اليهم وغير المساء اليهم ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، العراق .
- 30- Adams , E. (1999) : Vocational Teacher stress and Internal characteristics, Journal of vocational and technical Education . vol . 16, no.1. pp 1-14 .
- 31- Charles , w . k . et all ( 1987) : Academic stress among Early and maid a dissents in England and united states , psychological . Abst .

## ملحق (1)

مقياس الضغوط النفسية بصورته النهائية

ت	الفقرات	تنطبق علي دائما	تنطبق علي أحيانا	لا تنطبق علي
1	تعلقي الشديد بأفراد أسرتي			
2	البعد عن الأهل لغرض الدراسة			
3	كثرة المشاكل في عائلتي			
4	تحملي لمسؤولية وإعالة العائلة			
5	تعصب أفراد عائلتي للزواج من الأقارب			
6	الالتزام بوقت محدد في العودة إلى البيت			
7	عدم مشاركتي أفراد العائلة في السفرات والمناسبات			
8	إصابة احد أختي بمرض مزمن أو عاهة جسمية			
9	تحملي مسؤولية عائلتي			
10	مقابلة الغرباء			
11	وفاة قريب عزيز			

12	اضطراري للسكن عند الأقارب بدلا من القسم الداخلي			
13	تسبب لي صراحتي إخراجا مع الآخرين			
14	الظهور بمظهر حسن أمام الآخرين			
15	الابتعاد عن الأصدقاء			
16	تدخل الآخرين في تحديد مظهري وسلوكي			
17	توتر العلاقة مع بعض الزملاء - الزميلات بسبب المنافسة الدراسية			
18	أشعر بالارتياح عند محادثتي الجنس الآخر			
19	قلة المصادر المتوفرة لتلبية حاجات البحث العلمي			
20	عدم عدالة بعض المدرسين في التعامل مع الطلبة			
21	مستلزمات الكلية لا تشجع على الدراسة			

ت	الفقرات	تتطبق علي دائما	تتطبق علي أحيانا	لا تتطبق علي
22	عدم الاستفادة من الشهادة بعد التخرج			
23	قلة التدريسيين المؤهلين للتدريس والإشراف			
24	قلة المواد الدراسية العلمية مقارنة بالمواد النظرية			
25	صعوبة الحصول على موضوعات البحوث			
26	سفر بعض التدريسيين وترك الطالب في منتصف الطريق			
27	عدم إعطاء الطالب حرية في اختيار البحوث			
28	أخشى من عدم تمكني من إكمال دراستي لضعف حالتي الاقتصادية			
29	عدم الحصول على دعم مادي من الكلية			
30	تحمل أسرتي مصروف دراستي			
31	محدودية الدخل الشهري للأسرة			
32	صعوبة توفير المتطلبات المالية لإكمال الدراسة			
33	ارتفاع أسعار الملابس			

34	ارتفاع أسعار الكتب يحول دون اطلاعي على المعرفة العلمية			
35	تكاليف الزواج			
36	شعوري بالملل والخمول			
37	كثرة الإصابة بالزكام			
38	الأرق المستمر واضطرابات النوم			
39	عندما تواجهني مشكلة أعاني من الصداق			
40	إصابتي بمرض مزمن			
41	تتأبني حالات نسيان كثيرة			
42	التأثأة في النطق			
43	سوء الحالة الصحية العامة			
44	تأخر الزواج عن بقية الإخوة والأخوات			
45	التردد في التعبير عن المشاعر تجاه الجنس الآخر			
46	كبت الأمور العاطفية			
47	شعوري بانتهاء العنصر الطيب بين الناس			
48	التحرج من طرح المشكلات العاطفية أمام الآخرين			
49	شروط الزواج تضعف فرص الحصول على الزوج المناسب			
50	تدخل الأسرة في اختيار شريك - شريكة			

الحياة			
51	ضعف القدرة على جذب أو انتباه أفراد الجنس الآخر		
52	ضعف الثقة بأفراد الجنس الآخر		
53	الخوف والقلق من المستقبل		
54	أشعر بالضيق بسبب بعدي عن الأهل		
55	ضعف القدرة على اتخاذ القرار		
56	شعوري بعدم الاستقرار والراحة لعدم وضوح مستقبلي		
57	الحاجة إلى العطف والحنان		
58	الغضب لآتفه الأسباب		
59	امتلاك الثقة العالية بالنفس		
60	أتضايق بالجور المزدهم		

## مقياس الثقة بالنفس بصورته النهائية

ت	الفقرات	تتطبق علي دائماً	تتطبق علي أحياناً	لا تتطبق علي
1	أقبل النصائح من الآخرين			
2	أشعر بأن قدرتي في التأثير على الآخرين ضعيفة			
3	أتضايق عندما يلاحظني أحد الناس			
4	لي القدرة على التأثير في الآخرين			
5	أهرب من طرح أفكارتي على الآخرين			
6	تضعف قوتي إذا اختلف رأيي مع رأي الآخرين			
8	أشعر بأنني أفضل من الآخرين			
9	أنافس الآخرين بقوة			
10	أحاول ان أستفيد من خبرات الآخرين			
11	أواجه المواقف الاجتماعية أياً كان نوعها دون تردد			
12	أغير رأيي بسرعة عندما يعارضه الآخرون			
13	لي القدرة على طرح أفكارتي أمام الآخرين			

14	أخاف ان اعترف لأهلي عندما ارتكب خطأ ما			
15	أحس بالخجل عندما أزور أقرائي وحدي			
16	لي القدرة في إقناع الآخرين			
17	استطيع توصيل أفكاري للآخرين			
18	أفضل ان اجلس وحدي عندما أجد أناسا غرباء في بيتنا			
19	أنا متأكد من قدرتي على كسب ثقة الآخرين			
20	ارتبك عند مواجهة الغرباء			
21	اغضب حين أواجه بالرفض من الآخرين			
22	أجد صعوبة في التفاعل مع الآخرين			
23	يلجأ إلي زملائي في حل مشكلاتهم			
24	أصدقائي يثقون بي كثيرا			
25	استطيع تحقيق أهدافي رغم صعوبتها			

ت	الفقرات	تتطبق علي دائما	تتطبق علي أحيانا	لا تتطبق علي
26	أشعر إنني أقل قدرة من زملائي			
27	أتوقع النجاح في معظم الأعمال التي أقوم بها			
28	اشعر بان أصدقائي يتهامون علي			
29	أتمنى ان القي كلمة في حفل مدرسي			
30	أفضل ان لا ارفع يدي في الصف حتى عندما اعرف الجواب			
31	كثيرا ما يطلب مني أصدقائي مساعدتهم			
32	لا اخجل من أصدقائي مهما كانت ملابسهم بسيطة			
33	أتضايق عندما يعرف أصدقائي بأخطائي			
34	أتردد في أخبار الأستاذ بعدم فهمي للدرس			
35	استطيع التغلب على المشاكل التي تعترضني			
36	أشعر بالضعف عندما تواجهني مشكلة دراسية			
37	أناقش الآخرين بجرأة			

38	استطيع تحقيق أهدافي رغم صعوبتها		
39	ألمي في المستقبل ضعيف		
40	أتوقع الفشل في أبسط الأشياء		
41	امتلك القدرة الكافية للدفاع عن حقوقي		
42	أفضل اختيار احتياجاتي بنفسي		
43	اشعر بالرضا عن أفعالي وسلوكي		
44	اشعر بأن أهلي لا يقتنعون بأرائي		
45	أعبر عن آرائي بحرية تامة		
46	أصمت حين يستهزئ الآخرون من حديثي		
47	أشعر بالأمن من الآخرين		
48	اعتمد على نفسي		
49	أتردد في تجربة المواقف بمفردي		
50	يضطرب صوتي عند التحدث أمام الآخرين		

## Abstract

the term ((psychology stress)) which used widely in psychology and psychology medicine has interested by psychologists, because this stress make many physiologic and psycho logic troubles that affect , worry the human and make him losing self – confidence if they be more than natural levels. this research aims to discover the levels of psycho logic stress and self – confidence levels and to discover the relationship between these two variable . among a Sample of education College pupils . the Sample of the research was (75) pupils .

the researchers Constructed a measure for psychologic stress as a main part of the basic requiremints of the research , this measure was built from (64) items . it had been verified for the face validity of the measure by reviewing it to some referee , then to Calculate the correlation coefficient between every item with the main measure then the measure be built of (60) item after eliminating (4) items that of weak correlation then we calculate the stabilization of the measure by retesting method that it was (0,88) which was a good result. this was for the first variable . the second variable the researchers adopted the measure of self – confidence that was prepared by ((al bayaty :2006)) and the researchers showed it to some referees to extract the external Sincere and face validity. then the stabilization Coefficient was (0,81) which was a good result .

then the researcher applied the two variables to the basic sample , and after managing the questionnaire form , they treated the information by t.test and Correlation Coefficient , then the researcher Concluded the following results :

- 1- the psychologic stress among the university pupils is very high.
- 2- the Self – confidence is positive .
- 3- there is statistic relationship between the two research variables .

then the research Contained some Conclusion and recommendations .



## دور السينوغرافيا في مسرح الطفل مسرحية (لنبتسم) أنموذجا

م.م. زيد سالم سليمان

جامعة بغداد / كلية الفنون الجميلة

### ملخص البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا تخطيطا واضحا وجليا فوضعنا منذ البداية مدخلا منهجيا حاولنا من خلاله تعريف مفهوم السينوغرافيا لحصر هذا المصطلح من مفهومه الحقيقي ضمن مفاهيمه المتعارضة أحيانا والمتقاربة أحيانا أخرى. كما تطرقنا في البحث عن أهمية السينوغرافيا ووظائفها في مسرح الطفل بوصفها مادة تتعامل مع مجال بصري ومشاهد تتقاطع فيه عناصر عدة من إضاءة وديكور وموسيقى ومؤثرات صوتية وأزياء... من أجل تقديم عرض أمام المشاهدين وتهيئة الجو المناسب للعرض لتبلغ المسرحية المستوى الفني المطلوب.

## الفصل الأول

### الإطار المنهجي

#### مشكلة البحث والحاجة إليه:-

إن الفن المسرحي فن قائم بذاته ينطوي على جملة من الفنون والمعارف وهو مع ذلك خلاصة جهود الفنانين والفنيين كل من موقعه وحسب اختصاصه وهم باتصال مباشر فيما بينهم، تربطهم علاقة تكامل وتناغم مستمرة مع المخرج و هو المحور الأساس الذي تعمل حوله هذه المجموعة المختصة بانسجام لإنتاج عرض مسرحي يتسم بالشمولية والابداع، ومن هذا المنطلق يتضح لنا ان الفن المسرحي هو فن خاضع لاختصاصات عدة جاءت نتيجة التقدم الآلي والتكنولوجي، ومن بين هذه الاختصاصات التي تؤلف الفن المسرحي ما تضيف للمسرح قيمة جمالية وفنية وتقنية تعمل على شد انتباه المتلقي الصغير لمتابعة سياق العرض ألا و هي عنصر السينوغرافيا. وعلى هذا الأساس نرى إن أهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل تكمن في تأثيرها الكبير على الجمهور الصغار، ولعل الاطفال هم الفئة الأكثر حرصا على مشاهدة هذه التقنية لتتمتع أنظارهم ويشبعوا حاجاتهم النفسية والذوقية والجمالية.

وللوقوف على الوظيفة التي تضطلع بها السينوغرافيا في مسرح الطفل شعر الباحث بأهمية هذا الموضوع الذي يتطلب اجراء دراسة، ومن أجل ذلك حدد الباحث عنوان بحثه كالآتي:

”دور السينوغرافيا في مسرح الطفل”

## التعريف الإجرائي:

السينوغرافيا مادة فنية - تقنية تتطلب الإعداد والتكوين في المجالات الفنية والجمالية والتقنية والفنون الدرامية وأصولها وفنون العرض وعناصره دون إهمال الجانب الأدبي للنصوص القابلة للتجسيد والتشخيص.

## الفصل الثاني

### الإطار النظري

#### مفهوم السينوغرافيا وأهميتها

يعد الارتباط بين السينوغرافيا وبقيّة العناصر الأخرى المؤسسة المحدد الوحيد عبر العصور لمفهومها، وبالرغم من أن وجهات النظر أُلِيه من طرف النقاد والمؤرخين، ذلك أن الإخراج كان ولا يزال يحاكي ويؤثّر الفراغات والأماكن، مما كان عاملاً مهماً في ميلاد المفهوم الأول للسينوغرافيا القائم على (فن الزخرفة) وهذا ما يؤكد مارسيل فريد فون<sup>(٥)</sup> "إن كلمة سينوغرافيا كلمة قديمة نجدها لدى الإغريق والرومان كما استعملها معماريو عصر النهضة"<sup>(٥)</sup>. وإذا عدنا إلى أصل الكلمة نجد جذورها في تاريخ الفن المسرحي اليوناني، إذ اشتقت كلمة سينوغرافيا من (LA SKENOGRAPHIA) وتعني باللغة اليونانية الزخرفة أي تجميل واجهة المسرح (SKENE) باللون مرسومة، حيث كان المسرح خيمة أو كوخاً من الخشب<sup>(٦)</sup> ولعل كل هذه التطورات التي عاشها هذا المفهوم وما رافقها من تغيرات تجعل المعنى الجديد للسينوغرافيا ومفهومها يأخذ تشعبات متعددة، لكن ذلك يبقى مترابطاً بالاختلاف في وحدة الوظائف وشموليتها في بعض الأحيان، إذ أن الحديث أصبح يركز ويهتم بالفضاء السينوغرافي عند البعض الذي وقع تعريفه على أساس أنه فضاء يتضمن الفضاء المسرحي و الجمهور، بحيث يتجدد من خلال العلاقة الموجودة بين هذين

## أهمية البحث:-

### تتجلى أهمية البحث في:-

- 1- إفادة المؤسسات التعليمية والفنية التي يمارس منتسبوها وأعضاؤها العمل المسرحي.
- 2- اهتمامه بمرحلة الطفولة التي تضع لبنة بناء إنسان المستقبل.
- 3- تطوير الجوانب الفنية والتقنية في مسرح الطفل.

## هدف البحث:-

التعرف على وظيفة ومفهوم السينوغرافيا ودلالاتها في مسرح الطفل.

## حدود البحث:-

تختصر حدود البحث على مادة البحث، أي على دور السينوغرافيا في مسرح الطفل واختيار مسرحية (لنبتسم) كنموذج لهذه الدراسة مع مراعاة الخصائص العمرية للمتلقين من الأطفال بعمر (6-12) وهو سن مرحلة الدراسة الابتدائية في المدارس العراقية.

## تحديد المصطلحات:-

### السينوغرافيا

- أ- عرفها (كمال عيد) "فلسفة علم المنظرية الذي يبحث في ماهية كل ما على خشبة المسرح"<sup>(١)</sup>.
- ب- ويعرفها اصطلاحاً (مارسيل فريد فون) "صياغة تصوير وتنفيذ تصميم المكان، العرض"<sup>(٢)</sup>. أو "فن تنسيق الفضاء المسرحي"<sup>(٣)</sup>.
- ج- ويصنفها (الجبوري) "الإطار التشكيلي الذي يعيش فيه النص الدرامي"<sup>(٤)</sup>.

والعلوم إذ يستوجب المواجهة بين المعارف الفنية والأدبية والعلمية وما يمكن أن تتضمنه. ويوصف السينوغرافيا مادة (فنية تقنية) تتطلب الاعداد والتكوين في المجالين الفني الجمالي والتقني والاطلاع على القواعد والمعارف التي يمكن ان تنفرع منهما ، علينا أن نصنف المعرفة التي تتطلبها على جانبين أساسيين هما الجانب الفني ويخص كل مايتعلق بمبادئ الفن التشكيلي والفنون الدرامية واصولها وفنون العرض دون اهمال الجانب الادبي للنصوص القابلة للتجسيد والتشخيص والعرض والجانب التقني.

**الجانب التقني للسينوغرافيا:**

وهو الجانب الذي يخص التعامل مع الفضاء والمكان هندسيا والمواد المستعملة والاستغلال الالاتي التقني للديكور وعناصره وتقنيات الاضاءة الموجهة على المسرح او مكان العرض.وبما أن التوافق بين هذين الجانبين يؤسس لتقنية فنية اطلق عليها دائما او في بعض المراحل من تاريخ الفنون الدرامية تسمية سينوغرافيا فان هذا التواصل هو الذي جعل مفهومها غير محدد ومختلفاً ومتطوراً حينا و متغيراً حينا اخر .

تعد السينوغرافيا رؤية واحدة متكاملة تشمل عناصر الإضاءة والمؤثرات الصوتية والموسيقى والديكور والازياء بنفس قدر تكامل جمهور مصمميها وتداخلهم مع المخرج والمؤلف لخلق فضاء خاص للعرض ينقله من مجرد تجسيد النص الى اعادة خلقه من جديد داخل رؤية تتشابه فيها الفنون التشكيلية مع الفنون المسرحية وترتكز السينوغرافيا على التقنية المسرحية، وفي خضم هذا التطور التكنولوجي انتقلت هذه التقنية من كونها مجرد مؤثر مشارك في العرض ومعاون للتمثيل الى رؤية جمالية للنص والعرض تمتلك القدرة على تحويل المسرح الى عالم سحري و نستطيع أن نصل بالمسرح الى افاق جديدة في ظل تكامل الفنون وتوحد الرؤية والتقنية مع

الفضائين وبالطريقة التي تنتظر بها القاعة الى الخشبة وبالطريقة التي تعدها الخشبة للقاعة.وبذلك تسعى السينوغرافيا الى تاسيس علاقة مكانية وبصرية بين الدراما والمسرح وبين المشاهد،ولذلك أصبح اتصال السينوغرافيا كفن جامع للفنون والحرف الاخرى امرا اكيدا بما انها تستمد وجودها من اختلاف هذه التقنيات والمهن من اجل خلق تصورات لما هية العرض المسرحي او لفضاءات الفرجة عموما، بل ويذهب عدد من الباحثين في هذا المجال الى توسيع مفهوم السينوغرافيا نحو مجالات اخرى تتصل بما يمكن ان يحدث على اي فضاء لاعادة استغلاله وتوظيفه توظيفا فنيا جديدا، واعتماد اخر وصياغة تصورات عمرانية مختلفة وبذلك يمكن اثاره مسالة السينوغرافيا في فضاءات قد تعاد صياغتها وتوظيفها كالمعارض او المخازن اذ يكفي مثلا ان تتغير وظيفة مخزن او بضائع الى فضاء عرض كتب او ابتكارات حتى تطرح فكرة التصور السينوغرافي وما يمكن ان تشمله من اختصاصات كثيرة ومتفرعة، ولعل اول من نبه لهذا المفهوم الجديد وحاول تبسيط مفهوم السينوغرافيا "مارسيل فريد فون" وأراد أن يجدد مجالات نشاطها التي تجاوزت عنده وعند مؤيديه تصور مكان العرض والتعامل مع الفضاء المسرحي عن طريق استثمار كل العناصر التشكيلية والتقنية. إن من خصوصيات السينوغرافيا وما يجعلها اكثر تميزا وتشعباً هو ما تتطلبه هذه المادة من ازدواجية نوعية في تعليم وتعلم المعارف والمهارات بحيث تشكل تنوعا وتفردا في التكوين ، لأنها مادة تتعامل مع المجال البصري والرؤيوي فالتقاطع قائم بين عدة عناصر والتي تتفاعل من اجل تقديم عرض أمام المشاهدين، لذلك لايمكن أن نعزل السينوغرافيا عن مقومات العرض سواء مسرحياً أكان أم راقصاً أم احتفالياً أم اوبرالياً... فلا يمكن أن يحتويه ما يجعل تصنيف السينوغرافيا على أنها الفن الذي يخدم الفنون أو الفن البصري الذي يعضد فنون الرؤية عن طريق "فن إعداد المكان"<sup>(7)</sup> فهي اختصاص تعتمد على تقاطع المعارف

ولعل السينوغرافيا هي واحدة من اهم هذه الوسائل في تأثيرها الكبير على عين المشاهد الصغير وماتسهم به من بواعث ودوافع ومثيرات لونية يمكن ان تعوض الصورة التي يريدتها الطفل في مخيلته وماعودته عليه التلفزة لذلك يحب التفكير في اعادة تعويد الطفل على التركيز لان الادماء على الصورة يخل بملكة التركيز عند الطفل ولا بد من تاهيله من جديد وربطه بعلاقة مباشرة مع المسرح لان الاطفال "يحبون التحولات السحرية والمشاهد الرائعة والواضحة والازياء الغريبة والمتحركة والمؤثرات الخاصة والخدع الضوئية والوسائل المسرحية المؤثرة. فالاطفال معتادون على مشاهد تغيير الاماكن الفوري والكامل والسهل التحقق في السينما فضلاً عن انهم يحبون الفرع من الاصوات الشبحية او من الظهور المفاجيء وربما انهم يعتمدون بشكل كبير على المرئيات فانهم يستطيعون احتمال المشاهد المرئية الطويلة والمعقدة والتي لا تتضمن الا القليل من المعاني مثل العروض الراقصة"<sup>(10)</sup>.

وتكمن الأهمية الأخرى للسينوغرافيا في مسرح الطفل في تعويد المتفرج على النسق الاخر والنوعية الاخرى للصورة لاسيما وان عصرنا عصر التكنولوجيا والوسائل الحديثة التي تساهم في تنويع الصورة وتقريبها للطفل التي تكسر خيط الاداء فتجعل من المتفرج ينتبه للعرض بتحقيق المتعة عن طريق جذب انتباهه بجمالياتها. تعد السينوغرافيا عامل من عوامل تحقيق الجو العام المناسب في كل مسرحية لإدخال عنصر المتعة والتشويق وإبعاد الملل والقلق عن المتفرجين، وهي عامل من العوامل المساندة في نمو الطفل أيضاً وإنصاج تفكيره واكتساب مهارات إبداعية وابتكارات فنية تدعم تفكيره للكون والعالم المحيط به ولذلك فمن مهام السينوغراف في مسرح الطفل أن يكون محيطاً بعالم الطفولة من ناحية والعالم من حوله من ناحية أخرى.

لا يمكن عد خيال الطفل بالشيء الثابت لدى كل الاطفال فهو يتبدل ويتغير حسب البيئة التي يعيش فيها، وحتى الاطفال الذين ينتمون الى بيئة معينة والوسط

بعضها البعض. ولما كانت العين هي اقوى حواس الانسان فان الخطوط والالوان والاحجام تتظاهر في بناء المسرحية وتبرز اهمية السينوغرافيا في العروض المسرحية في تأثيرها الكبير على الجمهور ولعل الاطفال الصغار هم الاكثر حرصا على مشاهدة هذه التقنية لتمتع انظارهم بالرؤية ويتشوقوا بمتابعة العرض ويشبعوا حاجاتهم النفسية والفكرية والذوقية والجمالية. وتتمثل مهمة المخرج والسينوغرافي في مسرح الطفل على الجانب المرئي بوصف دوره المركزي في اصال المسالة الى ذهنية الطفل الذي لا يزال في مرحلة غير قادر على التجريد، عالمه هو العالم المرئي المحيط به اذ يعتمد الطفل في استيعابه للمسرحية على العناصر المرئية اكثر منها على العناصر التجريدية "والمسرح بهذا أكثر ملائمة للأطفال من الوسائط الأخرى، لأنه يضع أمامهم الوقائع والأشخاص والأفكار بشكل مجسد ، ولملموس، ومرئي، ومسموع"<sup>(8)</sup> فهو يسعى الى ما هو سهل وبسيط ويشد انتباهه، فاية مسرحية تظل ناقصة مالم يهيأ لها ماتحتاج من حركة مسرحية واللوان وخطوط واضاءة وازياء واحجام الى جانب ضبط ايقاع حركتها مع مناظرها في الاطار العام لها.

وهنا تكمن اهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل في تهيئة الجو المناسب للرؤية لتبلغ المسرحية المستوى الفني المطلوب وعدم السماح لوقوع المتفرج الصغير في دائرة الملل، لذلك تستهويه هذه التقنيات الحديثة وعلى السينوغراف ان يراعي هذا الجانب الفطري لديه لان مسرح الطفل "شكلاً من أشكال الفنون الإنسانية التي تسهم في بلورة فكر الطفل واتجاهاته الاخلاقية والثقافية داخل الحياة العامة وتخلق في نفسيته درجة كبيرة وحساسة من الذوق الابداعي لتذوق وتحسس ما هو جميل ومناسب لشخصيته وكيانات حياته على وفق مراحل تطوره التي تأتي مع تطور البيئة التي يعيش ويتحرك فيها"<sup>(9)</sup>.

## وظائف السينوغرافيا

### 1- الوظيفة الفنية:-

ان الاطفال جميعا فنانون مبدعون، وان مايقومون به من تقليد للكبار ولبعض الاشياء في الحياة، ذلك لأنهم يستعينون بخبرات من الحياة لاثرائها وتذوقها، فالطفل عادة مايكون كثير الاعجاب بكل مايراه جميل او مايشد انتباهه، ومن هنا تبرز اهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل بوصفها تربية فنية تنمو بالحس الفني عند الطفل. فالطفل عند مشاهدته للمسرحية يجذب انتباهه كل ماهو مثير من (اصوات واضواء والوان) لاسيما ان عصرنا هذا هو عصر التكنولوجيا التي تخلق لنا مجالا واسعا من الحرية لتتفاعل مع خيال الطفل لخلق عنصر الابهار الذي تحدثه السينوغرافيا في جمالية الديكور والازياء والاضاءة المتنوعة والمتعددة الالوان والخطوط، كما يسهم الابقاع في دفع الاحداث ويضفي على المسرحية عنصر التشويق ويعمل على تكريس حب الطفل للموسيقى وفهمها حتى يحسن الاختيار للموسيقى المناسبة المقدمة له مع مراعاة قدرة احتماله على الإصغاء لأنه كلما صغر سنه قل تركيزه وكلما كانت الموسيقى قصيرة وسهلة الالحن بسيطة التركيب كان ذلك اضمن لانصاته، وعليه فان "ادخال الموسيقى والغناء والمؤثرات الصوتية المختلفة تحقق هدفين في ان واحد، الاول هو تحقيق شروط واضفاء طابع الحركة والحيوية والبهجة عليها، والثاني تحقيق شروط الاتصال الجمالي مع الطفل الذي يسهم في تفسير الاحداث ورسم الشخصيات وتجسيد حالات الصراع في اللعبة بكل اشكاله، وفق قالب مشوق" (12).

أما عنصر الإضاءة فهو يبني علاقة مباشرة مع عين المتفرج، فالإضاءة تعمل على تكثيف الالوان وتناسقها مع الازياء والديكور والاكسسوارات بوصفها امور متكاملة يتاثر كل منها بالآخر ويؤثر فيه. لذا لابد من توزيع الازياء توزيعا من شأنه

نفسه فانه يوجد اختلاف في مواهبهم وشغفهم، فالطفل عرضة دائما الى كل التأثيرات المحيطة به لذلك تختلف المواهب والمكتسبات الحاصلة عند الطفل من واحد لآخر وتتدخل في ذلك عدة ظروف وعوامل منها اجتماعية وثقافية وعقائدية... الخ. ويعتمد السينوغراف في تصميمه للديكور والإضاءة والعناصر المكونة للعرض بالتركيز التام على تحفيز المهارات المكتسبة عند الطفل لشد انتباهه والمحافظة على اهتمامه بالمسرح لصقل مواهبه عبر استخدام مجموعة متنوعة من العناصر الفنية التي تؤدي بمجملها الى نتيجة متكاملة. وتعد "المؤثرات المسرحية والمشاهد الاستعراضية عنصرا مهما في مسرح الاطفال فالمشاهد المتقنة والازياء الفخمة والمؤثرات المسرحية الخاصة مثل الاختفاء والتحليق وتغيير الحجم والتحول والاعاجيب السحرية الرائعة الاخرى... وفي الواقع فان هذه التقنيات تتناسب بشكل جيد مع الحاجة الى التنويع والتصوير المسرحي، واذا تم تنفيذها بشكل جيد فسيحبها الاطفال دوما" (11).

في إطار هذه الاكتشافات العلمية والتطورات التكنولوجية تأثير في خيال الطفل بكل مايفتح عليه من عوالم اخرى تلقى به في المستقبل وتخرجه من محيطه التقليدي ليذهب بذاته الى عالم جديد اختاره لنفسه اي ان يحقق رغبته بالمتعة الفكرية والنفسية، وعالم السينوغرافيا هنا هو عالم مفتوح للمتفرج الصغير يبحر به في عالم من الخيال من خلال مشاركة فعالة في العرض المسرحي الحي.

الطفل فتخلق له الجو الملائم الجديد لعديد من الحالات مع مراعاة مراحل نمو الطفل عقليا ونفسيا وعاطفيا واجتماعيا .

وتلعب السينوغرافيا دورا مهما في اثارة اليقظة لتنمية الخيال للفن والتعبير عما نبض به احساس الطفل وكيانه من توق للابتكار والتفتح على المحيط بما يتضمنه من قضايا بشرية انسانية وسياسية، فالحكمة تنتصر على القوة رغم الاختلاف في الرتب الاجتماعية والافكار وبهذا يسهم المسرح في تنمية الاطفال عقليا وعاطفيا ولغويا وثقافيا. وهو احد ادوات تشكيل ثقافة الطفل .فهو ينقل للاطفال بلغة محببة - نثرا ام شعرا - وبتمثيل بارع، والقاء مفعم بالافكار والمفاهيم والقيم ضمن اطر فنية<sup>(15)</sup>.

وتظهر الوظيفة الحسية للسينوغرافيا في اثارة خيال الطفل ونقل قوة الملاحظة لديه ما يؤدي بالطفل الى التقيب والبحث والاكتشاف من جراء اثارته وتحريك مشاعره وذهنه، فالمسرح يضع المرايا امام الاطفال ليروا من خلالها واقعهم ويدفعهم الى ان يدركوا ان لهم دورا في تغيير ذلك الواقع ويقودهم الى التفكير واحترام القيم النبيلة والالتزام بها، مع توسيع مداركهم وتهذيب وجدانهم وارهاف احساسهم وعواطفهم وايقاظ شعورهم وامتعاعهم.

### 3- الوظيفة الذوقية:-

التذوق الفني هو التدريب التعليمي الذي يهدف إلى تهذيب الذوق لدى الطفل في التعامل الجيد مع ما يحيط به من اشياء يتعرض لها في حياته من غناء وموسيقى وازياء والوان اذ ان الطفل يستجيب بشكل تلقائي وطبيعي مع اهوائه، فحين يعجب بشيء يريد امتلاكه او يطالب دائما بحضوره أمامه دليل على ان تعويد الطفل على حب الجمال شيء يترسخ في ذاكرته ولا بد ان تكون في كل المسرحيات الموجهة للطفل تركيز تام على ابهار عين المتفرج وامتعاعه من خلال الاهتمام بالعناصر المكونة للعرض من اضاءة وموسيقى وديكور ومؤثرات صوتية وازياء.

ان يبرز الالوان والمناظر ويحدد التفاصيل التي يرى المخرج انها يجب ان تسترعي انتباه المتفرجين<sup>(13)</sup>. والمناظر هي الأخرى تأخذ دورها في إمتاع الطفل كالمناظر الطبيعية الجميلة التي تخلق نوعا من الانسجام بين الطفل ومحيطه عبر تفاعله مع الألوان والخطوط وتحاول إدماج الطفل داخل محيطه العلمي والطبيعي والجغرافي والاجتماعي والاقتصادي وذلك بتعليمه خصائص هذا المحيط وخصوصياته وبالتالي يعمل على إيقاظ الطفل وتحسسه بالمحيط الذي يعيش فيه عبر توظيف عنصر الخيال والابتكار .

أما الآراء فتلعب دورا مهما في إمتاع الطفل لاسيما الشخصيات التي ترتدي الأزياء الحيوانية المحببة لدى الأطفال و"الشخصيات النسائية الشجاعة التي تستطيع أن تحقق ما يحققه الرجال الأبطال والتي تستطيع التغلب على العقبات"<sup>(14)</sup> وقد تشترك هذه الشخصيات بالرقص والغناء مع الأطفال حتى لا يصيبهم الملل ويتشتت انتباههم وهنا تعد حاسة البصر من أهم الحواس وأسرعها ملاحظة وأدقها تسجيلا للدقائق الفنية وطبعها في الأذهان.

### 2- الوظيفة الحسية:-

تهدف التربية المسرحية الى تكوين المواطن الصالح وذلك بالاهتمام بتكامل نمو الطفل جسميا وعقليا ونفسيا وعاطفيا واجتماعيا وتعويده على التفكير المنطقي السليم المنظم، هذا فضلا عن مواهبه وقدراته الذاتية في الابداع الفني، وتأتي وظيفة السينوغرافيا في تنمية ادراكه الحسي ورفع درجة تذوقه السليم المبني على الإدراك فتعوده على اداب التعامل والتجاوب مع الاشياء وخلقها من جديد.

اذا نظرنا الى اهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل فلا بد ان نشير الى الوظيفة الحسية من خلال التعامل مع الطفل المتفرج، فكل عناصر العرض من موسيقى وديكور وازياء ومؤثرات صوتية هي ادوات تسعى الى تنمية الادراك الحسي عند

## الجمالية السينوغرافية في مسرح الطفل

### المستوى الفني والجمالي

#### 1- تقنيات الإضاءة وجمالياتها:-

يعد المسرح فنا مرئيا بالأساس ،لذا تمثل الرؤية احدى الوظائف الاساسية في الإضاءة المسرحية والضوء له المكانة الخاصة في الرؤية ،فالضوء هو الأثر الطبيعي أو الصناعي الذي يصل الى العين، على هيئة اشعاعات منعكسة عن الاجسام المضيئة ويخترق العدسة البلورية ويستكمل مسيرته نحو الشبكية التي تتولى بدورها نقل هذا الاثر الى المخ بواسطة عصب الرؤية فتتكون الصورة المرئية للجسم، بكل ماتحمله من الوان مميزة لذلك لانستطيع الرؤية في الظلام، فيتوجب إذن على مصمم الإضاءة ان يضيف التوهج على خشبة المسرح لتسهيل الرؤية لكل ما يحدث من تعبيرات الممثلين وحركاتهم وملامحهم والإكسسوارات والديكور والأزياء، ومن هنا تكمن مهارة مصمم الإضاءة في حسن التحكم في كمية الضوء المتوهجة على المسرح وحسن اختياره للأجهزة الضوئية المستخدمة حسب متطلبات العرض المسرحي لاسيما راحة المشاهد في الرؤية والاستمتاع بعناصر العرض الأخرى من ممثلين وراقصين ومناظر ومؤثرات. يقول (ادولف أيبا)<sup>(٩)</sup> "إن أي شكل ذو ابعاد ثلاثة يصبح تشكليا لتأثير الضوء عليه وهو الذي يحدد خطوطه الخارجية ويحسمه، ولولا الضوء لما تأثرت اعيننا بهذا الشكل الذي قد يصبح فنا في شكله التام بفعل الضوء الواقع عليه"<sup>(١٨)</sup>. ومن خلال هذه المقولة نستنتج أن الضوء عامل أساس في إبراز الشكل بأبعاده الثلاثة وباستخدام الإضاءة المسرحية سواء أكانت عامة منتشرة أو خاصة مركزة والسيطرة عليها تؤسس عالما ثلاثي الأبعاد، موحدا كامل التوحيد على المسرح وبذلك نلمح صورة مسرحية ذات اثر فعال في العين. وباستعمال إضاءة عامة نضمن رؤية شاحبة ومتلاشية وتكون الأشياء المراد إضاءتها غير واضحة المعالم فنذكرها بدون

#### 4- الوظيفة النفسية:-

والمقصود هنا مايمثله العرض المسرحي المعين من انفعالات وعواطف ومشاعر، وهذا يحتم على المسرح وفنانيه تعيين الحالة النفسية لمشاهدي كل فئة عمرية من اجل ايجاد الحلول الفنية الخاصة بمعالجة كل عرض وتوفير الاساليب التجسيدية والادائية المنسجمة مع المستوى النفسي لكل فئة عمرية، اذ لا بد من ضرورة هذا الانسجام بين مستوى المتلقي النفسي، وبين مايشاهده ويعاينه من انفعالات ومشاعر وذلك منعا لاي اعراض مرضية نفسية، او صدمات او ردود فعل نفسية غير مطلوبة حتما بقدر او باخر بين المتلقي اذا مااهملت مسألة تعيين المستوى المعالج في العمل المناسب وانسجامه مع المستوى النفسي لمشاهدي الفئة العمرية المناسب<sup>(١٦)</sup>. يمر تطور الطفل خلال حياته بمجموعة من المشاكل مع ذاته ومع الازمات النفسية كالحروب والصراعات القائمة التي تركز عليها وسائل الاعلام المختلفة والاحداث التي تدور حوله كالانفجارات وأحداث العنف كالتي حصلت في العراق لها تأثير سلبي على نفسية الطفل وتؤثر على روح الصفاء والنقاء والبراءة والحب التي تتملكه، لذا يجب ان ترسم الخطوط العريضة للمسائل النفسية الاساسية التي تشغل الاشخاص الذين يعملون في مسرح الاطفال مع الالتفات الى علم النفس. فالوظيفة النفسية يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار لدى الكاتب والمنتجين والمخرجين عند إعداد النصوص والأعمال المسرحية الموجهة للأطفال وإخراجها، ولأن المسرح هو حفل كبير قبل كل شيء ولعبة درامية من شأنها ان تدخل الغبطة والسرور وتزيل كابوس الياس والفشل لدى جمهور الأطفال ويعمل على الوصول بالطفل الى فهم "الاحداث بشكل افضل وتوضح امامه جميع مايدور في المسرحية بحيث يستطيع لوحده ان يعطي النتائج والاسباب"<sup>(١٧)</sup>.

إيضاح حركات الممثل وتعبيراته، ولهذا فإن الأزياء تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الممثل الذي هو في الحقيقة المترجم الفعلي لأعمال المخرج. يرتبط عنصر الأزياء في مسرح العرائس مثلاً بكل العناصر المكونة للعرض من إضاءة، ديكور، ألوان... فالإضاءة القوية في هذا المسرح غير مستحبة لأنها تؤثر تأثيراً سلبياً على الأزياء فتغير من ألوانها وتفقد التأثير المطلوب منها لذلك لابد من توزيع الإضاءة توزيعاً من شأنه أن يبرز الألوان ويحدد التفاصيل التي يجب أن يراها المتفرج.

#### 4- الموسيقى والمؤثرات الصوتية:-

"تلازمت الموسيقى مع المسرح تلازماً تاريخياً في الشرق والغرب خاصة وإن المسرح منذ نشأته ارتبط بالموسيقى والغناء والضربات الإيقاعية. وقد اختلف الدور الذي تلعبه الموسيقى في العرض باختلاف الجماليات السائدة عبر التاريخ وبتطور الذائقة العامة فكانت تارة عنصراً عضوياً يعطي العرض إيقاعه وتارة عنصراً درامياً يلعب دوراً في تشكيل المعنى"<sup>(21)</sup>.

وللموسيقى والمؤثرات الصوتية دور مهم في تنشئة الطفل وتعليمه وترفيهه فهي إلى جانب ذلك "تدعم جو المسرحية المرئي أو تكون بديلاً عنه، وفي هذه الحالة تصبح نوعاً من الديكور السمعي يدعم جمالية العرض وفي المسرح المعاصر يعتبر أعداد المؤثرات الصوتية وتنفيذها اختصاصاً مستقلاً له بعد تقني الدراماتورج"<sup>(22)</sup>. وعلى هذا الأساس تظهر الموسيقى في بعض مشاهد المسرحية لتسهم في خلق الجو العام وتستخدم قبل بداية أي فصل من فصول المسرحية كي تخلق بالاصوات جواً لذلك الفصل، ويتم هذا الاختيار بالاتفاق مع المخرج وحسب تعليماته حتى يستطيع أن يوظف الموسيقى والمؤثرات الصوتية مع الأداء لكل ممثل، أو في بعض المواقف المهمة في المسرحية"<sup>(23)</sup>.

عاطفة، لذلك أكد (أبيي) وغيره على استعمال اضاءة خاصة ومركزة في بعض المواقف والمشاهد لتأكيد الأبعاد وتوحيد المعالم للأشياء المضاءة وذلك بما تفرزه هذه الإضاءة من ظلال.

ومن هذا المنطلق يتخذ الضوء صفة غنية بتوهج الضوء على المسرح ويخلق توازناً بين الضوء والظل، لذا نستطيع أن ننحت موضوعاً يواجه أبصارنا ويحرك إحساسنا ويدغدغ عواطفنا وبهذا تبرز للأشياء أشكالها ونعطيها قوة ومعنى جديد. وفي إضاءة المناظر والأزياء تختلف الألوان المستخدمة وقوة التوهج حسب نوعية المكان والزمان الذي تشير إليه الأحداث، واستخدام المرشحات الضوئية اللونية التي تضفي الجمالية المؤثرة على خيال الطفل.

#### 2- الديكور:-

"في يومنا هذا، تخطى مفهوم الديكور المجال الذي كان له سابقاً واعتمد المعنى الحديث لكلمة (سينوغرافيا) كبديل يغطي مجالات أوسع تتخطى تصوير عالم الحدث إلى تحديد نوعية التلقي من خلال شكل العلاقة بين الصالة والخشبة لذا تعد هندسة الديكور مجالاً تنفيذياً بحثاً في حين أن تصميمه صار من مهمات السينوغراف الذي يستند في عمله إلى رؤية متكاملة تنبع من قراءة الدراما لبنية العمل"<sup>(19)</sup>.

#### 3- الأزياء:-

لما كانت الأزياء بوصفها وسيلة من الوسائل التي يستعين بها المخرج، فإن لها في حد ذاتها إمكانيات تعبيرية عظيمة، فهي تشكل اللغة والتعبير المسرحي ويعطيها صفات خاصة، وفي أغلب الأحيان تعينهما وتحددهما تمام التحديد، "ومن المعلوم أن الملابس المسرحية ليست نوعاً من الزخارف الإضافية في المسرحيات حسب، بل إنها أيضاً عنصراً أساسياً من عناصر المسرحية ذاتها، فإنها تعد جزءاً من الديكور بوصفها مناظر حية، أو إنها بناء معماري"<sup>(20)</sup>. كما أن للأزياء قيمة عظيمة تعمل على زيادة



### الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث سوى على ثلاث دراسات عن السينوغرافيا (تحديداً) <sup>(٩)</sup>، إن تلك الدراسات تعد مقارنة للدراسة الحالية إلا إنها لاتدخل في صلب الاختصاص الدقيق لموضوع يستحق الدراسة وتبسيط الضوء عليه بوصفه محورا من محاور البحث في مسرح الطفل.

### الفصل الثالث

#### إجراءات البحث

1- عينة البحث: قام الباحث باختيار مسرحية (لنبتسم) <sup>(٩)</sup> كعينة قصدية للأسباب الآتية:-

- أ- توفر المادة الأرشيفية المسجلة صورة وصوتا لغرض إجراء التحليل عليها.
- ب- ملائمة العينة لمشكلة البحث واهدافه .
- ج- حداثة المسرحية وحصولها على العديد من الجوائز لعام 2010.

2- منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

3- أدوات البحث: تحقيقاً لأهداف البحث، استخدم الباحث إجراءات عدة لجمع المعلومات الخاصة بالبحث وهي:

أولاً: استند الباحث في ذلك إلى المراجع العربية، للاطلاع على ماكتب في مجال بحثه.

ثانياً: إجراء المقابلات مع العاملين في المسرحية.

ثالثاً: الاطلاع على الصور الفوتوغرافية للعرض المسرحي فضلاً عن توثيقه على موقع (اليوتيوب) الالكتروني عبر مشاهدته مسجلاً في هذا الموقع.

### 5- الإكسسوار:-

"تستخدم كلمة اكسسوار في عالم المسرح للدلالة على مكونات الديكور من اغراض وقطع اثاث سواء أكانت مرسومة بطريقة خداع البصر على اللوحة الخلفية ام مجردة فعلياً على الخشبة"<sup>(24)</sup>.

### 6- الممثل:-

يسهم الممثل فضلاً عن العناصر الفنية الأخرى للعرض المسرحي في توحيد المنظر الجمالي والتعبيري بما يحققه من مرونة جسدية على خشبة المسرح ، يخلق عملية توازن مع الكتل الموجودة على الخشبة ، مما يجعل من السينوغرافيا " جزءاً مهماً في عملية خلق الجو العام للمسرحية"<sup>(25)</sup>.

### ما أسفر عنه الإطار النظري من مؤشرات

- 1- السينوغرافيا فن جامع للفنون الأخرى فهي تقوم بمهمة الجانب الفني والتقني.
- 2- تعد السينوغرافيا رؤية واحدة متكاملة تشمل عناصر الإضاءة والمؤثرات الصوتية والموسيقى والديكور والأزياء والممثلين تعمل على خلق فضاء خاص للعرض ينقله من مجرد تجسيد النص إلى إعادة خلقه من جديد .
- 3- للسينوغرافيا وظائف حسية وفنية وذوقية ونفسية.
- 4- جماليات السينوغرافيا من ديكور وأزياء وموسيقى ومؤثرات صوتية وإضاءة وإكسسوار وممثلين تعمل على بلورة المستوى الفني المطلوب في تحقيق المتعة والجذب والإبهار للمتفرج في مسرح الطفل.
- 5- تعمل السينوغرافيا في مسرح الطفل في تهيئة الجو المناسب للرؤية عبر تقنياتها الحديثة.

الخير) والالتزام بها مع توسيع مداركهم وتهذيب أذواقهم وإرهاق إحساسهم وعواطفهم وإيقاظ شعورهم وإمتاعهم.

### 3- الوظيفة الذوقية للمسرحية:-

تكمّن الوظيفة الذوقية للمسرحية عن طريق تحسيس الطفل بالقيم الجمالية وتوضيح معنى الخير والشر إذ تتوسع لديه دائرة المعلومات بفضل السينوغرافيا التي استخدمت في المسرحية إذ استطاع مصمم السينوغراف أن ينقل الطفل من فضاء غرفة النوم إلى الفضاء المتخيل لغرفة المحكمة المفترضة مع تغيير بسيط في ترتيب قطع (الستولات) بالمرافقة الموسيقية والمؤثرات الصوتية والإضاءة ودخول الشخصيات عبر القطع الديكورية المتمثلة بالقصص والأزياء الحقيقية لشخصيات القصص كل تلك العوامل ساهمت في إقناعه ورفع ملكة التذوق الفني لدى الطفل.

### 4- الوظيفة النفسية للمسرحية:-

مر الصبي (حسن) في مسرحية (لنبتسم) بمجموعة من الأزمات النفسية من جراء المحيط الذي يعيش فيه والذي لا يخلو من مشاهد العنف والقسوة التي عصفت بالبلاد بسبب الإرهاب الأعمى الذي قتل قيم الطفولة إلى جانب ألعاب السلاح المتوفرة بالأسواق المحلية مما أدت الترسبات نفسية غيرت من مفاهيمه للقصص والأحداث الحقيقية للشخصيات التي قراها، ومن هنا اعتمد مصمم السينوغراف على الجانب الفني التقني لتغيير هذه المفاهيم الخاطئة عن طريق المناظر والموسيقى والغناء والإضاءة والأزياء والألوان والرسوم والخطوط والأشكال التي خلقت حالة من التناغم والانسجام مع الجو العام الذي خلق بدوره ذلك الجو الاحتفالي في نهاية المسرحية كما صرح الكثير من المفاهيم لدى الطفل وخرجت به النظم الحياتية الجميلة بدل الأزمة النفسية الخائفة التي عصفت به.

**فكرة المسرحية:-** تؤكد فكرة المسرحية على نبذ العنف وتصحيح مسار الروايات التي شوهها الطفل دون قصد، إذ إن مخيلة الطفل العراقي قد مر عليها الكثير من الكوابيس جعلت منه دون قصد إلى أن يشوه روايات الأطفال الجميلة، لان محيط الطفل صار معبأ بمشاهد الدم والقتل والانفجارات التي أثرت بشكل وبأخر على نفسية الطفل العراقي الذي بات يرى الشخصيات الكارتونية والقصصية مذبذبة ومشوهة، لذا تحاول المسرحية معالجة هذا التشوه عبر نبذ العنف والدم والسلاح وكل ما يشوه الطفولة والحياة الجميلة.

### 1- الوظيفة الفنية للمسرحية:-

تظهر الوظيفة الفنية للمسرحية عن طريق تدريب الطفل على الحب ونبذ العنف والتعامل معه بطريقة فنية وذلك بتنمية قدراته الإبداعية والانتقال به إلى عالم متخيل للمحكمة بفعل توظيف السينوغرافيا التي استخدمت وعملت على أن تسترعي انتباه المتفرج. وبرزت وظيفتها الفنية في أقناع المشاهدين من الأطفال بالمناظر والشخصيات المتخيلة إذ خلقت نوعاً من الانسجام بين الأطفال والشخصيات والمنظر المسرحي.

### 2- الوظيفة الحسية للمسرحية:-

تدور أحداث المسرحية بين غرفة النوم والمحكمة المتخيلة التي تصيب (حسن) بالذهول وهو يرى الشخصيات التي قرأها في الكتب قد خرجت لتحاكمه. فنرى إن مصمم السينوغراف قد انتبه إلى ذلك من خلال توظيف الإضاءة والديكور والموسيقى لإعطاء مجالا واسعا من التفكير، فكل طفل يتصور المكان حسب مخيلته وتحسسه بالتواجد عبر المشاركة في هذه اللعبة وبالتالي تصقل قوة الملاحظة لديه مما يؤدي إلى التفكير بحب الحياة وتعيد للأذهان القيم النبيلة (الصدق، التفاني، الحب، عمل

### القيم الجمالية السينوغرافية لمرحبة (لنبتسم)

#### 1- الديكور:-

اعتمد المصمم في هذه المسرحية على تقنية الديكور البسيط المتحرك حسب انتقال الحدث، فقد تم استخدام ستة (ستولات) بلاستيكية صغيرة متعددة الألوان، إذ جاءت في المشهد الأول والأخير كسرير للنوم في غرفة الصبي (حسن)، فيما استخدمت في مشهد المحكمة إلى أماكن لجلوس القاضي وأعضاء المحكمة وأعضاء مع بقاء جميع القطع الديكورية الأخرى والمتمثلة بقطعة خشبية بارتفاع ثلاثة أمتار تقريبا ويعرض نصف متر موزعة على جانبي المسرح مرسوم عليها رسوم الشخصيات القصصية الحقيقية التي يقوم بأدائها ممثلوا المسرحية والتي كما صممها سينوغراف المسرحية لتكون بمثابة المكتبة التي تحوي القصص التي قراها (حسن) ويخرج عن طريقها الممثلين بفكرة أن الشخصيات خرجت من الكتب أو القصص. والملاحظ على هذه القطع الديكورية الرئيسية أنها قد صنعت من الخشب، فضلا عن القطع (النابولية) الشفافة المتدلية من أعلى المسرح لغاية الخشبة وباللون الأبيض الشفاف للدلالة على جو الحلم.

#### 2- الأزياء:-

كل شخصيات هذه المسرحية هي شخصيات متخيلة لقصص الأطفال المعروفة لديهم باستثناء شخصية الصبي (حسن)، وقد اعتمد سينوغراف المسرحية على الالتزام بالمكانة الاجتماعية لكل شخصية من خلال أزياء شخصية (حسن) الذي لا يتجاوز عمره العشر سنوات والذي ارتدى ملابس الطفل الاعتيادية في هذا العمر وشخصية (المهرج) الذي ارتدى زي المهرج بلون اخضر فاقع وشخصية (سندريلا) الخادمة التي تصبح فيما بعد أميرة ببدلتها الملكية التاريخية المعروفة بألوان براقه جمعت بين الأحمر والأصفر وشخصية (ليلي) في قصة (ليلي والذئب) تلك البنت

الجميلة التي لا يتجاوز عمرها الاثنى عشر عاما وهي تحمل سلتها المعروفة وترتدي الرداء الأحمر، وأخيرا شخصية (روبين هود) الشخصية المحبوبة لدى الأطفال والمعروف عنها بالشخصية المحاربة لأجل الخير وهو يرتدي قبعته ويلبس زي المحاربين القدماء ذا القطع الجلدية.

#### 3- الموسيقى والمؤثرات الصوتية:-

استخدمت الموسيقى والمؤثرات الصوتية المختارة من المقاطع الموسيقية العالمية والعراقية وقد ساعدت على خلق الجو العام ووفقا لمتطلبات كل فعل ومشهد وحدث كما ساعدت على خلق حالة وجدانية لدى المتفرجين من الأطفال بدءا من موسيقى بداية المسرحية التي اخذ عليها طابع التشويق للأحداث القادمة ومرورا بمشهد تمزيق القصص إذ استخدم السينوغراف موسيقى مرعبة مصحوبة بأصوات الانفجارات وسيارات الإسعاف للتعبير عن حالة الفوضى والعنف التي يعيشها (حسن) وتليها موسيقى خروج الشخصيات من الكتب حيث استخدم المصمم موسيقى مناسبة لخروج كل شخصية. بعد ذلك تتواصل أحداث المسرحية وتستخدم ضربات موسيقية كوميدية لكل موقف كوميدي لشد الأطفال وأبعاد الملل عنهم وإمتاعهم. وعند وصول الأحداث لمشهد انتخابات المحكمة يستخدم المصمم موسيقى (حلاق اشبيلية) للموسيقى العالمي الايطالي (روسيني) تليها موسيقى مناسبة للدلالة على الفوز عندما يحصل (المهرج) على منصب القاضي.

وتنتهي المسرحية بأغنية (شمس بلادي) التي يؤديها الأطفال والمأخوذة من إعلانات شركة (زين) للاتصالات والتي حازت على إعجابهم خلال مدة عرضها على شاشة القنوات الفضائية والتي خلقت مشاركة غنائية بين الأغنية والأطفال في القاعة والممثلين بالغناء الحي لتخلق جو من المتعة والبهجة لاسيما بعد أن حلت عقد المسرحية وعاد (حسن) ليصحح مساره وحكمه على شخصيات القصص.

## النتائج

تبرز أهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل، في تأثيرها الكبير على جمهور الصغار، لما تبعثه من أحاسيس وانفعالات في أثناء العرض، فهي تساهم في تهيئة الجو المناسب، إذ تعد المؤثرات المسرحية والمشاهد الاستعراضية عنصرا هاما في مسرح الأطفال. فالمشاهد المتقنة والأزياء الفخمة والمؤثرات المسرحية الخاصة مثل (التحول والأعاجيب السحرية الرائعة الأخرى) هي في الواقع جزء ضروري ومهم في المسرح الموجه للأطفال. ولذا فإن هذه التقنيات تتناسب بشكل جيد مع الحاجة إلى التنويع و التصوير المسرحي، وإذا ما تم تنفيذها بشكل جيد فسيحبها الأطفال دوما. ألا أن هناك حذراً من هذه المبالغة في استعمال هذه الأساليب التقنية التي تشد انتباه الطفل، فكثرة السحر المسرحي يمكن أن يسبب التعب للأطفال كونه يتطلب قدرا كبيرا من التركيز الاسترخائي ليتم التوازن في العرض فعندما تنهال عليهم سلسلة من الأعاجيب التقنية فأنهم يكفون عن متابعة مايزيد عن نطاق إدراكهم، كما يمكن أن ينفعلوا إلى درجة لا يستطيعون معها إدراك موضوع المسرحية وشخصياتها. ولكي تبلغ المسرحية المستوى الفني المطلوب يجب على المصمم السينوغرافي أن يوفق بين الشكل والموضوع لتحقيق رؤية المتفرج الصغير ومتعته، إذ لاننسى إن احد أهم الأهداف في المسرح هو إثارة أبداع المشاهد.

وفي إطار التقدم التكنولوجي والتطور العلمي أصبح للمسرح أمكانية التعامل مع الوسائل الحديثة التي تبهر عين الطفل وتستهويه. وقد خدمت هذه المعدات التقنية عنصر السينوغرافيا بوصفها تتعامل مع مجال بصري مرئي تؤثر تأثيرا مباشرا على عين الطفل وماتراه من بواعث ومؤثرات لونية وخطوط وأشكال هندسية.

ولقد كان شغفنا بمادة السينوغرافيا كدافع للغوص في هذا البحث، وأملنا أن نكون قد وفقنا في ذلك ونحن نتناول مدى أهمية السينوغرافيا في مسرح الطفل فهي ليست حكرا على مسرح الكبار. بل لابد من الاهتمام بهذا الجانب من اجل كسب اعتناء الطفل واهتماماته وتكوين جمهور مسرحي للغد.

## 4-الإكسسوار:-

لايوجد العديد من الإكسسوارات في هذه المسرحية، إذ نلاحظ وجود كتب الأطفال وسلّة شخصية (ليلي) ودمية خاصة بالأطفال مرمية في غرفة(حسن) وقد حققت هذه الإكسسوارات هدفها في المسرحية.

## 5-الممثلون:-

ساهمت شخصيات المسرحية التي قام بأدائها الممثلين في تحقيق التواصل مع جمهور الأطفال بالمتعة والبهجة والإثارة والتشويق، إذ ساهموا في إكمال الصورة السينوغرافية للمسرحية إلى جانب العناصر الفنية والجمالية الأخرى وهذا ماسعى إليه المخرج والسينوغراف، واتسم أداء الممثلين بالمرونة الجسدية والحركة السريعة لإبعاد الملل عن الأطفال عن طريق استخدام الرقصات الاستعراضية والإشارات والإيماءات الانفعالية المحسوسة بإيقاعات متفاوتة عن طريق تقانات جسدية عالية ساعدت في بلورة سينوغرافيا العرض المسرحي.

### الهوامش

- (1) عيد ، كمال : سينوغرافيا المسرح عبر العصور ، القاهرة : ( الدار الثقافية للنشر ) ، 1997 ، ص5.
- (2) فون ، مارسيل فريد وآخرون : السينوغرافيا اليوم ، دراسات لمجموعة من المتخصصين ، تر حمادة إبراهيم وآخرون ، القاهرة : ( وزارة الثقافة - مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ) ، 1993 ، ص8.
- (3) المصدر نفسه ، ص7.
- (4) الجبوري ، محمد : الفضاء المسرحي السينوغرافي ومهمة تشكيل خشبة المسرح في العراق ، بغداد : (مجلة الأكاديمي ، العدد 46) ، بغداد : ( أكاديمية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد ) ، 2005 ، ص 20.
- (\*) مصمم سينوغرافيا فرنسي له العديد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال. الباحث.
- (5) فون، مارسيل فريد، السينوغرافيا معالم على الطريق، ترجمة إبراهيم حمادة وآخرون، وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي، 1992، ص 13.
- (6) فون، مارسيل فريد، المصدر السابق، ص45.
- (7) سكري ، عبد الوهاب ، المكان المسرحي، ملتقى الفكر، دار فلور للنشر والتوزيع، ط3، الإسكندرية، 2002، ص12.
- (8) الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال - فلسفته - فنونه - وسائله، بغداد (وزارة الثقافة والإعلام)، دار الحرية للطباعة، 1977، ص304.
- (9) الكعبي، فاضل عباس، المداخل التربوية ومركزات التجانس المعرفي في ثقافة الطفل، بغداد: (دار الشؤون الثقافية العامة)، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ص33.

- (10) كولديرغ، موسى، مسرح الطفل فلسفة ومنهج، تر صفاء روماني، دمشق : (منشورات وزارة الثقافة)، الجمهورية العربية السورية، 1991، ص197.
- (11) كولديرغ، موسى، مصدر سابق، ص172.
- (12) السالم ، مصطفى تركي، الإلقاء في مسرح الطفل - بناء نظام مقترح، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد-كلية الفنون الجميلة-قسم الفنون المسرحية)، 1996، ص 102.
- (13) كامل حسين، تحية، مسرح العرائس، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، 1960، ص125.
- (14) وارد، وينفرد، مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين الجوهري ، مصر: (الدار المصرية للتأليف والترجمة)، 1964، ص 622.
- (15) الهيتي، هادي نعمان، مصدر سابق، ص304.
- (16) عايدابي، د. يوسف، نحو مسرح للطفل - (وقائع ملتقى علمي)، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ص44.
- (17) الحديدي، علي، في أدب الأطفال، xxx، ص123.
- (\*) أدولف أيبا (1862-1928) مخرج ومصمم سينوغرافي سويسري من أصل ألماني واحد رواد المسرح الحديث. ينظر: فرانك، م. هويتك، المدخل إلى الفنون المسرحية، تر كامل يوسف وآخرون، القاهرة (مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر)، ص327.
- (18) علي، محمد حامد ، الإضاءة المسرحية، مطبعة بغداد ، ط1، ص43.
- (19) الياس، ماري، حنان القصاب، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات، المسرح وفنون العرض، مكتبة لبنان، ص217.

## المصادر والمراجع

### أولاً : الكتب والمجلات

- 1- الجبوري ، محمد : الفضاء المسرحي السينوغرافي ومهمة تشكيل خشبة المسرح في العراق ، بغداد : (مجلة الأكاديمي ، العدد 46) ، بغداد : (أكاديمية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد) ، 2005.
- 2- الحديدي، علي، في أدب الأطفال، xxx.
- 3- ألكبي، فاضل عباس، المداخل التربوية ومركزات التجانس المعرفي في ثقافة الطفل، بغداد: (دار الشؤون الثقافية العامة)، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.
- 4- الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال - فلسفته - فنونه - وسائله، بغداد (وزارة الثقافة والإعلام)، دار الحرية للطباعة، 1977.
- 5- الياس، ماري، حنان القصاب، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات، المسرح وفنون العرض، مكتبة لبنان.
- 6- سكري، عبد الوهاب، المكان المسرحي، ملتقى الفكر، دار فلور للنشر والتوزيع، ط3، الإسكندرية، 2002.
- 7- عايدابي، د. يوسف، نحو مسرح للطفل - (وقائع ملتقى علمي)، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة.
- 8- عبد المعطي، د. عثمان، عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
- 9- عيد ، كمال : سينوغرافيا المسرح عبر العصور ، القاهرة : (الدار الثقافية للنشر) ، 1997.
- 10- علي، محمد حامد، الإضاءة المسرحية، مطبعة بغداد، ط1.

- (20) عبد المعطي، د. عثمان، عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص165.
- (21) الياس، ماري، حنان قصاب، مصدر سابق، ص490.
- (22) المصدر نفسه، ص490.
- (23) عبد المعطي، د. عثمان، مصدر سابق، ص188.
- (24) الياس ، ماري، حنان قصاب، مصدر سابق، ص57.
- (25) ينظر: علي كاظم التكمجي، حسين، وسائل المخرج في صياغة العرض المسرحي لتعزيز الاستجابة لدى المتفرج، أطروحة دكتوراه غير منشورة: (جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية)، 2002، ص 59.
- (\*) اصفر، فصيح جرجيس: عناصر السينوغرافيا في العرض المسرحي، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، بغداد: (جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية)، 1997.
- جبار، جبار جودي ، جماليات السينوغرافيا في العرض المسرحي، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، بغداد: (جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية)، 2008.
- حسين ، فلاح كاظم ، عناصر سينوغرافيا العرض المسرحي ، (مجلة الأكاديمي - ع56) ، بغداد : (جامعة بغداد - أكاديمية الفنون الجميلة ) ، 2010.
- (\*) مسرحية (النبسم) تأليف مهند مختار وإخراج بكر نايف وإنتاج محترف بغداد بالتعاون مع الفرقة القومية للتمثيل، سينوغرافيا العرض علي محمود السوداني وتمثيل مهند مختار، ألأء نجم بكر نايف، زينب فؤاد، بهاء خيون ، تم عرض المسرحية في العديد من المهرجانات المسرحية الخاصة بمسرح الطفل في العراق و عدد من البلدان العربية وحازت على العديد من الجوائز في التأليف والإخراج والسينوغرافيا.

## الملحق



- 11- فون ، مارسيل فريد وآخرون : السينوغرافيا اليوم ، دراسات لمجموعة من المتخصصين ، تر حمادة إبراهيم وآخرون ، القاهرة : ( وزارة الثقافة – مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ) ، 1993.
- 12- فون، مارسيل فريد، السينوغرافيا معالم على الطريق، ترجمة إبراهيم حمادة وآخرون، وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي، 1992.
- 13- كامل حسين، تحية، مسرح العرائس، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، 1960.
- 14- كولديرغ، موسى، مسرح الطفل فلسفة ومنهج، تر صفاء روماني، دمشق : (منشورات وزارة الثقافة)، الجمهورية العربية السورية، 1991.
- 15- وارد، وينفرد، مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين الجوهري، مصر : (الدار المصرية للتأليف والترجمة)، 1964.

### ثانيا: الاطاريح

- 16- علي كاظم التكمجي، حسين، وسائل المخرج في صياغة العرض المسرحي لتعزيز الاستجابة لدى المتفرج، اطروحة دكتوراه غير منشورة : (جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية)، 2002.
- 17- السالم ، مصطفى تركي، الإلقاء في مسرح الطفل - بناء نظام مقترح، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية)، 1996.



## THE ROLE OF SCENOGRAPY IN CHILD THEATRE (LINABTASIM)PLAY AS A MODEL

By  
ZAID SALIM SULAIMAN

### Abstract

In the present research, a clear planning has been adopted. From the beginning, a methodological gateway has been put through which we try to systematically define the concept of Scenography to limit the term of this concept within the real and sometimes conflicting concepts converged at other times. As we tackle in this research the importance of Scenography at the scene of the child as a subject dealing with the field of optical sights and criss-crossed by several elements of lighting and decorations, music, sound effects and costumes in order to make a presentation in front of viewers and to create the right atmosphere for the show to reach the play at the technical level required.